

الأحسان

في الكتاب والسنة

أهميته - وأنواعه - وثماره - وموانعه





اسم الكتاب: الإحسان في الكتاب والسنة ، أهميته وأنواعه وثماره وموانعه
تأليف : أبي محمد طاهر بن محمد بن علي صريم السماوي
رقم الإيداع: ٢٠٢٤/١٩٧٩٩.

محفوظة
جميع الحقوق

نوع الطباعة: ٢ لون .
عدد الصفحات: ٣٦٤ .
القياس: ٢٤X١٧.

تجهيزات فنية:
مكتب دار الإيمان للتجهيزات الفنية
أعمال فنية وتصميم الغلاف أ / هاني صالح .

٢٠٢٤

١٧ شارع خليل الخياط - مصطفى كامل - الإسكندرية .
تليفاكس: ٥٤٥٧٧٦٩ - ٥٤٦٤٩٦

١٩ شارع خليل الخياط - مصطفى كامل - الإسكندرية .
تليفاكس: ٥٤٥٧٧٦٩ - ٥٢٢٢٠٠٢

dar_aleman@hotmail.com



دار الإيمان المتحدة

أمام مستشفى الصوفي - أسقل مدارس اليمن الحديثة
مقابل بنك سبأ - شارع رداع - محافظة ذمار

جوال: ٧٧٥٣٠٩٩٣٥

الأحسان

في الكتاب والسنة

أهميته - وأنواعه - وثماره - وموانعه

جمع وترتيب

لأبي محمد

طاهر بن محمد بن علي صبري (السماوي)

غفر الله له

دار الأيمان
الإسكندرية

دار القسمة
الإسكندرية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مُقَدِّمَةٌ

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين ، وعلى آله وصحبه أجمعين .

وبعد :

فالإحسان هو ذروة كل شيء ، ذروة الدين ، والتوحيد ، والعبادات ، والأخلاق ، والبذل والعطاء .

ولما كان المحسن زائداً على حد الفرض متطوعاً بأكثر مما أمر به كان المزيد من الفضل جزاؤه .

فكما أحسنوا الاعتقاد والعمل بالدنيا أحسن الله مآلهم من النعيم والثواب يوم لقاءه .

والخير كله لله وفي يديه وبه ومنه فهو ولي نعمته ومبتدئه بها من غير استحقاق ومجريها عليه مع تمقته إليه بإعراضه وغفلته ومعصيته فحظه **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** الحمد والشكر والثناء وحظ العبد الذم والنقص والعيب . قد استأثر بالمحامد والمدح والثناء وولي العبد الملامة والنقائص والعيوب فالحمد كله له والخير كله في يديه والفضل كله له والثناء كله له والمنة كلها له فمنه الإحسان ومن العبد الإساءة ومنه التودد إلى العبد بنعمه ومن العبد التبغض إليه بمعاصيه ومنه النصح لعبده ومن العبد الغش له في معاملته .

هو أهله سبحانه وبحمده كل المحامد وصف ذي الإحسان

الإِحْسَانُ

فالإحسان كلمة لو أردت تتبعها ستكون في كل معاملات الإنسان كلها.

والإحسان مأخوذ من الحسن الذي هو البهاء والجمال لكل ما يصدر من العبد من المعاملات والتصرفات وهو أعلى مقامات العبودية والرفعة والمفتاح الذي لا يعلو العبد إلى أعلى المراتب إلا به وكفى الإحسان شرفاً أن البشرية أجمعت على مدحه وحبه وأجمعت على كرهه نقيضه ولذلك أولى الإسلام هذه المعاملة وجعلها أعلى مراتب العبودية.

ومما قيل في الإحسان: أحسن إلى المسيء تسده. وقيل: الإحسان يقطع اللسان. وقيل: اتق شر من أحسنت إليه.

فله الحمد والشكر حيث أكرم هذه الأمة بأحسن الأديان وأحسن الأقوال وأحسن الأعمال وأحسن الأخلاق وشرف هذه الأمة بأحسن الوظائف وأشرفها وأحسن العبادات والمعاملات.

وما أحسن محسن من مسلم وكافر إلا أثابه الله في الدنيا والآخرة.

أما المسلم فله السعادة في الدنيا، وله الجنة في الآخرة.

وأما الكافر فإن كان قد وصل رحماً، أو تصدق بصدقة، أو عمل حسنة، أثابه الله تعالى في الدنيا المال والولد والصحة ونحو ذلك حتى يلقي الله وليس له حسنة واحدة؛ لأن ما فعله من خير جوزي به في الدنيا.

وأما إثابة الكافر في الآخرة فعذاب دون عذاب، فعذاب من كفر ولم يؤذ المسلمين ليس كعذاب من كفر وصد عن سبيل الله كما قال **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** **الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ** ﴿٨٨﴾ النحل: ٨٨.

فكل عمل طيب إحسان وكل كلمة طيبة إحسان وكل بذل وإكرام إحسان.

ليس في كل حال وأوانٍ تنها صنائع الإحسانِ
فإذا أمكنت فبادِرْ إليها حَذَرًا من تعذر الإمكانِ

والأمر بالإحسان يشمل كل عمل وكل تعامل فيشمل محيط الحياة كلها في علاقات العبد بربه في العبادات وفي علاقات العبد بأسرته بحسن المعاشرات وفي علاقات العبد بغيره بحسن المعاملات وفي علاقات العبد بالبشرية جمعاء بحسن الأخلاق ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾ (١٢٥) النساء: ١٢٥

هذا والإحسان في سر وفي علن أصل ومعتاد عن خير الورى يردُ
أن تعبد الله باستحضار رؤيته إياك ثم كمن إياه قد شهدوا

فعلى المسلم أن يحسن كما أحسن الله إليه بتلك النعم، فيعبد الله عبادة تامة كأنه يراه، فإن لم يكن يراه فهو يراه، وعليه أن يحسن إلى العباد بإيصال جميع أنواع الخيرات والمنافع لهم، وقد وعده الله بالثواب على ذلك.

وقد كان هذا الكتيب (**الإحسان في الكتاب والسنة**) أهمية **وأنواعه وثماره وموانعه**) عبارة عن محاضرة أشار علي بعض إخواني أن أجمع فيها وأن أخرجها في رسالة وذلك لحاجة الناس لها فقامت مستعينا بالله تعالى وراجعت دفاتري وفوائدي ونظمتها في هذه الوريقات التي أرجو من الله تعالى أن يكتب نفعها وخيرها وبركتها وأجرها وأن ينفع بها الإسلام والمسلمين وأن يجعل ذخرها نافعا لي يوم لقاه إنه جواد كريم والله المستعان.

الإحسان

اللهم إنا نسألك من فضلك وجودك وكرمك وإحسانك اللهم تفضل علينا بالخيرات وعمنا بالبركات وأنعم علينا بالمسرات وأكرمنا برفقة أهل الطاعات وكن يا رب لنا لا علينا وادفع اللهم عنا الشر وأهله والفتن وحزبه وتفضل وتكرم وأحسن خاتمتنا ووالدينا وجميع المسلمين.

اللهم لا تحرمنا فضلك ولا تحوجنا لغيرك وكن يا رب لنا خير معين ونسألك اللهم السداد والتوفيق في سائر العمل ربنا لا تؤخذنا إن زل القلم يا رب.

اللهم اكتب لنا بهذا وبغيره الأجر والثوبة في الدنيا والآخرة اللهم اجعل عملنا خالصاً لوجهك لا يكون همنا دنيا ولا جاه ونسألك يا رب أن تجعلنا من المحسنين الطائعين المستقيمين على هديك يا رب.

كتبه /

أبو محمد / طاهر بن محمد السماوي

غفر الله له ولجميع المسلمين

١١ / رمضان / ١٤٤١هـ

البيضاء - اليمن:

أولاً تعريف: الإِحْسَان

الإِحْسَانُ لُغَةً:

مصدر أحسن يحسن إحساناً، وهو ضد الإساءة، وهو إجادة العمل وإتقانه وإخلاصه. ويطلق على معنيين:

الأول: متعدد بنفسه، كقولك: أحسنت كذا، وفي كذا، إذا حسنته وكملته.
الثاني: متعدد بحرف جر، كقولك: أحسنت إلى كذا، أي: أوصلت إليه ما ينتفع به. والمحاسن ضد المساوئ قال الله تعالى ﴿أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ القصص: ٥٤^(١).

الإِحْسَانُ شَرْعاً:

عرفه الحافظ ابن رجب **رَحِمَهُ اللَّهُ** - عند حديث جبريل: أَنَّ الإِحْسَانَ هُوَ أَنْ يُعْبَدَ الْمُؤْمِنُ رَبَّهُ فِي الدُّنْيَا عَلَى وَجْهِ الْحُضُورِ وَالْمُرَاقَبَةِ، كَأَنَّهُ يَرَاهُ بِقَلْبِهِ وَيَنْظُرُ إِلَيْهِ فِي حَالِ عِبَادَتِهِ، فَكَانَ جَزَاءُ ذَلِكَ النَّظَرَ إِلَى اللَّهِ عَيَاناً فِي الْآخِرَةِ.^(٢)

وفسره القاضي عياض - **رَحِمَهُ اللَّهُ** - فقال: معناه الإخلاص ومراقبة الله في السر والعلن.^(٣)

وقال الفيروز أبادي: هو كلُّ مُبْهَجٍ مرغوب فيه، عقلاً، أو حسّاً، أو هوىً.

(١) انظر: مقاييس اللغة (١٩٣/١) وتهذيب اللغة (٣١١/٥) والصحاح (٣١٣/١) وتفسير القرطبي (١٦٦/١٠).

(٢) جامع العلوم والحكم (١٢٨/١).

(٣) إكمال المعلم (١٨٩/١).

الإِحْسَانُ

وقد حَسُنَ يحسن ككرم يكرم، وحَسَنَ يَحْسُنُ كنصر ينصر، فهو حَاسِنٌ وَحَسَنٌ وَحَسِينٌ وَحُسَانٌ وَحُسَانٌ. والجمع حِسَانٌ وَحُسَانُونَ، وهي حَسَنَةٌ وَحَسَنَاءٌ وَحُسَانَةٌ. والجمع حِسَانٌ، وَحُسَانَاتٌ. ولا يقال: رجلٌ أَحْسَنَ وإنما يقال: هو الأَحْسَنُ، على إرادة التفضيل. الجمع الأَحْسَنُ. وأحاسن القوم حَسَانَهُمْ. ^(١) وهو على قسمين:

النوع الأول: إحسان إلى عباد الله: وهو أقسام:

القسم الأول: واجب، وهو أن تقوم بحقوقهم الواجبة على أكمل وجه. مثل بر الوالدين، وصلة الأرحام، والإنصاف في جميع المعاملات. ويدخل في هذا القسم: الإحسان للبهائم، والإحسان في القتل، لما في صحيح مسلم من حديث شداد بن أوس - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قال: ثنتان حفظتهما عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: إن الله كتب الإحسان على كل شيء، فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة، وليحد أحدكم شفرته، فليرح ذبيحته. ^(٢) قال الحافظ ابن رجب - رَحِمَهُ اللَّهُ - ^(٣):

وهذا الحديث يدل على وجوب الإحسان في كل شيء من الأعمال، لكن إحسان كل شيء بحسبه، فالإحسان في الإتيان بالواجبات الظاهرة والباطنة: الإتيان بها على وجه كمال واجباتها، فهذا القدر من الإحسان فيها واجب، وأما الإحسان فيها بإكمال مستحباتها فليس بواجب.

والإحسان في ترك المحرمات: الانتهاء عنها، وترك ظاهرها وباطنها، كما قال الله تعالى: ﴿وَذَرُوا ظَاهِرَ الْإِنِّمِ وَبَاطِنَهُ إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الْإِنِّمَ سَيَجْزَوْنَ

(١) بصائر ذوي التمييز (٢/ ٤٦٤-٤٦٥).

(٢) مسلم (١٩٥٥).

(٣) جامع العلوم والحكم (١/ ٣٨١-٣٨٢).

بِمَا كَانُوا يَقْتَرِفُونَ ﴿١٢٠﴾ الأنعام: ١٢٠ ، فهذا القدر من الإحسان فيها واجب.

وأما الإحسان في الصبر على المقدورات، فإن يأتي بالصبر عليها على وجهه من غير تسخط ولا جزع.

والإحسان الواجب في معاملة الخلق ومعاشرتهم: القيام بما أوجب الله من حقوق ذلك كله، والإحسان الواجب في ولاية الخلق وسياستهم، القيام بواجبات الولاية كلها، والقدر الزائد على الواجب في ذلك كله إحسان ليس بواجب.

والإحسان في قتل ما يجوز قتله من الناس والدواب: إزهاق نفسه على أسرع الوجوه وأسهلها من غير زيادة في التعذيب، فإنه إيلا م لا حاجة إليه. وهذا النوع هو الذي ذكره النبي ﷺ في الحديث، ولعله ذكره على سبيل المثال، أو لحاجته إلى بيانه في تلك الحال.

القسم الثاني: الإحسان المستحب: وهو ما زاد على الواجب من بذل نفع بدني، أو مالي، أو علمي، فيساعد من احتاج إلى مساعدته ببدنه، أو بهاله، أو بعلمه، فهذا كله داخل في باب الإحسان، وأجل أنواع الإحسان: الإحسان إلى من أساء إليك، كما قال الله تعالى: ﴿وَمَا يُلْقِهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقِهَا إِلَّا ذُرٌّ حَظٍ عَظِيمٍ﴾ ﴿٣٥﴾ فصلت: ٣٥.

وَصِلَةِ الْأَرْحَامِ وَالْأَقَارِبِ	نَدْعُو إِلَى الْبِرِّ بِأَمٍّ وَأَبٍ
وَالرَّفْقِ بِالْمَمْلُوكِ وَالْبَهِيمِ	ثُمَّ إِلَى الْإِحْسَانِ بِالْيَتِيمِ
نَدْعُو لِكَيْ يَكُونَ فِينَا خُلُقًا	ثُمَّ إِلَى حُسْنِ الْجَوَارِ مُطْلَقًا

النوع الثاني: الإحسان في عبادة الله عزَّ وجلَّ:

قال الحافظ ابن حجر - رَحِمَهُ اللهُ - في شرح حديث جبريل:

قوله (الإحسان): هو مصدر، تقول أحسن يحسن إحساناً. ويتعدى بنفسه وبغيره تقول أحسنت كذا إذا أتقنته، وأحسنت إلى فلان إذا أوصلت إليه النفع، والأول هو المراد لأن المقصود إتقان العبادة. وقد يلحظ الثاني بأن المخلص مثلاً محسن بإخلاصه إلى نفسه، وإحسان العبادة: الإخلاص فيها والخشوع وفراغ البال حال التلبس بها ومراقبة المعبود. ^(١)

وقد عرفه النبي ﷺ بقوله: أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك. ^(٢)

والإحسان أعلى مراتب الدين وأعظمها. وأهله هم المستكملون لها السابقون للخيرات، المقربون في علو الدرجات الحائزو سبق المنازل العاليات أقرب الناس إلى رب الأرض والسموات بهم ينتزل الخير ويدفع الشر والضير لولاهم لما بقيت في الأرض باقية فهم أصفياء الله تعالى في الأرض وخلفاء الأنبياء الصادقون بقولهم وفعلهم فما أطيبهم وأطيب أثرهم وما أحسنهم وأحسن فعلهم فهم الطيبون المطيبون الأتقياء البررة ف رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وأرضاهم. وإذا كان الإسلام هو الأركان الظاهرة عند التفصيل واقترانه بالإيمان. والإيمان إذ ذاك هو الأركان الباطنة، فإن الإحسان هو تحسين الظاهر والباطن. وأما عند الإطلاق فإنه يشمل الدين كله. ^(٣)

(١) فتح الباري (١/ ١٢٠).

(٢) البخاري (٥٠) مسلم (٩).

(٣) كما في الموسوعة العقدية (٦/ ١٨٢-١٨٣).

فالإحسان في لغة القرآن الكريم يطلق بإطلاقين:

أحدهما: الإتقان والإجادة في العمل والقيام بالطاعات على وجهها، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾ ﴿٣٠﴾ الكهف: ٣٠ وقوله تعالى: ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ﴾ السجدة: ٧.

والثاني: التفضل على غيره بالعطاء والزيادة فيه؛ وعندني أن هذا في الجملة يعود إلى الأول لأن ذلك من قبيل إتقان العبادة، والإخلاص الكامل فيها.^(١) قال الإمام السعدي - رَحِمَهُ اللَّهُ -:

والإحسان نوعان: الإحسان في عبادة الخالق. والإحسان إلى المخلوق، فالإحسان في عبادة الخالق فسرّها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بقوله: أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك

وأما الإحسان إلى المخلوق، فهو إيصال النفع الديني والدنيوي إليهم، ودفع الشر الديني والدنيوي عنهم، فيدخل في ذلك أمرهم بالمعروف، ونهيهم عن المنكر، وتعليم جاهلهم، ووعظ غافلهم، والنصيحة لعامتهم وخاصتهم، والسعي في جمع كلمتهم، وإيصال الصدقات والنفقات الواجبة والمستحبة إليهم، على اختلاف أحوالهم وتباين أوصافهم، فيدخل في ذلك بذل الندي وكف الأذى، واحتمال الأذى، كما وصف الله به المتقين في هذه الآيات، فمن قام بهذه الأمور، فقد قام بحق الله وحق عبده.^(٢)

وَالدِّينُ إِسْلَامٌ كَذَا إِيْمَانٌ وَفِيهِ أَيْضًا يَدْخُلُ الْإِحْسَانُ

(١) زهرة التفاسير (٢/٥٩٦).

(٢) تيسير الكريم الرحمن (١٥٠).

والإحسان نوعان من حيث تعديه ونفعه:

أحدهما: إحسان قاصر على النفس لا يتعداها إلى سواها، وأعلاه حملها على الإيمان بالله وطاعته وطاعة رسوله.

الثاني: إحسان يتعداها إلى غيرها وهو يتعلق بالقلوب والأبدان.

فإحسان القلوب: يكون بإرادة كل نفع للعباد، والصبر على المظالم، وأن يحب المسلم لأخيه ما يحب لنفسه، ويوقر من يستحق التوقير.

وإحسان الأبدان أقسام: ومنه نقل الملك إلى الغير بالهبات والصدقات وإباحة المنافع والأعيان كالعواري والضيافات والإسقاط كالعتق والإبراء من الديون والعفو عن القصاص والحدود وسائر العقوبات.

ومنه الإعانة على الطاعات بتعليمها والمساعدة على فعلها.

ومنه الإعانة بكل نفع عاجل أو آجل فعلي أو قولي كهداية الضال، وخدمة العاجز، وفك الأسير، وإرشاد الحيران.

ومنه حُسن الأخلاق كإظهار البشر، وطلاقة الوجه، والتبسم في وجوه الإخوان.

وإحسان الإحسان أن يفعل أعلى مراتبه خلياً من الشبه والأذية، والإذلال والمنّة، بالاستقامة على الدين، والدعوة إليه. قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ (٣٣) فصلت: (١).

فأهل الإحسان والنفع المتعدي للغير هم العلماء والدعاة وأئمة العدل وأهل الجهاد والأمرون بالمعروف والناهون عن المنكر وأهل الصدقة وبذل

(١) موسوعة فقه القلوب (١ / ٧٨٦).

الأموال في مرضاة الله الذين قهروا النفس البشرية الطماعة وأرغموا الشيطان فكانت نفوسهم طيبة وقلوبهم صالحة سليمة وضمايرهم حية.

وأهل الإحسان هم خلق غير الخلق الذي نراه ونعاشره ونعلمه قوم اصطفاهم الله تعالى فكان السداد والتوفيق حليفهم والبذل والعطاء والنفع ملازم لهم كأنهم ما خلقوا إلا للنفع والخير والإصلاح والإحسان فهنيئاً لأهل الإحسان والخير والعطاء والنفع الحسي والمعنوي.

فهؤلاء هم سادة أهل الأرض المحبوبون من ربهم ومن مجتمعهم الخير فيهم ظاهر لا يجازون بالسيئة إذا ظلموا ولا يقابلون بالخطيئة إذا قهروا وليس لهم المثل السوء في مجازاة الجاهلين وإذا مروا باللغو مروا كراماً.

وهؤلاء ملوك الآخرة وصحائف حسناتهم متزايدة تملئ بها الحسنات وهم في بطون الأرض ما دامت آثارهم في الدنيا جارية.

فيا لها من نعمة ما أجلها، وكرامة ما أعظمها، والله يختص برحمته من يشاء، وهو أعلم حيث يجعل رسالته، والله عليم حكيم نسأل الله تعالى من منازل العالية في الدنيا والآخرة.

ثانياً: ورود الإحسان في القرآن الكريم

وقد ورد الإحسان في التّنزيل على ثلاثة عشر وجهاً: (١)

الأوّل: بمعنى الإيمان ﴿فَأَثَبَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا جَنَّتِ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ﴾ المائدة: ٨٥ .

الثاني: بمعنى الصّلاة على النبي ﷺ - : ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلُهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ الأنعام: ١٦٠ .

الثالث: بمعنى قيام الليل للتهجد ﴿ءَاخِذِينَ مَا ءَانَهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ﴾ الذاريات: ١٦ .

الرّابع: بمعنى الإنفاق والتصدق على الفقراء: ﴿وَأَحْسِنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ المائدة: ٩٣ .

الخامس: بمعنى خدمة الوالدين، وبرّهما ﴿وَالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ النساء: ٣٦ .

السادس: بمعنى العفو عن المجرمين: ﴿وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ آل عمران: ١٣٤ .

السّابع: بمعنى الاجتهاد في الطاعة: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ العنكبوت: ٦٩ .

الثامن: بمعنى أنواع الطّاعة: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى﴾ يونس: ٢٦ .

التاسع: بمعنى الإخلاص في الدين والإيمان^(١): ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَنِ﴾ النحل: ٩٠.

العاشر: بمعنى الإحسان إلى المستحقين: ﴿وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾ القصص: ٧٧.

الحادي عشر: بمعنى كلمة النجاة والفوز من النيران^(٢): ﴿إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ﴾ الإسراء: ٧.

الثاني عشر: بمعنى نعيم الجنان والرضوان: ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَنُ﴾ الرحمن: ٦٠.

قلت: بعضهما يوافق عليها والبعض لا يوافق عليه بل هي من معاني كلمة الإحسان وليس المقصود في الآية هذا المعنى والله تعالى أعلم.

وقد جاء ذكره في القرآن في مواضع مقروناً:

تارة مقروناً بالإيمان، وتارة مقروناً بالإسلام، وتارة مقروناً بالتقوى، وتارة مقروناً بالعمل.

فالمقرون بالإيمان كقول الله - عَزَّوَجَلَّ - : ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا

(١) قال العلامة القنوجي رَحِمَهُ اللَّهُ: والأولى تفسير العدل بالمعنى اللغوي وهو المتوسط بين طرفي الإفراط والتفريط فمعنى أمره سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِالْعَدْلِ أن تكون عبادة في الدين على حالة متوسطة ليست بمائلة إلى جانب الإفراط وهو الغلو المذموم في الدين ولا إلى جانب التفريط وهو الإخلال... إلى قوله: وأما الإحسان فمعناه اللغوي يرشد إلى أنه التفضل بما لم يجب كصدقة التطوع، ومن الإحسان فعل ما يثاب عليه العبد مما لم يوجبه الله عليه في العبادات وغيرها ولم يذكر متعلقات العدل والإحسان والبغي ليعم جميع ما يعدل فيه ويحسن به وإليه وينبغي فيه. [فتح البيان (٧/ ٣٠٢)].

(٢) قال العلامة السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: ﴿إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لَأَنْفُسِكُمْ﴾ لأن النفع عائد إليكم حتى في الدنيا كما شاهدتم من انتصاركم على أعدائكم. ﴿وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾ أي: فلا أنفسكم يعود الضرر كما أراكم الله من تسليط الأعداء. [تيسير الكريم الرحمن (٤٥٣)].

الإِحْسَانُ

الصَّلَاحَتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَءَامَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسِنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿٩٣﴾ المائدة: ٩٣

والمقرون بالإسلام كقوله تعالى: ﴿بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ ﴿١١٢﴾ البقرة: ١١٢، وقوله: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾ ﴿١٢٥﴾ النساء: ١٢٥، وقوله: ﴿وَمَنْ يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ وَإِلَى اللَّهِ عِقْبَةُ الْأُمُورِ﴾ ﴿٢٢﴾ لقمان: ٢٢.

والمقرون بالتقوى كقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ ﴿١٢٨﴾ النحل: ١٢٨.

وقد يذكر مفردًا كقوله تعالى: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ ﴿يونس﴾ يونس: ٢٦.

وقد ثبت في صحيح مسلم ^(١) عن النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - تفسير الزيادة بالنظر إلى وجه الله - عَزَّوَجَلَّ - في الجنة.

وهذا مناسب لجعله جزاءً لأهل الإحسان؛ لأن الإحسان هو أن يعبد المؤمن ربه في الدنيا على وجه الحضور والمراقبة، كأنه يراه بقلبه، وينظر إليه في حال عبادته، فكان جزاء ذلك النظر إلى الله عياناً في الآخرة. ^(٢) وعلى قدر إحسانه فمنهم من ينظر إليه بكرة وعشية ومنهم من ينظر إليه كل أسبوع فبقدر إحسان العبد بقدر التمكن من رؤية العزيز الحكيم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

(١) (١٨٠).

(٢) عقيدة المسلم في ضوء الكتاب والسنة (٢/ ٦٠٨).

الفرق بين الإحسان وبعض الكلمات المشابهة :

الفرق بين الإجمال والإحسان : أن الإجمال هو الإحسان الظاهر من قولك رجل جميل كأنما يجري فيه السمن وأصل الجميل الودك واجتمل الرجل إذا طبخ العظام ليخرج ودكها ويقال أحسن إليه فيعدي بإلى وأجل في أمره لأنه فعل الجميل في أمره ويقال أنعم عليه لأنه دخله معنى علو نعمة عليه فهي غامرة له، ولذلك يقال هو غريق في النعمة ولا يقال غريق في الإحسان والإجمال ويقال أجمل الحساب فيعدي ذلك بنفسه لأنه مضمن بمفعول ينبئ عنه من غير وسيلة، وقد يكون الإحسان مثل الإجمال في استحقاق الحمد به وكما يجوز أن يحسن الإنسان إلى نفسه يجوز أن يجمل في فعله لنفسه. ^(١)

الفرق بين الإحسان والإفضال : أن الإحسان النفع الحسن، والإفضال النفع الزائد على أقل المقدار وقد خص الإحسان بالفضل ولم يجب مثل ذلك في الزيادة لأنه جرى مجرى الصفة الغالبة كما اختص النجم بالسماك ولا يجب مثل ذلك في كل مرتفع. ^(٢)

الفرق بين الإحسان والفضل : أن الإحسان قد يكون واجباً وغير واجب، والفضل لا يكون واجباً على أحد وإنما هو ما يتفضل به من غير سبب يوجبه. ^(٣)

الفرق بين الإنعام والإحسان : أن الإنعام لا يكون إلا من المنعم على غيره لأنه متضمن بالشكر الذي يجب وجوب الدين، ويجوز إحسان الإنسان إلى نفسه تقول لمن يتعلم العلم أنه يحسن إلى نفسه ولا تقول منعم على نفسه،

(١) الفروق اللغوية (٢١).

(٢) الفروق اللغوية (٢٣).

(٣) الفروق اللغوية (٢٤).

والإحسان متضمن بالحمد ويجوز الحامد لنفسه، والنعمة متضمنة بالشكر ولا يجوز شكر الشاكر لنفسه لأنه يجري مجرى الدين ولا يجوز أن يؤدي الإنسان الدين إلى نفسه، والحمد يقتضي تبقية الإحسان إذا كان للغير، والشكر يقتضي تبقية النعمة، ويكون من الإحسان ما هو ضرر مثل تعذيب الله تعالى أهل النار، وكل من جاء بفعل حسن فقد أحسن، ألا ترى أن من أقام حدا فقد أحسن وإن أنزل بالمحدود ضررا، ثم استعمل في النفع والخير خاصة فيقال أحسن إلى فلان إذا نفعه ولا يقال أحسن إليه إذا حده ويقولون للنفع كله إحسانا ولا يقولون للضرر كله إساءة، فلو كان معنى الإحسان هو النفع على الحقيقة لكان معنى الإساءة الضرر على الحقيقة لأنه ضده، والأب يحسن إلى ولده بسقيه الدواء المر، وبالفصد والحجامة، ولا يقال ينعم عليه بذلك ويقال أحسن إذا أتى بفعل حسن ولا يقال أقبح إذا أتى بفعل قبيح اكتفوا بقولهم أساء، وقد يكون أيضا من النعمة ما هو ضرر مثل التكليف نسمة لما يؤدي إليه من اللذة والسرور.^(١)

(١) الفروق اللغوية (٨٢-٨٣)

رابعاً: الإحسان من صفات الله تعالى

وصف الله تعالى أسمائه بالحسنى فقال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾ الأعراف: ١٨٠ في أربعة مواضع من كتابه الكريم.

قال العلامة السعدي - رَحِمَهُ اللَّهُ -: هذا بيان لعظيم جلاله وسعة أوصافه، بأن له الأسماء الحسنى، أي: له كل اسم حسن، وضابطه: أنه كل اسم دال على صفة كمال عظيمة، وبذلك كانت حسنى، فإنها لو دلت على غير صفة، بل كانت علماً محضاً لم تكن حسنى، وكذلك لو دلت على صفة ليست بصفة كمال، بل إما صفة نقص أو صفة منقسمة إلى المدح والقدح، لم تكن حسنى، فكل اسم من أسمائه دال على جميع الصفة التي اشتق منها، مستغرق لجميع معناها. وذلك نحو ﴿العليم﴾ الدال على أن له علماً محيطاً عاماً لجميع الأشياء، فلا يخرج عن علمه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء.

و﴿الرحيم﴾ الدال على أن له رحمة عظيمة، واسعة لكل شيء.

و﴿القدير﴾ الدال على أن له قدرة عامة، لا يعجزها شيء، ونحو ذلك.

ومن تمام كونها حسنى أنه لا يدعى إلا بها، ولذلك قال: ﴿فَادْعُوهُ بِهَا﴾ الأعراف: ١٨٠، وهذا شامل لدعاء العبادة، ودعاء المسألة، فيدعى في كل مطلوب بما يناسب ذلك المطلوب، فيقول الداعي مثلاً اللهم اغفر لي وارحمني، إنك أنت الغفور الرحيم، وتب عليّ يا تواب، وارزقني يا رزاق، والطف بي يا لطيف ونحو ذلك.

الإِحْسَانُ

وقوله: ﴿وَذَرُوا الَّذِينَ يُلِحُّدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (١٨٠) الأعراف: ١٨٠ ، أي: عقوبةً وعذاباً على إلحادهم في أسمائهم، وحقيقة الإلحاد الميل بها عما جعلت له، إما بأن يسمى بها من لا يستحقها، كتسمية المشركين بها لألھتهم، وإما بنفي معانيها وتحريفها، وأن يجعل لها معنى ما أراده الله ولا رسوله، وإما أن يشبه بها غيرها، فالواجب أن يحذر الإلحاد فيها، ويحذر الملحدون فيها. (١)

والمحسن اسم من أسماء الله والإِحْسَانُ صفةٌ من صفات الله عَزَّجَلَّ الفعلية الثابتة بالكتاب والسُّنة، والإِحْسَانُ يأتي بمعنيين:

١- الإنعام على الغير، وهو زائد على العدل.

٢- الإتيان والإحكام.

والمحسن من أسماء الله تعالى :

والدليل من الكتاب :

١- قوله تعالى: ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ، وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ﴾ (٧) السجدة: ٧ .

٢- وقوله: ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ (٣) التغابن: ٣ .

٣- وقوله: ﴿قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقًا﴾ (١١) الطلاق: ١١ .

والدليل من السنة :

١- حديث أنس - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إذا حكمتهم؛

(١) تيسير الكريم الرحمن (٣٠٩).

فاعدلوها، وإذا قتلتم؛ فأحسنوا؛ فإن الله مُحْسِنٌ يحب الإحسان . (١)

٢- حديث شداد بن أوس - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قال: حفظت من رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اثنتين؛ أنه قال: إن الله عَزَّجَلَّ مُحْسِنٌ يحب الإحسان، فإذا قتلتم؛ فأحسنوا القتلة . (٢)

٣- وحديث الحسن عن سمرة مرفوعاً: إن الله عَزَّجَلَّ مُحْسِنٌ؛ فأحسنوا... الحديث . (٣) (٤)

فاسم الله المحسن يدل على ذات الله وعلى صفة الإحسان بدلالة المطابقة وعلى ذات الله وحدها بالتضمن وعلى صفة الإحسان وحدها بدلالة التضمن ويدل باللزوم على الحياة والقيومية والإرادة والمشيئة والسمع والبصر والعلم والقدرة والغني والعزة واللفظ والرحمة، وغير ذلك من صفات الكمال، واسم الله المحسن دل على صفة من صفات الأفعال.

والمحسن سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى هو الذي له كمال الحسن في أسمائه وصفاته وأفعاله، كما قال تعالى في كتابه: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ طه: ٨ ، فلا شيء أكمل ولا أجمل من الله ، فكل كمال وجمال في المخلوق من آثار صنعته، وهو الذي لا يجد كماله ولا يوصف جلاله ، ولا يحصي أحد من خلقه ثناء عليه ، بل هو كما أثنى على نفسه ، ليس في أفعاله عبث ولا في أوامره سفه ، بل أفعاله كلها لا تخرج عن الحكمة والمصلحة والعدل والفضل والرحمة ، إن أعطى فبفضله ورحمته وإن منع أو عاقب فبعدله وحكمته ، وهو الذي أحسن كل شيء خلقه فأتقن صنعه وأبدع كونه وهداه لغايته ، وأحسن إلى خلقه بعموم

(١) السلسلة الصحيحة (٤٦٩) .

(٢) صحيح الجامع (١٨٢٤) .

(٣) صحيح الجامع (١٨٢٣) .

(٤) صفات الله الواردة في الكتاب والسنة مع بعض الزيادة (٥٠-٥٢) .

الإِحْسَانُ

نعمه وشمول كرمه وسعة رزقه على الرغم من مخالفة أكثرهم لأمره ونهيه ،
وأحسن إلي المؤمنين فوعدهم الحسني وعاملهم بفضله ، وأحسن إلى من أساء
فأمهله ثم حاسبه بعدله .

فَكُلُّ مَنْ عَلَى الْوُجُودِ فَانِي ... حَقًّا وَيَبْقَى وَجْهُ ذِي الْإِحْسَانِ

ويتجلى إحسان الله تعالى في إحسان فطرة بني آدم قال الله تعالى ﴿ صِبْغَةَ اللَّهِ ﴾
وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَبِيدُونَ ﴿١٣٨﴾ البقرة: ١٣٨ وفي إحسان
خلقهم قال الله تعالى ﴿ أُنْذِرُوا بَعْلًا وَنَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَلْقِينَ ﴾ ﴿١٢٥﴾ الصافات:
١٢٥ وقال الله تعالى: ﴿ الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ ﴾ ﴿٧﴾
السجدة: ٧ ، وقال الله تعالى: ﴿ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَلْقِينَ ﴾ ﴿١٤﴾ المؤمنون: ١٤ ،
وفي إحسان حكمه وتشريعه لهم قال الله تعالى ﴿ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ
مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ ﴿٥٠﴾ المائدة: ٥٠ ، ووصف كلمته بالحسنى قال الله
تعالى: ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَى ﴾ ووصف كتابه بأنه أحسن الحديث قال
الله تعالى: ﴿ اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ ﴾ الزمر: ٢٣ ، وغيرها كثير والله المستعان .

خامساً: مراتب الإحسان وحقيقته

قال ابن تيمية: وأما الإحسان فهو أعم من جهة نفسه، وأخص من جهة أصحابه من الإيمان. والإيمان أعم من جهة نفسه، وأخص من جهة أصحابه من الإسلام. فالإحسان يدخل فيه الإيمان، والإيمان يدخل فيه الإسلام، والمحسنون أخص من المؤمنين، والمؤمنون أخص من المسلمين. ^(١)

يقول ابن قيم الجوزية ما خلاصته: الإحسان على ثلاث درجات:

الدرجة الأولى: الإحسان في القصد بتهذيبه علماً وإبرامه عزماً وتصفيته حالاً.

الدرجة الثانية: الإحسان في الأحوال وهو أن تراعيها غيره، وتسترها نظراً، وتصححها تحقيقاً، والمراد بمراعاتها: حفظها وصونها غيره عليها أن تحوّل فإنها تمرّ مرّ السحاب، وتكون المراجعة أيضاً بدوام الوفاء وتجنّب الجفاء. الدرجة الثالثة: الإحسان في الوقت وهو ألاّ تزايل المشاهدة أبداً، ولا تخلط بهمتك أحداً، والمعنى في ذلك أن تتعلّق همّتك بالحقّ وحده، ولا تعلق همّتك بأحد غيره. ^(٢)

وقال العلامة الفوزان - حفظه الله تعالى - : فالإحسان بين العبد وبين ربه هو إتقانه العمل الذي كلفه الله به، بأن يأتي به صحيحاً خالصاً لوجه الله عزّ وجلّ، عمل الإحسان بين العبد وربّه ما توفر فيه الإخلاص لله عزّ وجلّ،

(١) كتاب الإيمان (١١) .

(٢) المدارج (٢/ ٤٨٠) .

الإِحْسَانُ

والم تابعة للرسول **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، وقد بين النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** أن الإِحْسَان على مرتبتين، واحدة أعلى من الأخرى.

الأولى: أن تعبد الله كأنك تراه، بأن يبلغ بك اليقين والإيمان بالله كأنك تشاهد الله عياناً، ليس عندك تردد أو أي شك، بل كأن الله أمامك **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** تراه عياناً، فمن بلغ هذه المرتبة فقد بلغ غاية الإِحْسَان، تعبد الله كأنك تراه من كمال اليقين وكمال الإخلاص، كأنك ترى الله عياناً، والله جل وعلا لا يرى في الدنيا، وإنما يرى في الآخرة، ولكن تراه بقلبك حتى كأنك تراه بعينيك، ولذلك يجازى أهل الإِحْسَان بالآخرة بأن يروه **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، لما عبدوه وكأنهم يرونه في الدنيا جازاهم الله بأن أفسح لهم المجال بأن يروه بأبصارهم في دار النعيم.

وقال الله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ يونس: ٢٦، الزيادة هي النظر لوجه الله، السبب أنهم أحسنوا في الدنيا، فأعطاهم الله الحسنى، وهي الجنة، وزادهم رؤية الله **عَزَّ وَجَلَّ**، تعبد الله كأنك تراه على المشاهدة، والمحبة والشوق إلى لقائه **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، تتلذذ بطاعته، وتطمئن إلى طاعته **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، تشتاق إليها، هذه طريقة المحسنين.

المرتبة الثانية: إذا لم تبلغ هذه المرتبة العظيمة فإنك تعبدته على طريقة المراقبة، بأن تعلم أن الله يراك، ويعلم حالك، ويعلم ما في نفسك، فلا يليق بك أن تعصيه، وأن تخالف أمره، وهو يراك ويطلع عليك، وهذه حالة جيدة، ولكنها أقل من الأولى، وما دمت أنك تعلم أنه يراك فإنك تحسن عبادته وتتقنها؛ لأنك تعلم أن الله يراك، والله المثل الأعلى لو كنت أمام مخلوق له منزلة وأمر بك بأمر، وأنت تنفذ هذا الأمر أمامه وينظر إليك، هل يليق بك أن يقع منك إخلال بهذا الفعل؟

والحاصل: أن الإحسان على مرتبتين:

مرتبة المشاهدة القلبية: وهي أن تعبد الله كأنك تراه من شدة اليقين والإيمان، كأنك ترى الله **عَزَّوَجَلَّ** عياناً.

والمرتبة الثانية: وهي أقل منها، أن تعبد الله وأنت تعلم أنه يراك ويطلع عليك، فلا تعصيه ولا تخالف أمره **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**.

هذه مرتبة الإحسان، وهي أعلى مراتب الدين، من بلغها فإنه بلغ أعلى مراتب الدين، وقبلها مرتبة الإيمان، وقبلها مرتبة الإسلام. ^(١)

وقال العلامة حافظ حكمي - **رَحْمَةُ اللَّهِ** -:

مَرْتَبَةُ الْإِحْسَانِ عَلَى دَرَجَتَيْنِ وَأَنَّ لِلْمُحْسِنِينَ فِي الْإِحْسَانِ مَقَامَيْنِ مُتَفَاوَتَيْنِ: الْمَقَامُ الْأَوَّلُ - وَهُوَ أَعْلَاهُمَا -: أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، وَهَذَا مَقَامُ الْمُشَاهَدَةِ، وَهُوَ أَنْ يَعْمَلَ الْعَبْدُ عَلَى مُقْتَضَى مُشَاهَدَتِهِ لِلَّهِ **عَزَّوَجَلَّ** بقلبه، فَمَنْ عَبَدَ اللَّهَ **عَزَّوَجَلَّ** عَلَى اسْتِحْضَارِ قُرْبِهِ مِنْهُ وَإِقْبَالِهِ لِيهِ وَأَنَّهُ بَيْنَ يَدَيْهِ كَأَنَّهُ يَرَاهُ أَوْجَبَ لَهُ ذَلِكَ الْخَشْيَةُ وَالْخَوْفُ وَالْهِيبَةُ وَالتَّعْظِيمُ.

والمقام الثاني: مَقَامُ الْإِخْلَاصِ، وَهُوَ أَنْ يَعْمَلَ الْعَبْدُ عَلَى اسْتِحْضَارِ مُشَاهَدَةِ اللَّهِ إِيَّاهُ وَاطْلَاعِهِ عَلَيْهِ وَقُرْبِهِ مِنْهُ، فَإِذَا اسْتَحْضَرَ الْعَبْدُ هَذَا فِي عَمَلِهِ يَمْنَعُهُ مِنَ الْإِلْتِفَاتِ إِلَى غَيْرِ اللَّهِ وَإِرَادَتِهِ بِالْعَمَلِ، وَهَذَا الْمَقَامُ هُوَ الْوَسِيلَةُ الْمَوْصِلَةُ إِلَى الْمَقَامِ الْأَوَّلِ، وَلِهَذَا أَتَى بِهِ النَّبِيُّ - **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** - تَعْلِيلًا لِلأَوَّلِ فَقَالَ: فَإِنْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ وَقَدْ ذَكَرَ اللَّهُ هَذَا الْمَعْنَى فِي غَيْرِ مَا مَوْضِعٍ مِنَ الْقُرْآنِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: **﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ**

(١) شرح الأصول الثلاثة (٢٢٢-٢٢٤).

الإِحْسَانُ

شُهِدُوا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿٦١﴾ . (١)

فالمحسنون، الذين كملوا مراتب الإسلام والإيمان، وارتفعوا إلى مرتبة الإحسان، فعبدوا الله كأنهم يرونه، فإن لم يكونوا يرونه فقد استشعروا رؤيته لهم، وبذلوا ما استطاعوا من النفع لعباده، فجمعوا بين الإحسان في عبادة الرب، ومعاملة الخلق.

وأعظم ما تميزت به هذه الطائفة هو قوة معرفتهم بالله، بشهود وحدانيته، واستحقاقه وحده للألوهية، واستشعار قلوبهم لمعاني صفاته من خلال تفكرهم بآياته الكونية، وتدبرهم لآياته التنزيلية.

وقال ابن تيمية - رَحِمَهُ اللهُ - :

قَدْ قِيلَ : إِنَّ الْإِحْسَانَ هُوَ الْإِخْلَاصُ وَالتَّحْقِيقُ : أَنَّ الْإِحْسَانَ يَتَنَاوَلُ الْإِخْلَاصَ وَغَيْرَهُ وَالْإِحْسَانُ يَجْمَعُ كَمَالَ الْإِخْلَاصِ لِلَّهِ وَيَجْمَعُ الْإِتْيَانَ بِالْفِعْلِ الْحَسَنِ الَّذِي يُحِبُّهُ اللَّهُ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ (١١٢) البقرة: ١١٢ ، وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا ﴾ (١٢٥) النساء: ١٢٥ فَذَكَرَ إِحْسَانَ الدِّينِ أَوَّلًا ثُمَّ ذَكَرَ الْإِحْسَانَ ثَانِيًا فَإِحْسَانَ الدِّينِ هُوَ - وَاللَّهُ أَعْلَمُ - الْإِحْسَانُ الْمَسْئُولُ عَنْهُ فِي حَدِيثِ جَبْرِيلَ فَإِنَّهُ سَأَلَهُ عَنِ الْإِسْلَامِ وَالْإِيمَانِ. (٢)

وأهل الإحسان أقل من أهل الإيمان، فأهل الإيمان أكثر من أهل الإحسان،

(١) معارج القبول (٣٠٩-٣١٠).

(٢) الإيمان الأوسط (٨٤).

يعني: أكثر من جهة أهله، وأقل من جهة وصفه - من الإحسان -؛ وذلك لأن أهل الإحسان جمعوا الخصال الثلاث فأصبحوا مؤمنين مسلمين محسنين، فهم جمعوا بين الإتيان للعمل، وبين العبادة لله كأنهم يرونه، وبين مراقبته، وبين الإتيان به وبملائكته وكتبه ورسوله واليوم الآخر، والبعث بعد الموت، والإيمان بالقدر، والصلاة، والصوم، والحج، جمعوا الأعمال كلها، وتركوا السيئات وابتعدوا عن الآثام، فهم أكثر من جهة الوصف، ولكنهم أقل من أهل الإيمان. فأهل الإحسان أقل من أهل الإيمان، وأهل الإيمان أقل من أهل الإسلام، ولكن أهل الإسلام أقل أعمالاً من أهل الإيمان، وأهل الإيمان أقل أعمالاً من أهل الإحسان، هذا معنى كونهم أقل من كذا وأكثر من كذا.



سادساً: الكاذبون في إحسانهم:

كل من أعرض عن دين الله تعالى وشرع الله جل وعلا ومتابعة النبي عليه الصلاة والسلام ورام الإصلاح أو الإحسان في غير اتباع لما جاء به كتاب الله وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام فإنه يسيء ولا بد لا سيما في أمور لم يتوافق عليها بنو آدم عقلاً ولا شرعاً من أمور الدنيا وأما الدين فمرده كله إلى الوحي والرسول.

والمتبّع لحال بني آدم وللمصلحين عبر الزمان فإنهم لم ينجحوا في إصلاحهم للفرد والمجتمع لا دين ودينا.

والمصلح للناس والمحسن لهم في سائر شؤونهم هم الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام بالوحي المنزل إليهم من الله **تَبَارَكَ وَتَعَالَى** لأن الله **عَزَّ وَجَلَّ** هو الذي يعلم ما يصلح العباد والبلاد.

وهؤلاء المصلحون من غير أهل الشرائع الموحى بها من السماء أفسدوا في الأرض أعظم مما أصلحوا وأولهم الشيطان الذي أراد أن يصلح قضية أفضلية الجنس فذمه الله وبين أنها التقوى والاصطفاء من الله تعالى فلم يصب في هذا الذي ظنه صواب وإنما حمّله على ذلك الجهل والكبر والغرور والحسد فطمست بصيرته وضل عن الصراط المستقيم.

ثم ولد آدم الذي قتل أخاه ثم قوم نوح الذين عبدوا الصالحين ثم توالى أهل الإصلاح المزعوم فحاربوا المصلحين وعاندوهم وكذبوهم وهذا مستمر إلى قيام الساعة كما قال تعالى **﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ**

الأَرْضِ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٢٥١﴾ البقرة: ٢٥١.

فابتلى الله تعالى هؤلاء بهؤلاء والعكس والله تعالى الحكمة البالغة في خلقه **تَبَارَكَ وَتَعَالَى** ونحن نشير لتأكيد هذه القضية إشارة لا غير وإلا فالقرآن والسنة والتاريخ والسير طافحة بمثل هؤلاء الأصناف.

والعبد لو فتش حوله وأمعن النظر لوجد ما تشيب له الرؤوس وتدمع له العيون وتحزن منه القلوب ولو لم يكفي من ذلك إلا قول النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: **إِنَّ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ سَنَوَاتٌ خَدَاعَاتٌ، يُصَدِّقُ فِيهَا الْكَاذِبُ وَيُكَذِّبُ فِيهَا الصَّادِقُ، وَيُؤْتَمَنُ فِيهَا الْخَائِنُ، وَيُخَوَّنُ فِيهَا الْأَمِينُ، وَيَنْطِقُ فِيهَا الرُّوَيْبِضَةُ، قِيلَ: وَمَا الرُّوَيْبِضَةُ؟، قَالَ: الرَّجُلُ التَّافَهُ يَتَكَلَّمُ فِي أَمْرِ الْعَامَّةِ.** (١)

وغير ذلك من فساد أهل الزمان وتقلب الحقائق على العباد ونشوء أقوام بل أجيال هذا حالهم مفسدون خبيثاء على صور المصلحين نسأل الله تعالى السلامة والعافية ومن ذلك:

الشيطان:

قال الله تعالى: ﴿وَقُلْنَا يَتَادُمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٣٥﴾ فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَعٌ إِلَى حِينٍ ﴿٣٦﴾ فَلَقِيَ آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَتٍ فَلَبَّاهُ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ النَّوَابُ الرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾ قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ تَّبَعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾﴾ البقرة: ٣٥ - ٣٨.

أظهر لهما الذنب في قالب النصيحة والإحسان لهما فمكر بهما ولو أظهر لهما ما أراد بقلب الحق والعدل والإنصاف لما قبلوا منه وهذا شأن كل أهل الباطل

(١) صحيح الجامع: (٣٦٥٠)، الصحيح: (١٨٨٧)، (٢٢٥٣).

الذين يدعون إلى باطلهم ولو كان باطلاً محضاً إلا أنهم يلبسونه بالحق ولا يظهرون منه إلا جانب الحق كما قال الله تعالى: عن اليهود وهو بيان بأنه دأب وسير أهل الباطل جميعاً قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكُنُوا لِلْحَقِّ وَأَنْتُمْ تَعْمُونَ﴾ (٤٢) البقرة: ٤٢ وقال تعالى: ﴿يَتَأْهَلِ الْكِتَابُ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكُنُونَ لِلْحَقِّ وَأَنْتُمْ تَعْمُونَ﴾ (٧١) آل عمران: ٧١ فالشيطان هو سيد أهل الباطل في سلوك هذا السبيل.

أهل الشرك بالله تعالى :

قال الله تعالى: ﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّهُمْ عَن قِبَلِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (١٤٢) البقرة: ١٤٢ .

وقال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِ مِن شَيْءٍ نَّحْنُ وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِن دُونِهِ مِن شَيْءٍ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَهَلْ عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا أَلْبَلغُ الْمُبِينُ﴾ (٣٥) النحل: ٣٥ .

وقال الله تعالى: ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَىٰ لَا جُرْمَ أَنَّهُمُ النَّارَ وَأَنَّهُمْ مُّفْرَطُونَ﴾ (٦٢) النحل: ٦٢ .

فأهل الشرك هم أهل التلبيس والكذب على أنفسهم وعلى أتباعهم فيوعدون أنفسهم بالجنة والخير في الدنيا والأخرى ولكن الله تعالى أكذبهم وقد قال الله تعالى: عن أهل الكتاب ﴿وَقَالُوا لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصْرَىٰ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (١١١) البقرة: ١١١ .

وقال تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصْرَىٰ نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّوْهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَلِلَّهِ

مَلِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴿١٨﴾ المائدة: ١٨ وأدلة ذلك كثيرة جداً.

وأمثلة ذلك كثيرة منها:

قوم نوح:

قال تعالى ﴿ كَذَبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدَجَرَ ﴿١﴾ ﴾ القمر: ٩ .

وقال تعالى ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ﴿٥﴾ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَايَ إِلَّا فِرَارًا ﴿٦﴾ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصْوَعَهُمْ فِيْءَ إِذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصْرُوا وَاسْتَكْبَرُوا ﴿٧﴾ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ﴿٨﴾ ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ﴿٩﴾ ﴾ نوح: ٥ - ٩ .

وقال تعالى: ﴿ قَالَ نُوحُ رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا ﴿٣١﴾ وَمَكَرُوا مَكْرًا كَبِيرًا ﴿٣٢﴾ وَقَالُوا لَا نَذَرُكَ الْهَتَكُ وَلَا نَذَرُ وَدَا وَلَا سَوَاعَا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٣٣﴾ وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا وَلَا نَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا ﴿٣٤﴾ مِمَّا خَطَبْتَهُمْ أُعْرِقُوا فَأَدْخِلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ أَنْصَارًا ﴿٣٥﴾ وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْنِي عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ﴿٣٦﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرَهُمْ يَضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴿٣٧﴾ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَلَدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا نَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا نَبَارًا ﴿٣٨﴾ ﴾ نوح: ٢١ - ٢٨ .

من أعظم الغش الذي واجهه قوم نوح أنهم نفروا عن النبي الكريم الناصح الصادق لهم عليه الصلاة والسلام وصرفوا وجوه الناس عنه بحجة النصيح لهم والإحسان إلى أقوامهم وأبنائهم وعشائهم وأنه عقلاً لا ينبغي أن يتبع العاقل المجنون.

فكانت هذه الحملة الخبيثة التي واجهها نبي الله نوح عليه الصلاة والسلام بالتشويه به من عدة نواحي والأمر لأقوامهم بملازمة ما كان عليه هؤلاء الصالحين كذباً وزوراً بل هم بريئون من الشرك بالله تعالى.

وتعظيم الصالحين من أعظم مظاهر إظهار الإحسان إليهم في ظاهره وفي باطنه الغش المحض لمن كان له قلب أو ألقى ونبد التبعية الحمقاء والتقليد المذموم وأعمل عقله وفكرة ولازم الحجة والبرهان الساطع الواضح بل من الإحسان إليهم تنزيلهم المنازل التي أذن الله تعالى لهم بها وأنزلهم تلك المنازل بلا إفراط ولا تفريط فإنه مسلك خطير من مسالك الضلال.

قوم شعيب :

قال الله تعالى ﴿ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَشْعَبُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيِنَا أَوْ لَتَعُودَنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أُولَئِكَ كَافِرِينَ ۖ قَدْ افْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ إِذْ بَخَّسْنَا اللَّهُ مِنْهَا وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ ۖ ۝٨٩ وَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَئِنْ أَتَبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذَا لَخَسِرُونَ ۖ ۝٩٠ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جِثِيمٍ ۖ ۝٩١ الَّذِينَ كَذَبُوا شُعَيْبًا كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا الَّذِينَ كَذَبُوا شُعَيْبًا كَانُوا هُمُ الْخَاسِرُونَ ۖ ۝٩٢ فَنَوَلَّيْنَا عَنْهُمْ وَقَالَ يَاقَوْمُ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ ءَاسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَافِرِينَ ۖ ۝٩٣﴾ الأعراف: ٨٨ - ٩٣ .

وقال تعالى: ﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَاقَوْمُ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ وَلَا تَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أَرَبُّكُمْ بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ ۖ ۝٨٤ وَيَقَوْمُ أَوفُوا بِالْمِكْيَالِ وَالْمِيزَاتِ بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْخُسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْنُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ۖ ۝٨٥﴾

بَقِيَتْ اللَّهُ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ ﴿٨٦﴾ قَالُوا يَشْعِبُ أَصْلَوْتَك تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرَكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشْتَوُا إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ ﴿٨٧﴾ قَالَ يَقَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيْنَةٍ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَخْلِفَكُمْ إِلَى مَا أَنهَكُم عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾ وَيَقَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِّنْكُمْ بِبَعِيدٍ ﴿٨٩﴾ وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ ﴿٩٠﴾ قَالُوا يَشْعِبُ مَا نَفَقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرِيكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بَعِزٌّ ﴿٩١﴾ قَالَ يَقَوْمِ أَرَهْطِي أَعَزُّ عَلَيْكُمْ مِّنَ اللَّهِ وَاتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءَكُمْ ظَهْرِيَّ إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٩٢﴾ وَيَقَوْمِ أَعْمَلُوا عَلَى مَكَانِكُمْ إِنِّي عَمِلٌ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَذِبٌ وَأَرْتَقِبُوا إِلَيَّ مَعَكُمْ رَقِيبٌ ﴿٩٣﴾ وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا بَنِي نَاعِمٍ آلِ يَاسِينَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَاتَّخَذُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جِثْمِينَ ﴿٩٤﴾ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا أَلَا بُعْدًا لِّمَدِينٍ كَمَا بَعَدَتْ ثَمُودُ ﴿٩٥﴾ هود: ٨٤ - ٩٥ .

وقال تعالى: ﴿١٧٦﴾ كَذَبَ أَصْحَابُ لَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٧٧﴾ إِنْ لَّكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٧٨﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴿١٧٩﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٨٠﴾ ﴿١٨١﴾ أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ ﴿١٨٢﴾ بِالْقِسْطِ أَسْأَلُ الْمُسْتَظِيمَ ﴿١٨٣﴾ وَاتَّقُوا الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالْجِيلَةَ الْأُولَى ﴿١٨٤﴾ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ ﴿١٨٥﴾ وَمَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَإِنْ نَظُنُّكَ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿١٨٦﴾ فَاسْقِطْ عَلَيْنَا كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١٨٧﴾ قَالَ رَبِّيَ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨٨﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُم

عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابٌ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٨٩﴾ الشعراء: ١٧٦ - ١٨٩ .

فانظر يا رعاك ربي كيف كانت مواقف شعيب مع قومه وكيف كانت مواقفهم معه يدعوهم إلى جميع الإصلاح الديني والديني ولكنهم رفضوا هذا كله ونبذوه بل وعادوا نبي الله شعيب عَلَيْهِ السَّلَامُ بل وهموا بالفتك به، لولا أن الله تعالى كان معه بعنايته وبحفظه في جميع أحواله.

فهو الناصح لهم المحسن إليهم الذي يريد نجاتهم وسعادتهم في الدنيا والآخرة ولكنهم قوم لم يعرفوا ما يضرهم ولا ينفعهم وإن عرفوا لم يرزقهم الله تعالى الهداية والتوفيق والسداد لاتباع الخير والحق، فكانت فطرهم منكوسة وأفهامهم مغلوبة، طمسها وأعمهاها الهوى وحب الذات واتباع غير الحق نسأل الله تعالى السلامة والعافية.

قوم لوط :

قال الله تعالى ﴿ وَجَاءَ أَهْلَ الْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ ﴾ ﴿٦٧﴾ قَالَ إِنَّ هَؤُلَاءِ ضَيْفِي فَلَا تَفْضَحُونِ ﴿٦٨﴾ وَأَنْقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ ﴿٦٩﴾ قَالُوا أَوْلَمْ نَنْهَكَ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿٧٠﴾ قَالَ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ ﴿٧١﴾ لَعَنُوكَ إِنَّمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٢﴾ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّبْحَةُ مُشْرِقِينَ ﴿٧٣﴾ فَجَعَلْنَا عَلَيْهِمَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ ﴿٧٤﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهَا لِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ ﴿٧٦﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾ وَإِنْ كَانَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ لظَالِمِينَ ﴿٧٨﴾ فَانْقَمْنَا مِنْهُمْ وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿٧٩﴾ الحجر: ٦٧ - ٧٩ .

قال الله تعالى ﴿ كَذَبَتْ قَوْمٌ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ ﴾ ﴿١٦٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطُ أَلَا نُنْقُونَ ﴿١٦١﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٦٢﴾ فَانْقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوايَ ﴿١٦٣﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٤﴾ أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٥﴾ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ

لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَرْزَاقِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ﴿١٦٦﴾ قَالُوا لَنْ لَمْ تَنْتَهَ يَلُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ ﴿١٦٧﴾ قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُمْ مِنَ الْقَالِينَ ﴿١٦٨﴾ رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٩﴾ فَجَنَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ ﴿١٧٠﴾ إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَدِيرِ ﴿١٧١﴾ ثُمَّ دَمَرْنَا الْأَخْرِينَ ﴿١٧٢﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ ﴿١٧٣﴾ الشعراء: ١٦٠ - ١٧٣ .

قال الله تعالى ﴿ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ ﴿٥٤﴾ أَيْنَكُمُ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿٥٥﴾ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُ أَلْ لُوطُ مِنْ قَرِينِكُمْ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَنْطَهُرُونَ ﴿٥٦﴾ فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَرْنَاهَا مِنَ الْغَابِرِينَ ﴿٥٧﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ ﴿٥٨﴾ النمل: ٥٤ - ٥٨ .

قال الله تعالى ﴿ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿٢٨﴾ أَيْنَكُمُ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيَكُمُ الْمُنْكَرَ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَأَتَيْنَا بَعَذَابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٢٩﴾ قَالَ رَبِّ أَنْصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ ﴿٣٠﴾ العنكبوت: ٢٨ - ٣٠ .

انظر كيف يكون التشويه بالصالحين وقلب الحقائق عنهم وإظهار ما يدعون إليه من المحاسن التي تلائم الفطرة من أعظم ما يعملها ويسعى إليه أعداء الأنبياء والدين .

فلوط عَلَيْهِ السَّلَامُ جاء إلى قومه ينهاهم عما تمجحه الفطر السليمة ومع ذلك نفروا منه وحذروا منه بل وجعلوا ذلك سبيلاً للطعن والخط منه . فدناسة هؤلاء القوم ونذالتهم وقذارتهم طمست فطرهم، وجعلت من أعظم وساخة وجريمة يرتكبها الناس عياناً جهاراً عندهم من الأمور التي هي محبوبة

لنفوسهم الحقيرة الخبيثة نعوذ بالله تعالى من انتكاسة الفطر والأخلاق.

وانظر كيف كان هذا العمل منهم مقدم منهم على سبيل التحذير من ترك ما هم فيه من الشيء الذي يعد عندهم من المبادئ ومن التقاليد والعادات التي لن يتركوها ومن دعى إلى تركها كان مذموماً مسخوراً منه نسأل الله تعالى تزكية العقول وتطهير القلوب وتهذيب الأعمال.

قوم إبراهيم :

قال الله تعالى ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازِرْ أَتَتَّخِذُ آلِهَةً إِنِّي أَرَىكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ٧٤ ﴾ وَكَذَلِكَ نَرَى إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ ٧٥ ﴾ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ ٧٦ ﴾ فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِعًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَيْنَ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ ٧٧ ﴾ فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَنْقُومُ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ ٧٨ ﴾ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ٧٩ ﴾ وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحِبُّونَنِي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَن يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ٨٠ ﴾ وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ٨١ ﴾ الأنعام: ٧٤ - ٨١

قال الله تعالى ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ ٥١ ﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاقِبُونَ ٥٢ ﴾ قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ ٥٣ ﴾ قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَءَابَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ٥٤ ﴾ قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِينَ ٥٥ ﴾ قَالَ بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَى ذَلِكَ مِنَ الشَّاهِدِينَ ٥٦ ﴾ وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُولُوا مُدْبِرِينَ

﴿٥٧﴾ فَجَعَلَهُمْ جُودًا إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴿٥٨﴾ قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٩﴾ قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ ﴿٦٠﴾ قَالُوا فَأَتُوا بِهِ عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴿٦١﴾ قَالُوا ءَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ ﴿٦٢﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ ﴿٦٣﴾ فَرَجَعُوا إِلَى أَنْفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٦٤﴾ ثُمَّ نَكَسُوا عَلَى رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أَفِي لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْنَا يَنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾ وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ ﴿٧١﴾ ﴿٧٢﴾

الأنبياء: ٥١ - ٧١

قال الله تعالى ﴿٧١﴾ وَأَنْتَ عَلَيْهِمْ نَبَأُ إِبْرَاهِيمَ ﴿٧٢﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٧٣﴾ قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَّلُهَا عَنكِفِينَ ﴿٧٤﴾ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ﴿٧٥﴾ أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ﴿٧٦﴾ قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٧٧﴾ قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٨﴾ أَنْتُمْ وَعِبَادُكُمْ الْأَقْدَمُونَ ﴿٧٩﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿٨٠﴾ الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٨١﴾ وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ﴿٨٢﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٣﴾ وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨٤﴾ وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ ﴿٨٥﴾ رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَالْحَقِّقْ بِالصِّلِحِينَ ﴿٨٦﴾ الشعراء: ٦٩ - ٨٣

٨٣ - ٦٩

إبراهيم عليه الصلاة والسلام دعا والده وقومه وبذل لهم الخير والنصح وأحسن لهم أيما إحسان بالقول والفعل والحجة ولكنهم لم يقابلوا ذلك بالشكر لما أولاهم الله تعالى من إقامة الحجة وإرسال خليفه إليهم ليكرمهم به بل قابلوا

ذلك بالكيد منه وابتغاء الهلكة والقتل له.

فكان جواب أبيه وأقرب الناس إليه وقومه شيء واحد وهو القتل والطرده وغير ذلك وهذا لأنه ناصح لهم.

فتواصوا بينهم جميعاً بالحفاظ على تراث آبائهم وأجدادهم من عبادة غير الله تعالى والشرك به وكان هذا التقليد منهم حسب زعمهم من الإحسان إلى هذه الآلة وإلى الناس فأرادوا قتله من باب المبالغة في التحذير مما يدعوا إليه إبراهيم عليه السلام والتعظيم لما عليه هذه الآلة الباطلة وأن جنابها محمي وأنهم لن يأذنوا لمثل إبراهيم بالتطاول عليها فكان هذا منهم من باب الإحسان العظيم إلى الناس وإلى الآلة نسأل الله تعالى السلامة والعافية.

قوم هود :

قال الله تعالى ﴿ وَإِلَىٰ عَادِ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَنْقَوْمِ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ ۖ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾ (٦٥) قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرْنَكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنُظُنُّكَ مِنَ الْكَذِبِينَ ﴿٦٦﴾ قَالَ يَنْقَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٧﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴿٦٨﴾ أَوْعِجِبْتُمْ أَنَّ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَأَذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِن بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَضْطَةً فَأَذْكُرُوا ءَالَاءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾ قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ، وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأُنَبِّئْنَا بِمَا نَعْبُدْنَآ إِن كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٧٠﴾ قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُمْ مِّن رَّبِّكُمْ رِجْسٌ وَعِزْبٌ ۖ أَتَجِدَلُونَنِي فِي أَسْمَاءِ سَمَيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَءَابَاؤُكُمْ مَا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ فَانظُرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ ﴿٧١﴾ فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا وَمَا كَانُوا مُؤْمِنِينَ

قال الله تعالى ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَقَوْمِ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ ۖ إِن أنْتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ ﴿٥٠﴾ يَقَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِن أَجْرِي إِلَّا عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٥١﴾ وَيَقَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا يَهُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٥٣﴾ إِن نَقُولُ إِلَّا أَعْرَبَكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوِّهِ قَالَ إِنِّي أَشْهَدُ اللَّهَ وَأَشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ مِّن دُونِهِ فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنْظِرُونِ ﴿٥٥﴾ إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِن دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِن رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٦﴾ فَإِن تَوَلَّوْا فَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ وَيَسْخُلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُمْ شَيْئًا إِن رَبِّي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ ﴿٥٧﴾ وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَنَجَّيْنَاهُمْ مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٨﴾ وَذَلِكَ عَادٌ جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٥٩﴾ وَأَتَّبِعُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ ۖ أَلَا إِنَّ عَادًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ ۖ أَلَا بَعْدَ لِعَادٍ قَوْمٍ هُودٍ ﴿٦٠﴾﴾ هود: ٥٠ - ٦٠

هود - عَلَيْهِ السَّلَام - من أعظم من دعا إلى توحيد الله تعالى ونبذ الشرك به تعالى ولكنه قابل من قومه ما قابل من الصد والعدوان والتكذيب والتحذير والسخرية والتنقص وغير ذلك مما يوحى لك تحذير السامع بما عليه هود وأن طريقته طريقة مذمومة بين الناس ودعوته غريبة ومردودة ولن يقبلوها عيادًا بالله تعالى وأنه ينبغي أن يحافظ على عقائد الناس وماهم عليه من الباطل والمنكر والزور والشرك بالله تعالى وصرف العبادة للمخلوق والتعامل مع الأنبياء بهذا الأسلوب الوقح المخزي الذي يبين لك عظيم ما وقع فيه هؤلاء القوم من الحطيط ومستنقع ووحل الأفكار الباطلة عيادًا بالله تعالى.

فرعون وقومه ومناظرتهم ومحااجتته لموسى - عَلَيْهِ السَّلَام - :

قال الله تعالى ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكَ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكَ سُوءَ الْعَذَابِ يُدَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ ٤٩﴾ البقرة: ٤٩ .

قال الله تعالى ﴿وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَدْرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتِكَ قَالَ سَنُقِِّلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ ١٢٧﴾ الأعراف: ١٢٧ .

قال الله تعالى ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ أَتَأْتُونِي بِكُلِّ سِحْرِ عَلِيمٍ ٧٩﴾ فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالَ لَهُمْ مُوسَى أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلقُونَ ٨٠ فَلَمَّا أَلْقَوْا قَالَ مُوسَى مَا جِئْتُمْ بِهِ السَّحَرُ إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ ٨١ وَيُخَوِّدُ اللَّهُ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ ٨٢ فَمَا آمَنَ لِمُوسَى إِلَّا ذُرِيَّةٌ مِنْ قَوْمِهِ عَلَى خَوْفٍ مِنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَائِهِمْ أَنْ يَفْتِنَهُمْ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ ٨٣﴾ يونس: ٧٩ - ٨٣ .

قال الله تعالى ﴿وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَا تَخَفُ دَرَكًا وَلَا تُخْشَى ٧٧﴾ فَاتَّبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ فَغَشِيَهُمْ مِنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ ٧٨ وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَى ٧٩ طه: ٧٧ - ٧٩ .

قال الله تعالى ﴿فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ٥٣﴾ إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ٥٤ وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِطُونَ ٥٥ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَادِرُونَ ٥٦ فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ٥٧ وَكُنُوزٍ وَمَقَامِرٍ كَرِيمٍ ٥٨ كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَءِيلَ ٥٩ فَاتَّبَعُوهُمْ مُشْرِقِينَ ٦٠ فَلَمَّا تَرَاءَ الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمَدْرَكُونَ ٦١ قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ٦٢﴾ فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ

كَالطُّورِ الْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾ وَأَزَلْنَا ثُمَّ الْآخَرِينَ ﴿٦٤﴾ وَأَجْنَيْنَا مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ ﴿٦٥﴾ ثُمَّ
أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ ﴿٦٦﴾ الشعراء: ٥٣ - ٦٦.

قال الله تعالى ﴿٦٣﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴿٦٣﴾ إِلَى
فِرْعَوْنَ وَهَمْعٍ وَقُرُونٍ فَقَالُوا سِحْرٌ كَذَابٌ ﴿٦٤﴾ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ مِنْ
عِنْدِنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ وَاسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ وَمَا كَيْدُ
الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴿٦٥﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذُرِّيَّتِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ
إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ ﴿٦٦﴾ وَقَالَ مُوسَى إِنِّي
عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ ﴿٦٧﴾ وَقَالَ رَجُلٌ
مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَنَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ
جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ كَذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا
يُضِبِّكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَابٌ ﴿٦٨﴾ غافر: ٢٣ - ٢٨.

فرعون من أعظم المجرمين والمفسدين في الأرض ولكن يظهر نفسه أنه إنما
أراد الإصلاح للبلاد والعباد. مع أنه ما ظهر منه في باطن الأمر وظاهره إلا
الفساد في الأرض.

فأي جرم في الأرض بعد أن اعتدى على المستضعفين من بني إسرائيل يقتل
أبناءهم ويترك نساءهم ويعتدي على حرماهم.

ومع هذا الجرم والفساد من فرعون وقومه ما زال يظهر نفسه أنه يريد الخير
 والمعروف والإحسان للناس وأنه يقودهم إلى ساحل السلامة والعافية.

ففرعون في خلاصة هذا صدر منه عده جرائم وموبقات كبيرة وفواقر
عظيمة فمنها الشرك بالله تعالى والكفر به بل وادعى الربوبية من دون الله

تعالى وتطاوله على الله تعالى. وطلبه لقتل موسى وهارون. وقتله لذراري بني إسرائيل وتعديه على حرمتهم. واستعباده لبني إسرائيل وجعلهم خدام وعبيد له ولقومه. وأخذ حقوقهم المشروعة لهم. وكبره وعلوه وغطرسته وتجبره في الأرض. وتعامله بالسحر وعمله له وغير ذلك ومع ذلك يغتر به بنو قومه نسأل الله تعالى البصيرة في جميع أعمالنا.

المنافقون :

قال الله ﷻ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾ وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ ﴿٢٠٥﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَيْسَ الْمِهَادُ ﴿٢٠٦﴾ البقرة: ٢٠٤ - ٢٠٦

وقال الله تعالى: ﷻ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلِيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١٠٧﴾ التوبة: ١٠٧

وقال الله تعالى: ﷻ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا ﴿٦١﴾ فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَاءُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا ﴿٦٢﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا ﴿٦٣﴾ النساء: ٦١ - ٦٣

قال الله تعالى ﷻ إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ ﴿١﴾ اتَّخَذُوا أَيْمَنَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَى

قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٣﴾ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ كَأَنْهُمْ خُشْبٌ مُمْسِكَةٌ يَحْسِبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُوَ الْعَدُوُّ فَأَحْذَرْتَهُمْ فَتَلَاهُمُ اللَّهُ أَنْ يَكُونُوا ﴿٤﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوُوا رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ ﴿٥﴾ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٦﴾ هُمْ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُوا وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٧﴾ يَقُولُونَ لِنَ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجَ الْأَعْرَضَ مِنْهَا الْأَدْلُ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾ المنافقون: ١ - ٨.

هكذا شأن المنافقين يظهرون مالا يبطنون من الشر والفتنة للإسلام وأهله فهم يظهرون الإصلاح والخير ونفوسهم الخبيثة تنطوي على الشر للإسلام وأهله.

أهل البدع بشتى أصنافهم والمحرفون لشرع الله :

قال الله: ﴿أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ ﴿٨﴾ فاطر: ٨.

قال - عز وجل -: ﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ يَتْنِهِ مِّن رَّيْبٍ كَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ

﴿١٤﴾ محمد: ١٤.

وعن أنس بن مالك صلى الله عليه وسلم قال: جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي صلى الله عليه وسلم - يسألون عن عبادة النبي صلى الله عليه وسلم - ، فلما أخبروا، كأنهم تقالوها، فقالوا: وأين نحن من النبي صلى الله عليه وسلم - ، قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر؟ قال أحدهم: أما أنا؛ فإني أصلي الليل أبداً، وقال آخر: أنا أصوم الدهر ولا أفطر، وقال آخر: أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبداً،

فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ - **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** - فَقَالَ: أَنْتُمْ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا؟ أَمَا وَاللَّهِ؛ إِنِّي لَا خَشَاكُمُ لِلَّهِ، وَأَتَقَاكُمُ لَهُ، لَكِنِّي أَصُومُ وَأَفْطِرُ، وَأَصِلِّي وَأَرْقُدُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَن سِتِّي؛ فَلَيْسَ مِنِّي. ^(١)

وَعَنْ عَمْرِو بْنِ سَلَمَةَ الْهَمْدَانِيِّ قَالَ: كُنَّا نَجْلِسُ عَلَى بَابِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ - **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** - قَبْلَ صَلَاةِ الْغَدَاةِ فَإِذَا خَرَجَ مَشِينَا مَعَهُ إِلَى الْمَسْجِدِ، فَجَاءَنَا أَبُو مُوسَى الْأَشْعَرِيُّ - **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** - فَقَالَ: أَخْرَجَ إِلَيْكُمُ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ؟، فَقُلْنَا: لَا، فَجَلَسَ مَعَنَا حَتَّى خَرَجَ، فَلَمَّا خَرَجَ قُمْنَا إِلَيْهِ جَمِيعًا، فَقَالَ لَهُ أَبُو مُوسَى: يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ، إِنِّي رَأَيْتُ فِي الْمَسْجِدِ أَنْفًا أَمْرًا أَنْكَرْتُهُ، وَلَمْ أَرَ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ إِلَّا خَيْرًا، قَالَ: فَمَا هُوَ؟، قَالَ: رَأَيْتُ فِي الْمَسْجِدِ قَوْمًا حُلُقًا جُلُوسًا يَتَتَبَرَّحُونَ الصَّلَاةَ، فِي كُلِّ حَلَقَةٍ رَجُلٌ، وَفِي أَيْدِيهِمْ حَصَى، فَيَقُولُ: كَبَرُوا مِائَةً، فَيَكْبَرُونَ مِائَةً، فَيَقُولُ: هَلِّلُوا مِائَةً، فَيَهْلِلُونَ مِائَةً، فَيَقُولُ: سَبِّحُوا مِائَةً، فَيُسَبِّحُونَ مِائَةً، قَالَ: فَمَاذَا قُلْتُمْ لَهُمْ؟، قَالَ: مَا قُلْتُ لَهُمْ شَيْئًا أَنْتَظَرُ رَأْيَكَ، وَأَنْتَظَرُ أَمْرَكَ، قَالَ: أَفَلَا أَمَرْتَهُمْ أَنْ يَعْدُوا سَيِّئَاتِهِمْ، وَضَمَنْتَ لَهُمْ أَنْ لَا يَضِيعَ مِنْ حَسَنَاتِهِمْ شَيْءٌ؟، ثُمَّ مَضَى وَمَضِينَا مَعَهُ حَتَّى أَتَى حَلَقَةً مِنْ تِلْكَ الْحَلَقِ، فَوَقَفَ عَلَيْهِمْ فَقَالَ: مَا هَذَا الَّذِي أَرَاكُمْ تَصْنَعُونَ؟، فَقَالُوا: يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ، حَصَى نَعُدُّ بِهِ التَّكْبِيرَ وَالتَّهْلِيلَ وَالتَّسْبِيحَ، قَالَ: فَعْدُوا سَيِّئَاتِكُمْ، فَأَنَا ضَامِنٌ أَنْ لَا يَضِيعَ مِنْ حَسَنَاتِكُمْ شَيْءٌ، وَيُحْكَمُ يَا أُمَّةَ مُحَمَّدٍ، مَا أَسْرَعَ هَلَكَتُكُمْ، هَؤُلَاءِ صَحَابَةُ نَبِيِّكُمْ - **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** - مُتَوَافِرُونَ، وَهَذِهِ ثِيَابُهُ لَمْ تَبْلُ، وَأَنِيَّتُهُ لَمْ تَكْسِرْ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنَّكُمْ لَعَلَى مَلَّةٍ هِيَ أَهْدَى مِنْ مَلَّةِ مُحَمَّدٍ، أَوْ مُفْتَحُو بَابِ ضَلَالَةٍ، فَقَالُوا: وَاللَّهِ يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ مَا أَرَدْنَا إِلَّا الْخَيْرَ، فَقَالَ: وَكَمْ مِنْ مُرِيدٍ لِلْخَيْرِ لَا يُصِيبُهُ، إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ - **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** - حَدَّثَنَا أَنَّ قَوْمًا يَقْرَأُونَ الْقُرْآنَ، لَا يَجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ وَإِنَّمَا اللَّهُ مَا

أَذْرِي، لَعَلَّ أَكْثَرَهُمْ مِنْكُمْ، ثُمَّ تَوَلَّى عَنْهُمْ، قَالَ عَمْرُو بْنُ سَلَمَةَ: فَرَأَيْنَا عَامَّةَ أَوْلِيَّكَ الْحَلِقِ يُطَاعُونَ يَوْمَ النَّهْرِ وَإِنْ مَعَ الْخَوَارِجِ. ^(١)

وقال الإمام إسماعيل بن عبد الرحمن الصابوني **رَحِمَهُ اللَّهُ**: وعلامات أهل البدع ظاهرة على أهلها بادية، وأظهر آياتهم وعلاماتهم: شدة معاداتهم لحَمَلَةِ أخبار النبي - **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** -، واحتقارهم لهم. ^(٢)

وعن حذيفة بن اليمان - **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** - قال: والله لتفشون البدع، حتى إذا تُرِكَ منها شيء قالوا: تُرِكَتِ السُّنَّةُ. ^(٣)

وقال الإمام مالك **رَحِمَهُ اللَّهُ**: من ابتدع في الإسلام بدعة يراها حسنة فقد زعم أن محمداً خان الرسالة، لأن الله يقول: **﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾** المائدة: ٣ فما لم يكن يومئذ ديناً لا يكون اليوم ديناً.

فأهل البدع إنما يتدعون في الدين ويقولون على الله ما لا يعلمون لأنهم رأوا أنهم على الصواب فاستحسنوا البدعة ورأوها ديناً وضمنوا بزعمهم وجهلهم أنه إنما عملوا الصواب ولذلك تراهم يدافعون عن الباطل وما لم ينزل الله به من سلطان وذلك لا اعتقادهم أن البدعة هذه من الدين الذي وصى الله به وأمر ولا حول ولا قوة إلا بالله

أصحاب التقليد الأعمى :

قال الله: **﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَّلُوهُمْ لَا يَتَدَّبَّرُونَ شَيْئًا وَلَا يَتَذَكَّرُونَ﴾** المائدة: ١٠٤.

(١) الصحيحة (٢٠٠٥).

(٢) عقيدة أهل السنة وأصحاب الحديث، (٢٩٩).

(٣) أخرجه ابن وضاح، في كتاب البدع (١٦٢).

الإحسان

قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحِشَاءِ اتَّقُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (٢٨) الأعراف: ٢٨ .

قال الله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ﴾ (٥٢) قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عِيدِينَ ﴿٥٣﴾ قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٥٤﴾ قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٥٦﴾ الأنبياء: ٥٢ - ٥٦ .

قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ﴾ (٢١) لقمان: ٢١ .

قال الله تعالى: ﴿بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَرِهِمْ مُّهْتَدُونَ﴾ (٢٢) الزخرف: ٢٢ .

وعن أبي سعيد الخدري - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عن النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أنه قال: لَتَتَّبِعَنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ: شِبراً بشبر، وذراعاً بذراع، حتى لو دخلوا في جحر ضبٍّ لَاتَّبَعْتُمُوهُمْ . قلنا: يا رسول الله، اليهود والنصارى؟ قال: فمن؟ (١) .

ودع عنك آراء الرجال وقولهم فقول رسول الله أذكى وأشرح

فإنه لا ينبغي لعقل أن يغتر بما يفعله سواد الناس، ودهماء العامة في سائر الأقطار من البدع والمحدثات والأمور المنكرة فإنَّ الحق لا يعرف بكثرة الفاعلين، وإنما يعرف بالأدلة الشرعية.

قال تعالى ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾ (١٦) يوسف: ١٠٦ .
إلى غير ذلك من الآيات والأحاديث الواردة في هذا المعنى .

(١) البخاري (٧٣٢٠) مسلم (٢٦٦٩) .

فالحق أحق بالإتباع ولو خالفه الناس، ولن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها؛ وهو لزوم جماعة المسلمين، والتمسك بالقرآن الكريم، والسنة المطهرة، فهما مصدر كل عز وفلاح ونجاح في الدارين. وفقنا الله جميعاً للإتباع وجنبنا الزلل والابتداع، إنه ولي ذلك والقادر عليه وصلى الله وسلم على رسوله محمد وعلى آله وأصحابه.

المجرمون والمفسدون بشتى أنواعهم.

وقال الله: **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿١١﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١٢﴾ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٣﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا كَمَا ءَامَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا ءَامَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٤﴾ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزَءُونَ ﴿١٥﴾** البقرة: ١١ - ١٤.

وقال الله: **﴿٢٠٤﴾ وَمَنْ النَّاسُ مَنِ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَشْهَدُ اللَّهُ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ ﴿٢٠٥﴾** البقرة: ٢٠٤.

وقال الله: **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿٢٢﴾ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطَّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٣﴾** محمد: ٢٢.

عن عبد الأعلى قال: سمعت الشافعي - **رَحِمَهُ اللَّهُ** - يقول: تركت بالعراق شيئاً يسمونه: التغبير وصنعتة الزنادقة يشغلون به عن القرآن.

وقال حسن الجردى قال: سمعت الشافعي - **رَحِمَهُ اللَّهُ** - محمد بن إدريس يقول: تركت بالعراق شيئاً يقال له التغبير، أحدثته الزنادقة، يصدون الناس به عن القرآن. ^(١)

(١) اتباع السنن واجتناب البدع (٢٨).

سابعاً: أنواع المحسنين

أولاً: إحسان الله تعالى إلى خلقه:

فالله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** غني كريم يحسن إلى عبده مع غناه عنه، يريد به الخير، ويكشف عنه الضر، لا لجلب منفعة إليه من العبد، ولا لدفع مضرة، بل رحمةً منه وإحساناً.

فهو لم يخلق خلقه ليتكثر بهم من قلة، ولا ليعتز بهم من ذلة، بل هو القوي العزيز، ذو الملوك والجبروت والكبرياء والعظمة.

لا يوالي **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** من يواليه من الذل كما يوالي المخلوق المخلوق، وإنما يوالي أوليائه إحساناً ورحمةً ومحبةً لهم.

وأما العباد فهم لفقرهم وحاجتهم يحسن بعضهم إلى بعض لحاجتهم إلى ذلك، وانتفاعهم عاجلاً أو آجلاً.

ولولا تصور ذلك النفع لما أحسن إليه، فهو في الحقيقة إنما أراد الإحسان إلى نفسه، وجعل إحسانه إلى غيره وسيلة إلى وصول نفع ذلك الإحسان إليه. فإنه إنما يحسن إليه لتوقع جزائه في العاجل، أو معاوضة إحسانه، أو لتوقع حمده وشكره. ^(١)

فهو **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** المحسن الكريم الذي لا يخلو موجود من إحسانه طرفة عين: فهو المحسن إلى كل مخلوق بنعمة الإيجاد ونعمة الإمداد وللمؤمن مع ذلك

(١) موسوعة فقه القلوب (١/ ٧٨٠).

بنعمة الهداية ولا خفاء بإحسان الله تعالى إلى خلقه ومنتته عليهم بما غمرهم من الإحسان والإنعام، والفضل والجود .

وهو **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** المحسن إلى الخلق كلهم بصنوف النعم، ولو غفل عن ذلك الغافلون، ووجد فضله الجاحدون، وأعرض عن شكره الكافرون، فلا قيام للخلق ولا بقاء لهم إلا به **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، وبجوده وإنعامه: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ** ﴾ البقرة: ٢٤٣ .

وقال الله: ﴿ **وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ** ﴾ النمل: ٧٣ .
ومن إحسان الله **عَزَّجَلَّ** وجوده وفضله على الإنسان أن أخرجه من عدم، وصوره في أحسن صورة، وهي صورة آدم، وهي أحسن صور العالم كما قال **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**: ﴿ **خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ** ﴾ التغابن: ٣ .

ومن إحسانه على الإنسان أن جعله عاقلاً لا معتوهاً ولا سفيهاً حتى يمتاز عن البهائم وهداه للإسلام وهذا أعظم أنواع الإحسان والإنعام وجعله من أمة محمد - **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** - وعلمه كتابه وأحسن إليه بإعانتة على العمل بما علم ووفقه لنشر ما علم بين عباده ليكون نور بلاده ويستضاء بسراجة .

وهو **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** المحسن الذي أحسن إلى الإنسان، وأنعم عليه بكمال الصورة، واعتدال الخلقة، وفصاحة اللسان، وحسن السمع والبصر، وسلامة البدن من نقص أو خلل، حتى يبقى صحيحاً سليماً: ﴿ **وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ** ﴾ النحل: ٧٨ .

وهو **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** المحسن الذي أنعم على الإنسان بانتظام الحال، واتساع

المال، حتى لا يحتاج إلى أحد من الخلق في اكتساب الرزق، ويحتاج إليه غيره، وهذه وتلك نعمة يجب شكرها، إذ ليس كل أحد يُعطاها.

ومن نعم الله على الإنسان ما أنعم عليه بالعصبة والعشيرة، والأصحاب والأتباع، الذين تألفت قلوبهم على محبته وتقديره، وقاموا جنة بينه وبين أعدائه، فعاش في أمن بين جميع الخلائق، يُنظر إليه بعين الإجلال والوقار، وتقضى حوائجه حيثما كان.

ومن إحسانه إليه ما رزقه الله من الزوجة والأولاد، حتى يكون من ذريته في أمة محمد - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - عدد وافر، وكلهم موحد لربه، ولآلائه ذاكرا وشاكرا، يشتد بهم في الدنيا أزره، ويحبط بهم في الآخرة وزره بدعائهم له، وتزيد حسناته بفعلهم القرب عنه.

ومنها ما أنعم الله به عليه من صحة الجسم، وفراغ البال، ونعم الله على العباد لا تحصى كما قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ﴿وَأَتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ (٣٤) إبراهيم: ٣٤.

والله عَزَّوَجَلَّ يحب من خلقه التعبد بمعاني أسمائه وصفاته، فهو ثواب يحب التواابين، ومحسن يحب المحسنين كما قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ﴿وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ (١٩٥) البقرة: ١٩٥.

فعلى المسلم أن يحسن كما أحسن الله إليه بتلك النعم، فيعبد الله عبادة تامة كأنه يراه، فإن لم يكن يراه فهو يراه، وعليه أن يحسن إلى العباد بإيصال جميع أنواع الخير لهم، وقد وعده الله بالثواب على ذلك.

فَإِنَّكَ ذُو الْإِحْسَانِ وَالْجُودِ وَالْعَطَا لَكَ الْمَجْدُ وَالْإِفْضَالُ وَالْمَنْ أَجْمَعُ

فَكُم مِّن قَبِيحٍ قَدَسَرْتَ عَنِ الْوَرَى وَكُم نِعَم تَرَى عَلَيْنَا وَتَبِعُ
وَمَنْ ذَا الَّذِي يُرْجَى سِوَاكَ وَيُتَّقَى وَأَنْتَ إِلَهُ الْخَلْقِ مَا شِئْتَ تَصْنَعُ
فَيَا مَنْ هُوَ الْقُدُّوسُ لَا رَبَّ غَيْرُهُ تَبَارَكْتَ أَنْتَ اللَّهُ لِلْخَلْقِ مَرْجِعُ

فإحسان الله تعالى إلى خلقه عظيم وجليل لا يقدر ولا يحصى ولا يعد ولا يوصف ، ويتضمن عدة جوانب كثيرة جداً نشير إلى بعضها على سبيل الإشارة والتذكير فمنها:

إحسان خلق فطرهم :

قال الله تعالى ﴿ صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَبِيدُونَ ﴾ (١٣٨) البقرة: ١٣٨ .

قال ابن جرير الطبري - رَحِمَهُ اللَّهُ -: يعنى تعالى ذكره بالصبغة: صبغة الإسلام. وذلك أَنَّ النصارى إذا أرادت أن تنصّر أطفالهم، جعلتهم في ماء لهم تزعم أن ذلك لها تقديس، بمنزلة غُسل الجنابة لأهل الإسلام، وأنه صبغة لهم في النصرانية.

فوقال الله تعالى: ذكره - إذ قالوا لنبه محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه المؤمنين به ﴿ وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ (١٣٥) البقرة: ١٣٥: قل لهم يا محمد: أيها اليهود والنصارى، بل اتبعوا ملة إبراهيم، صبغة الله التي هي أحسن الصبغ، فإنها هي الحنيفية المسلمة، ودعوا الشرك بالله، والضلال عن محجة هُداة. (١)

(١) تفسير ابن جرير (٣/ ١١٨).

الإِحْسَانُ

عن أبي العالية في قوله ﴿صِبْغَةً﴾ البقرة: ١٣٨، قال: دين الله ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ اللَّهِ صِبْغَةً﴾ البقرة: ١٣٨، ومن أحسن من الله ديناً. ^(١)

وعن مجاهد في قول الله ﴿صِبْغَةً﴾ البقرة: ١٣٨، قال: فطرة الله التي فطر الناس عليها. ^(٢)

وعن مجاهد قال ﴿صِبْغَةً﴾ البقرة: ١٣٨ الإسلام، فطرة الله التي فطر الناس عليها. قال ابن جريج: قال لي عبد الله بن كثير ﴿صِبْغَةً﴾ البقرة: ١٣٨ قال: دين الله، ومن أحسن من الله ديناً. قال: هي فطرة الله. ^(٣)

فجميع أحكام الشرع الظاهرة والباطنة قد وضع الله في قلوب الخلق كلهم الميل إليها، فوضع في قلوبهم محبة الحق، وإيثار الحق، والعمل بالحق وهذا حقيقة الفطرة. ^(٤)

وقال الله تعالى: ﴿أَقِمَّ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتُ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ الروم: ٣٠.

فالفطرة: هي الخلقة والهيئة التي في نفس الطفل، وهي معدة ومهيأة لأن يميز بها مصنوعات الله تعالى، ويستدل بها على ربه، ويعرف شرائعه، ويؤمن به، فكانه تعالى قال: أقم وجهك للدين الحنيف، وهو الذي على الاستعداد له فطر البشر، ولكن تعرضهم العوارض وقيل: المعنى هو أن الله سبحانه وتعالى خلق قلوب بني آدم مؤهلة لقبول الحق، كما خلق أعينهم وأسماعهم قابلة للمرئيات

(١) تفسير ابن جريج (٢١١٦).

(٢) المصدر السابق (٢١٢٦).

(٣) تفسير ابن جريج (٢١٢٨).

(٤) موسوعة فقه القلوب (١/ ٢٩٩).

والمسموعات فما دامت باقية على ذلك القبول وتلك الأهلية أدركت الحق ودين الإسلام وهو الدين الحق.

وَعَنْ عِيَّاضِ بْنِ حِمَارٍ الْمَجَاشِعِيِّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ ذَاتَ يَوْمٍ فِي خُطْبَتِهِ: وَإِنِّي خَلَقْتُ عِبَادِي حُنَفَاءَ كُلِّهُمْ، وَإِنَّهُمْ أَتَتْهُمْ الشَّيَاطِينُ فَاجْتَالَتْهُمْ عَنْ دِينِهِمْ، وَحَرَمْتُ عَلَيْهِمْ مَا أَحَلَلْتُ لَهُمْ، وَأَمَرْتُهُمْ أَنْ يُشْرِكُوا بِي مَا لَمْ أَنْزِلْ بِهِ سُلْطَانًا. (١)

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ وَيُنَصِّرَانِهِ وَيَمَجِّسَانِهِ، كَمَا تُنْتَجِ الْبَهِيمَةُ بَهِيمَةً جَمْعَاءَ، هَلْ تَحْسُونُ فِيهَا مِنْ جَدْعَاءَ؟ ثُمَّ يَقُولُ: أَبُو هُرَيْرَةَ وَاقْرَأُوا إِنْ شِئْتُمْ ﴿فَطَرَتِ اللَّهُ آلَتِي فِطْرَ النَّاسِ عَلَيْهَا لَا بَدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٣٠) الروم: ٣٠. (٢)

فهذا البيان من النبي عليه الصلاة والسلام يوضح لنا ويبين معنى الآيتين من كتاب الله تعالى أن الله تعالى خلق العباد على الفطرة والجبلة والخلقة التي تكون قابلة ومحبة للحق وللتوحيد ولعبادة الرب **تَبَارَكَ وَتَعَالَى** ولكن المجتمع المحيط بالعبد هو الذي يؤثر تأثير عجيبي في الفطر فيحرفها مع تزيين الشيطان لإفساد المكلفين من الجن والإنس.

إحسان رزقهم :

قال الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ أَسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (٢٩) البقرة: ٢٩.

(١) مسلم (٢٨٦٥).

(٢) البخاري (١٣٥٨)، مسلم (٢٦٥٨).

فعلى العبد كذلك أن يعلم أنه لا محسن على الحقيقة بأصناف النعم الظاهرة والباطنة إلا الله وحده، فيحبه لإحسانه وإنعامه، ويحمده على ذلك .

وقال الله تعالى: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لِّهَا لِنَبْلُوهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۖ ﴾

الكهف: ٧.

قال العلامة السعدي - رَحْمَةُ اللَّهِ -: يخبر تعالى: أنه جعل جميع ما على وجه الأرض، من مآكل لذيدة، ومشارب، ومساكن طيبة، وأشجار، وأنهار، وزروع، وثمار، ومناظر بهيجة، ورياض أنيقة، وأصوات شجية، وصور مليحة، وذهب وفضة، وخيل وإبل ونحوها، الجميع جعله الله زينة لهذه الدار، فتنة واختباراً. ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لِّهَا لِنَبْلُوهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۖ ﴾ الكهف: ٧ ، أي: أخلصه وأصوبه، ومع ذلك سيجعل الله جميع هذه المذكورات، فانيةً مضمحلةً، وزائلةً منقضيةً ^(١).

وقال الله تعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكِنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلٌّ مِنْ رَزْقِ رَبِّكُمْ وَأَشْكُرُوا لِلَّهِ بَلَدَهُ طَيِّبَةً وَرَبُّ غَفُورٌ ۝ ١٥ ﴾ سبأ: ١٥ .

كل هذا من فضل الله تعالى وإحسانه إلى العباد الإحسان الذي لن نستطيع تقصيه وتقديره فيما يرزق الله تعالى العباد فالله يرزق العباد ويفضل بعضهم على بعض.

رزق الله تعالى العباد رزق عام يناله جميع بني آدم ما بين مستقل ومستكثر من المطاعم والمشارب والعقول والأجسام والمال وسائر ملذات الدنيا.

ورزق الله تعالى طوائف من العباد وفضلهم وأكرمهم على غيرهم رزق خاص لهم من الإيمان والهدى واتباع الأنبياء ورزقهم الله تعالى الفهم الصائب

(١) تيسير الكريم الرحمن (٤٧١) .

والنظر إلى الحياة الآخرة الحقيقة والاستعداد لها وفضلهم الله بعلم الوحي فأخذوه واهتدوا به وهذا والله من أعظم الرزق الذي يناله العبد.

وقال الله: **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿٢٢﴾ وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٣﴾ فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِثْلَ مَا أَنَّكُمْ نَنْطِقُونَ ﴿٢٤﴾** الذاريات: ٢٢ - ٢٣ .

فعن عبد الله بن مسعود - **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** - قال: قال: رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: **إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَسَمَ بَيْنَكُمْ أَخْلَاقَكُمْ، كَمَا قَسَمَ بَيْنَكُمْ أَرْزَاقَكُمْ، وَإِنَّ اللَّهَ عَزَّجَلَّ -** يعطي الدُّنْيَا مَنْ يَحِبُّ وَمَنْ لَا يَحِبُّ، وَلَا يُعْطِي الدِّينَ إِلَّا مَنْ أَحَبَّ، فَمَنْ أَعْطَاهُ اللَّهُ الدِّينَ فَقَدْ أَحَبَّهُ ^(١).

وهذا كذلك من عظيم الإحسان الذي جعله الله تعالى ملاماً للرزق أن الله تعالى تكفل للعبد برزقه وأنه لا يفوته وما عليه إلا فعل السبب فيأمن العبد من أن رزقه لا يأخذه غيره مهما كان ولا يأخذ رزق غيره مهما عمل وكذلك أن رزقه بيد ربه تعالى لا بيد المخلوق كما قال الله تعالى **﴿قُلْ لَوْ أَنَّكُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذَا لَأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ قَثُورًا﴾** **﴿١٠٠﴾** الإسراء: ١٠٠ .

فأي إحسان من الله تعالى وخير متوارد على العبد في مسألة الرزق وأن الله تعالى رزق العباد وأباح لهم الطيبات دون الخبائث المحرمات بل وبين الله تعالى لهم ذلك بالشرع والمعظم في أدلة كثيرة جداً.

وعند التفكير في مثل هذا وغيره يكون باعث للعبد في زيادة إيمانه بربه ومحبته لشرعة فلا إله إلا هو الملك القدوس **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** ما قدرناه حق قدره اللهم عفوك عنا ومغفرتك لذنوبنا ولا تؤاخذنا بتقصيرنا يارب.

(١) صحيح الترغيب (١٥٧١) .

إحسان خلقهم وصورهم :

قال الله تعالى ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ، وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ ۝ ٧ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِّنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ ۝ ٨ ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُّوحِهِ ۖ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ۝ ٩﴾ السجدة: ٧ - ٩ .

قال السعدي - رَحِمَهُ اللهُ - : ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ السجدة: ٧ - ٩ أي: كل مخلوق خلقه الله، فإن الله أحسن خلقه، وخلقه خلقاً يليق به، ويوافقه، فهذا عام.

ثم خص آدمي لشرفه وفضله فقال ﴿وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ﴾ السجدة: ٧ - ٩ وذلك بخلق آدم عَلَيْهِ السَّلَام، أبي البشر.

﴿ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ﴾ السجدة: ٧ - ٩ أي: ذرية آدم ناشئة ﴿مِّنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ﴾ السجدة: ٧ - ٩ وهو النطفة المستقذرة الضعيفة. ﴿ثُمَّ سَوَّاهُ﴾ السجدة: ٧ - ٩ ، بلحمه، وأعضائه، وأعصابه، وعروقه، وأحسن خلقته، ووضع كل عضو منه، بالمحل الذي لا يليق به غيره ﴿وَنَفَخَ فِيهِ﴾ السجدة: ٧ - ٩ بأن أرسل إليه الملك، فینفخ فيه الروح، فيعود بإذن الله، حيواناً، بعد أن كان جماداً. ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ﴾ السجدة: ٧ - ٩ أي: ما زال يعطيكم من المنافع شيئاً فشيئاً، حتى أعطاكم السمع والأبصار ﴿وَالْأَفْئِدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ۝ ٩﴾ السجدة: ٧ - ٩، الذي خلقكم وصوركم. (١)

وقال الله: ﴿أَنْدَعُونَ بَعَلًّا أَوْ نَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَلْقِينَ ۝ ١٢٥﴾ الصافات: ١٢٥ وقال الله: ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ۝ ٢﴾ التغابن: ٣ .

(١) تيسير الكريم الرحمن (٦٥٣).

وعن علي بن أبي طالب - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أنه قال : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا سَجَدَ قَالَ : اللَّهُمَّ لَكَ سَجَدْتُ وَبِكَ آمَنْتُ وَلَكَ أَسْلَمْتُ سَجَدَ وَجْهِي لِلَّذِي خَلَقَهُ وَصَوَّرَهُ فَأَحْسَنَ صُورَتَهُ وَشَقَّ سَمْعَهُ وَبَصَرَهُ وَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ، وَإِذَا سَلَّمَ مِنَ الصَّلَاةِ قَالَ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ وَمَا أَسْرَفْتُ وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي أَنْتَ الْمَقْدُمُ وَالْمُؤَخِّرُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ . (١)

فأي إحسان لك أيها العبد أن أحسن خلقك وشكلك وهيئتك وجعلها الله تعالى في أحسن قوام فتخيل لو كان عندك نقص في الخلقة أو قصور في الشكل أو خلقك على هيئة حيوان أو حشرة فلا إله إلا الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** كيف فضل العبد وأكرمه حتى في صورته وشكله وجعل كل عضو في المكان المناسب .

فخلق الله **تَبَارَكَ وَتَعَالَى** الإنسان في أحسن تقويم، وخلق الإنسان من أعظم الدلائل على خالقه وفاطره. ولو فكر الإنسان في نفسه لزرجه ما يعلم من عجائب خلقها عن كفره وقد خلق الله الإنسان في أحسن تقويم، وجعل فيه تسعة أبواب:

بابان للسمع وهما الأذنان وبابان للبصر وهما العينان وبابان للشم وهما في الأنف وبابان لخروج فضلات البول والغائط وباب للكلام والنفس، والطعام والشراب وهو الأنف. إن خلق الإنسان بهذا التكوين العجيب، وبهذه الخصائص الفريدة، وبهذه الوظائف اللطيفة المتنوعة الكثيرة، لآيات تدهش العقول، وتحير الألباب، ولكننا نسيناها لطول تكرارها، ولقربها منا، وإلغيناها.

إن التركيب العضوي لجارحة واحدة من جوارح الإنسان مسألة تدير الرأس عجباً ودهشة وعبرة. وهو في تركيبه النفسي أشد تركباً وتعقداً من

تركيبه العضوي ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعَلَهُ مَا تَوَسَّوَسُ بِهِ نَفْسُهُ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ (١٦) ق: ١٦ .

إن هذا الإنسان هو العجبية الكبرى في هذه الأرض كما قال **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ (٢١) الذاريات: ٢١ .

ولكنه يغفل عن قيمته، وعن أسرارهِ الكامنة في كيانه، حين يغفل قلبه عن الإيمان، وحين يحرم نعمة اليقين.

إن آيات الرب **تَبَارَكَ وَتَعَالَى** في خلقه ومخلوقاته تبصرة وذكرى، يتبصر بها من عمى القلب، ويتذكر بها من غفلته، فيعظم من خلقه. وأعجب من هذا أسرار روحه، وطاقاتها المعلومة والمجهولة، إدراكه للأشياء، وطريقة إدراكها، وحفظها، وتذكرها.

وهذه المعلومات والصور والكلمات أين خزنت؟، وكيف انطبعت؟، وكيف تُستدعى فتجيء؟.

ومن ألف وجمع في المخ آلاف الآيات والأحاديث والكلمات والقصص والأشعار وغيرها. ومن حفظها في الذهن كما يحفظ المال في الخزانة.

ثم أسرارهِ في توالده وتكاثرهِ، خلية واحدة تحمل كل رصيد الجنس البشري من الخصائص.

وكل فرد من هذا الإنسان عالم وحده، وطبعة خاصة لا تتكرر أبداً على مدى الدهور، ولا نظير له بين أبناء جنسه جميعاً، لا في شكله وملامحه، ولا في عقله ومداركهِ، ولا في روحه ومشاعره. فكل فرد نموذج خاص، وطبعة فريدة لا تتكرر. ^(١)

(١) موسوعة القلوب (١/ ٥٧٣-٥٧٦) بتصرف

إحسان إنزال الكتب :

قال الله: ﴿ ءَامَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ ۚ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلُّ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَمَلَكِيهِ ۚ وَكُتُبِهِ ۚ وَرُسُلِهِ ۚ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ ۚ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ غُفْرَانُكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ ﴾ البقرة: ٢٨٥ .

وقال الله: ﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ۚ وَأَلْكِتَبِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رُسُلِهِ ۚ وَالْكِتَابِ الَّذِي أُنْزِلَ مِنْ قَبْلُ ۚ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَكِيهِ ۚ وَكُتُبِهِ ۚ وَرُسُلِهِ ۚ وَاليَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾ ﴾ النساء: ١٣٦ .

وقال الله: ﴿ قُلْ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ ۚ وَالْتَّبَيُّوتَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿٨٤﴾ ﴾ آل عمران: ٨٤ .

أنزلت الكتب السماوية كلها لغاية واحدة، وهدف واحد وهو أن يُعبد الله وحده لا شريك له، ولتكون منهج حياة للبشر الذين يعيشون في هذه الأرض، تقودهم بها فيها من هداية إلى كل خير، ولتكون روحاً ونوراً تحيي نفوسهم، وتكشف ظلماتها، وتنير لهم دروب الحياة كلها وهذا كله من إحسان الله تعالى إلى العباد جميعاً أن بصرهم بكيفية عبادته جلا وعلا وبين لهم كل خير وشر وبين لهم في هذه الكتب إن عبدوه أنه يشيهم بالجنة وإن عصوه أن يعذبهم بالنار وهذا من إحسان الله تعالى لعباده أن أنزل هذه الكتب التي أنارت لهم طريق الهداية.

إحسان إرسال الرسل وتأيدهم بالمعجزات والحجج المقنعة:

أرسل الله الرسل لتعريف الناس بمعبودهم الحق، ولدعوتهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له وهذا من عظيم الإحسان إلى العباد.

الْإِحْسَانُ

وأرسل الله الرسل لإقامة الدين، والنهي عن التفرق فيه، يقول الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى:

﴿ شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا نَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ ﴾ الشورى: ١٣.

وأرسل الله الرسل للتبشير والإنذار، فقال الله: ﴿ وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ فَمَنْ ءَامَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ الأنعام: ٤٨ ، وتبشير الرسل وإنذارهم دنيوي وآخروي، فهم في الدنيا يبشرون الطائعين بال حياة الطيبة: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنَّىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ النحل: ٩٧ ويحذرونهم العذاب والهلاك الدنيوي ﴿ فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِّثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴾ فصلت: ١٣ ، وفي الآخرة يبشرون الطائعين بالجنة ونعيمها: ﴿ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴾ النور: ٥٢ .

ويخوفون المجرمين والعصاة عذاب الله في الآخرة ﴿ وَمَنْ يَعِصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾ النساء: ١٤.

وأرسل الله الرسل لإعطاء الأسوة الحسنة للناس في السلوك القويم، والأخلاق الفاضلة والعبادة الصحيحة، كما قال تعالى في شأن نبينا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾ الأحزاب: ٢١.

وقال الله: ﴿ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ وَالنَّبِيِّنَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ

وَهَرُونَ وَسَلِيمَنَ وَعَاتِنَا دَاوُدَ زَبُورًا ﴿١٦٣﴾ النساء: ١٦٣.

وقال الله: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقَرَبَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ ﴿٣١﴾ الزخرف: ٣١ فأنبياء الله تعالى رحمة والله تعالى أرسلهم إلينا محسنًا إلى عباده ليعلمهم بالخير والشر وجعلهم الله تعالى بيانًا وهدى والله المستعان فالله تعالى أحسن إلينا وأكرمنا بإرسالهم وهم أحسنوا ذلك وأتوا بهم بأحسن أسلوب ملازمون للصبر على الدعوة إلى الله وحسن الخلق والسماحة والعفو والصفح عن المسيء يدعون الله للعباد ليل نهار بلغوا غاية الإحسان للعباد وقابلهم الناس إلا من رحم الله بغاية الإساءة من جميع الجوانب والنواحي فصلوات ربي وسلامه عليهم ما أعظم نفعهم وخيرهم وإحسانهم إلى المدعوين.

قال ابن القيم - رَحْمَةُ اللَّهِ -: ومن هاهنا تعلم اضطرار العباد فوق كل ضرورة إلى معرفة الرسول ، وما جاء به ، وتصديقه فيما أخبر به ، وطاعته فيما أمر ، فإنه لا سبيل إلى السعادة والفلاح لا في الدنيا ، ولا في الآخرة إلا على أيدي الرسل ، ولا سبيل إلى معرفة الطيب والخبيث على التفصيل إلا من جهتهم ، ولا يُنال رضا الله ألبتة إلا على أيديهم ، فالطيب من الأعمال والأقوال والأخلاق ليس إلا هديهم وما جاؤوا به ، فهم الميزان الراجح ، الذي على أقوالهم وأعمالهم وأخلاقهم توزن الأخلاق والأعمال ، وبمتابعتهم يتميز أهل الهدى من أهل الضلال ، فالضرورة إليهم أعظم من ضرورة البدن إلى روحه ، والعين إلى نورها ، والروح إلى حياتها ، فأَيُّ ضرورة وحاجة فرضت فضرورة العبد وحاجته إلى الرسل فوقها بكثير. ^(١)

وقال الله: ﴿ثُمَّ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَالَمٍ لِّبِقَاءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ﴾ ﴿١٥٤﴾ وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ

(١) زاد المعاد (١/ ١٥)

فَاتَّبِعُوهُوَ اتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٥٥﴾ الأنعام: ١٥٤ - ١٥٥.

وقال ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾﴾ يونس: ٥٧ - ٥٨.

فالله تعالى أرسل الرسل رحمةً بالعباد وإحساناً منه تعالى إلى الخلق وأكرم هؤلاء الرسل بالشرع الذي يناسب كل قوم وفصل لهم في هذه الكتب المنزلة وأقام المعجزات الباهرة العظيمة التي توقف الخلق عن المجيء بمثلها وتوقفت الدنيا عن المجارة للمعجزات التي أكرم الله بها أنبيائه ورسله ولتكون هذه المعجزات حجة على العباد كما قال الله ﴿وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَبُجْدِلَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَمَا أُنذِرُوا هُزُوًا ﴿٥٦﴾﴾ الكهف: ٥٦.

والمعجزات كثيرة من لدن آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ إلى نبينا الكريم عليه الصلاة والسلام.

وهذا والله غاية الإحسان إلى خلقه وهذه من النعم العظيمة التي ينبغي شكرها والاعتراف بها والتمسك بما أرسل به هؤلاء الرسل الكرام فمن كفر إحسان الله تعالى بإكرامنا برسله فقد كفر على حسب كفره لنعمة الرسل نسأل الله تعالى أن يعيننا على القيام بشكر هذه النعمة والاعتراف لله تعالى بعظم إحسانه جل وعلا كما قال الله ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِنْ رَبِّكُمْ فَآمِنُوا خَيْرًا لَّكُمْ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧٠﴾﴾ النساء: ١٧٠.

وإن حسن التكليف في العقول، كحسن الإنعام والإحسان إلى العباد، بل

هو أبلغ أنواع الإحسان والإنعام، ولهذا سباه الله نعمة ومنّة، وفضلاً ورحمة، وأخبر أن الفرح به خير من الفرح بالنعم المشتركة بين الأبرار والفجار، وبين الناس والأنعام كما قال الله ﷻ **قُلْ يَفْضَلُ اللَّهُ وَبِرَحْمَتِهِ فِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ** (٥٨) يونس: (١).

إحسان إعداد الجزاء والثواب للمؤمنين في الدنيا والأخرى :

فقد نصر الله تعالى عباده في الدنيا على أعدائه ولو بعد حين وهذا من إحسان الله تعالى على المؤمنين أن ينزل عليهم نصره قال الله تعالى: **﴿وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشْرِقَ الْأَرْضِ وَمُغْرِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَءِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَّرْنَا مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ فِرْعَوْنَ وَقَوْمَهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ﴾** (١٣٧) الأعراف: ١٣٧.

فهذا من أعظم الإحسان إلى أوليائه في الدنيا. وسيثيبهم بالجزاء العظيم الوافر يوم القيامة قال الله تعالى: **﴿أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّاتُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعَمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾** (١٣٦) آل عمران: ١٣٦.

وقال الله تعالى: **﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾** (٧) جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ. (٨) البينة: ٧-٨، وغيرها من الآيات الكثيرة لإحسانه إلى عباده عظيم وملازم لهم من أول خلقهم إلى حين استقرارهم في الجنة.

وقال الله تعالى: **﴿وَلَا يُفْقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾** (١٢١) التوبة: ١٢١.

فإحسان الله تعالى للمطيعين وإعداد الثواب لهم في الدنيا والأخرة من

عظيم إحسانه تعالى وإعداد الجزاء والعقوبة للمسيء في الدنيا والآخرة من عظيم إحسانه حتى أنه ليؤدب عبده الطائع المحسن إذا حصل له هفوة أو زلل ليذكره بإحسان ربه إليه في جوانب كثيرة وأن الإحسان من الله تعالى أو ليرفع درجته ويعلي شأنه ويقربه بالبلاء إلى المكان الذي لا يصل به بالعمل لقلته فسبحان من سخر ودبر الأمر لصالح عبده وجعل الإحسان إليه في السراء والضراء فغفوك عنا يارب.

إحسان تعذيب المخالف لشرعة تبارك وتعالى :

وكذلك وضع الإحسان والرحمة والإكرام في موضع العقوبة والانتقام، كمن إذا جاء إلى من يسيء إلى العالم بأنواع الإساءة في كل شيء من أموالهم وحریمهم ودمائهم فأكرمه غاية الإكرام، ورفع كرمه، فإن الفطر والعقول تأبى استحسان هذا، وتشهد على سفه من فعله، هذه فطرة الله التي فطر الناس عليها.

فما للعقول والفطر لا تشهد حكمته البالغة، وعزته وعدله في وضع عقوبته في أولى المحال بها وأحقها بالعقوبة؟ وإنما لو أوليت النعم لم تحسن بها، ولم يلق هذا التأويل بالفطر السليمة ولظهرت مناقضة الحكمة.

فإن الإحسان إلى المطيعين دليل على المحبة والرضى، وعقوبة العصاة دليل على الغضب والسخط فتعذيب الله تعالى لمن خالف أمره من الكفار والمنافقين ومن استحق ذلك من عصاة المسلمين دليل على إحسانه إلى المؤمنين وبيان فضله عليهم جلا وعلا وأن الله تعالى نجاهم من عذابه ليس لعملهم ولكن لرحمته بهم وفضله وكرمه وإحسانه إليهم قال جل من قائل: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسْتَوُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى

فالله سيجزي كل عبد بما عمل ؛ المحسنون يجزيهم بإحسانهم، والمسيئون يجزيهم بعدله، وأهل الإحسان هم أتباع الرسل، وأهل الإساءة هم مخالفوهم، وقد أخبرنا الله عزَّجَلَّ بهلاك الأمم المكذبة في أيما آية من القرآن العظيم.

وقال الله تعالى: ﴿ أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكَكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشِيدَةٍ وَإِنْ تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فَمَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ۝٧٨ مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا ۝٧٩ ﴾ النساء : ٧٨-٧٩ .

إن شعور كل فرد بأنه مجزي بعمله، لا يؤاخذ بكسب غيره، ولا يتخلص هو من كسبه، عامل قوي في يقظته لمحاسبة نفسه قبل أن تحاسب، مع التخلي عن كل أمل خادع في أن ينفعه أحد بشيء، أو أن يحمل أحد عنه شيئاً.

وتعرض الخلائق كلها على الله يوم القيامة كما قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ ۝١٨ ﴾ الحاقة : ١٨ .

والكل مكشوف من الخلق:

فكل إنسان مكشوف الجسد مكشوف النفس مكشوف القلب مكشوف العمل مكشوف المصير وتسقط جميع الأستار التي كانت تحجب الأسرار.

وتتعرَّى النفوس تعرِّي الأجساد وتبرز الغيوب بروز الشهود ويتجرد الإنسان من حيطته، ومن مكره، ومن تدبيره، ومن شعوره، ويفتضح منه ما كان حريصاً على أن يستره حتى عن نفسه. ^(١)

فهو ربههم ومالكهم الذي يتصرف فيهم بحكمته وعدله وإحسانه، وقد أمرهم بما ينفعهم، ونهاهم عما يضرهم، وسيحاسبهم على ما أسروه وما أعلنوه.

(١) موسوعة فقه القلوب (٣٥٠٣/٤).

فيغفر لمن يشاء ممن أتى بأسباب المغفرة، ويعذب من يشاء بذنبه الذي لم يحصل له ما يكفره كما قال الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**: ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخَفُّوهُ يَحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (٣٨٤) البقرة: ٢٨٤ . (١)

إحسان الله تعالى ولطفه على عبده عند البلاء وبعد البلاء :

عن أنس - **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** - أن رسول الله - **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** - قال: إذا ابتلي المسلم ببلاءٍ في جسده قيل للملك اكتب له صالح عمله الذي كان يعمل، فإن شفاه غسله وطهره، وإن قبضه غفر له ورحمه . (٢)

وهذا من أعظم إحسان الله تعالى في بلائه لعبده أن يدخل عليه بره ولطفه ورفع درجاته ودوام أجر عمله الصالح ثم تكفير ذنوبه ومغفرتها فلا إله إلا الله ما أعظم نعم الله علينا لو كنا نفهم أو نعقل.

فابتلاؤه **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** له وامتحانه، ومنعه من كثير من أغراضه وشهواته، من كمال رحمته به، ولكن العبد لجهله وظلمه يتهم ربه بابتلائه، ولا يعلم أنه محسن إليه بابتلائه وامتحانه.

فما أصاب العبد فهو من تمام رحمة الله به وإحسانه إليه، لا من بخله عليه أو عجزه عن مكافأة عبده، كيف وهو **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** الواسع الكريم، الذي له الجود كله.

ومن رحمة الله **عَزَّ وَجَلَّ** وإحسانه بعباده ابتلاؤهم بالأوامر والنواهي رحمة لهم وحماية، لا حاجة منه **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** إليهم بما أمرهم به، فهو الغني الحميد، ولا بخلاً منه عليهم بما نهاهم عنه، فهو الواسع الكريم، وهو العليم الخبير.

(١) موسوعة فقه القلوب (٤/ ٣٥٠٧)

(٢) صحيح الترغيب والترهيب (٣٤٢٢)

ومن رحمته **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** بهم وإحسانه إليهم أن نغص عليهم الدنيا وكدرها،
لئلا يسكنوا إليها، ولا يطمئنوا بها، كي يرغبوا في النعيم المقيم في دار جواره.

فساقهم العليم الخبير إلى ذلك بسياط الابتلاء والامتحان، فمنعهم
ليعطيه، وابتلاهم ليعافيه، وأماهم ليحييهم: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ
وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ
مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ
وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْتَخُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ البقرة: ١٥٥ - ١٥٧. (١)

وقال الله تعالى عن يوسف: ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ
يَتَابِتْ هَذَا تَأْوِيلُ رُءْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ
السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِّنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ
لِّمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾ يوسف: ١٠٠.

قال العلامة السعدي - رَحِمَهُ اللَّهُ -: ﴿وَقَدْ أَحْسَنَ بِي﴾ إحساناً جسيماً
﴿أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ﴾ وهذا من لطفه وحسن خطابه
عَلَيْهِ السَّلَامُ، حيث ذكر حاله في السجن، ولم يذكر حاله في الحب، لتمام عفوهِ عن
إخوته، وأنه لا يذكر ذلك الذنب، وأن إتيانكم من البادية من إحسان الله إلي.

فلم يقل: جاء بكم من الجوع والنصب، ولا قال: أحسن بكم. بل قال
﴿وَقَدْ أَحْسَنَ بِي﴾ جعل الإحسان عائداً إليه، فتبارك من يختص برحمته من
يشاء من عباده، ويهب لهم من لدنه رحمة إنه هو الوهاب... إلى قوله: ﴿إِنَّ رَبِّي
لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ﴾ يوصل بره وإحسانه إلى العبد من حيث لا يشعر، ويوصله
إلى المنازل الرفيعة من أمور يكرهها، إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الذي يعلم ظواهر
الأمور وبواطنها، وسرائر العباد وضمائرهم، ﴿الْحَكِيمُ﴾ في وضعه الأشياء

(١) موسوعة فقه القلوب (٩٧ / ١) بتصرف.

مواضعها، وسوقه الأمور إلى أوقاتها المقدرة لها (١)

وعن سعد - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قال: قال: رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل يبتلى الرجل على حسب دينه فإن كان في دينه صلوا اشتد بلاءه وإن كان في دينه رقة ابتلي على قدر دينه فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الأرض وما عليه خطيئة. (٢)

وهذا من رحمة الله بالعبد وإحسانه إليه أن يبتليه على قدر دينه وثقته بربه وصدقه معه فإن كان في دينه القوة زاد له في البلاء لأن البلاء رفعة وتكفير لذنوب وإن كان في دينه رقة ابتلاه ورفق به لأن القصد ليس التنفير والتضييق عليه بل من أجل مصلحته وتكفير ذنبه وهذا والله في غاية الإحسان إلى العباد جميعاً.

وقال تعالى عن بعض أنبيائه: ﴿وَأَتُوبُكَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ (٨٣) فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَذَكَرْنَا لِلْعَالَمِينَ (٨٤) وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِنَ الصَّابِرِينَ (٨٥) وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُمْ مِنَ الصَّالِحِينَ (٨٦) وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغْضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ (٨٧) فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَبَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُخَيِّجُ الْمُؤْمِنِينَ (٨٨) وَذَكَرْنَا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ (٨٩) فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَاهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رِعَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ (٩٠) ٨٣-٩٠.

(١) تيسير الكريم الرحمن (٤٠٦).

(٢) صحيح الجامع (٩٩٢).

فالله تعالى يتولى عبده المؤمن فيخرجه من الظلمات إلى النور، ويجعل له من كل هم فرجاً، ومن كل ضيق مخرجاً، ويثبته عند الشدائد، ويحول بينه وبين ما قد يقوم في قلبه من السوء، ويحوطه بعنايته ورعايته ويوفقه ويسدده، ومن ذلك صرفه عن الأفكار الخبيثة أو صرفها عنه بما يهيئ له من الأسباب.

وإذا كان العبد من المقربين المحسنين، فإن الله يزيد في عنايته به، ومعيته له، حتى لا تنبث جوارحه ولا قلبه، إلا لما يرضي الله، وما فيه خيره في دينه ودنياه، فهو محاط بعناية الله.

وقال الله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَلَئِنْ قُلْتُمْ إِنَّكُمْ مَبْعُوثُونَ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ ﴿٧﴾ هود: ٧.

فالله جرت سنته في عباده المؤمنين أن يتليهم على حسب إيمانهم، فمن ازداد إيمانه زيد في بلائه. فإن كان في دينه صلابة شدد عليه البلاء، وإن كان في دينه رقة خفف عنه البلاء.

وهذا الابتلاء هو ابتلاء صبر العباد وشكرهم في حال السراء والضراء، وفي الخير والشر.

والابتلاء بالنعم من الغنى والعافية والجاه أعظم الابتلاءين، والصبر على طاعة الله أشق الصبرين.

والنعمة بالفقر والمرض وقبض الدنيا وأذى الخلق قد يكون أعظم النعمتين، وفرض الشكر عليها أوجب من الشكر على أضدادها.

فالرب عزَّ وجلَّ يتلي بنعمه وينعم ببلائه، غير أن الشكر والصبر حالتان لازمتان للعبد في أمر الرب ونهيه، وقضائه وقدره، لا يستغني العبد عنهما

طرفة عين.

فالمأمور لا يؤديه العبد إلا بصبر وشكر والمحذور لا يترك إلا بصبر وشكر وأما المقدور فمتى صبر العبد عليه اندرج شكره في صبره كما يندرج صبر الشاكر في شكره.

والله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** خلق السماوات والأرض ليتلى عباده بأمره ونهيه. ^(١)
وقال النبي - **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** - : « **عَجَبًا لَأَمْرِ الْمُؤْمِنِ إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَاءٌ شَكَرَ، فَكَانَ خَيْرًا لَهُ وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَاءٌ صَبَرَ، فَكَانَ خَيْرًا لَهُ** » ^(٢).

وما يصيب الإنسان نوعان:

إن كان يسره فهو نعمة بينة كالإيمان والأعمال الصالحة، والأهل والأموال والأولاد ونحوها.

وإن كان يسوؤه فهو نعمة خفية كالمصائب والآلام، يكفر الله بها خطاياها، ويرفع بها درجاته، ويثاب بالصبر عليها، وفيها حكمة ورحمة لا يعلمها العبد. والنعمتان كلاهما إحسان من الله، وتحتاجان مع الشكر إلى الصبر، أما الضراء فظاهر، وأما نعمة السراء فتحتاج إلى الصبر على الطاعة فيها.

لكن لما كان في السراء اللذة ومن الضراء الألم اشتهر ذكر الشكر في السراء، والصبر في الضراء، والله منعم بهذا كله، وإن كان لا يظهر ابتداءً لأكثر الناس، فإن الله يعلم وأنتم لا تعلمون. ^(٣)

(١) موسوعة فقه القلوب (٣/ ٢٤١٣).

(٢) مسلم (٢٩٩٩).

(٣) موسوعة فقه القلوب (١/ ٧٧٥).

إحسان دفاعه عن أوليائه :

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ﴾ (٣٨) الحج : ٣٨ .

قال العلامة صديق حسن - رَحِمَهُ اللَّهُ - : قوله: ﴿عَنِ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ أي يدافع عن المؤمنين غوائل المشركين، وقيل يعلي حجتهم وقيل يوفقهم، وقال أبو حيان: لم يذكر الله ما يدفعه عنهم ليكون أفخم وأعظم وأعم، والجملة مستأنفة لِيُبينَ هذه المزية الحاصلة للمؤمنين من رب العالمين وأنه المتولي للمدافعة عنهم. (١)

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُهُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أَحْبَبُّهُ فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا وَرِجْلَهُ الَّتِي يَشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لِأَعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنْ عَادَى لِي لَأُعَذِّبَنَّهُ... الحديث (٢) .

قال ابن رجب - رَحِمَهُ اللَّهُ - : قوله: فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها المراد من هذا الكلام أن من اجتهد بالتقرب إلى الله تعالى بالفرائض، ثم بالنوافل قرب به إليه، ورقاه من درجة الإيمان إلى درجة الإحسان، فيصير يعبد الله على الحضور والمراقبة، كأنه يراه، فيمتلئ قلبه بمعرفة الله تعالى ومحبته وعظمته وخوفه ومهابته وإجلاله والأنس به، والشوق إليه حتى يصير هذا الذي في قلبه من المعرفة، مشاهدًا له بعين البصيرة ... فمتى امتلأ القلب بعظمة الله تعالى، محا

(١) فتح البيان (٩/ ٥٤).

(٢) صحيح الجامع (١٧٨٢).

الإحسان

ذلك من القلب كل ما سواه، ولم يبق للعبد شيء من نفسه وهواه، ولا إرادته إلا لما يريده منه مولاه، فحينئذ لا ينطق العبد إلا بذكره ولا يتحرك إلا بأمره، فإن نطق، نطق بالله، وإن سمع، سمع به، وإن نظر، نظر به، وإن بطش، بطش به، فهذا هو المراد بقوله: كنت سمعه الذي يسمع به .^(١)

وعن عبد الله بن عمرو - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - أن النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قال: لزوال الدنيا أهونُ على الله من قتل رجل مسلم .^(٢) فالعبد الذي أحسن عمله ولم يرتكب ما يبيح سفك دمه أو انتهاك عرضه أو أخذ ماله الله تعالى وليه. والله جل وعلا بين عظمة المؤمن وأن زوال الدنيا أهون عند الله من سفك دمه الاعتداء عليه.

ومن إحسان الله تعالى لعباده مغفرة ذنوبهم وتبديل السيئات حسنات.

قال الله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ نَقَبْلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَنَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ وَعَدَ الصِّدْقِ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ﴾ (١١) الأحقاف: ١٦ .

فمن حكمة الابتلاء بالمعصية أن الله يحب أن يتفضل على عباده ويتم نعمته عليهم، ويريمهم مواقع بره وكرمه وإحسانه، ومن أعظم أنواع الإحسان والبر، أن يحسن إلى من أساء، ويعفو عن ظلم، ويغفر لمن أذنب وقد ندب المولى عباده إلى هذه الشيم الفاضلة والأفعال الحميدة، وهو أولى بها منهم وأحق، وله في تقدير أسبابها من الحكم ما يبهر العقل ف **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** وبحمده.^(٣)

وعن أبي ذر - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قال: قال: رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : إني لأعلم آخر أهل الجنة دخولا الجنة وآخر أهل النار خروجاً منها رجل يؤتى به يوم

(١) جامع العلوم والحكم (٣٤٤، ٣٤٥).

(٢) سنن الترمذي (١٣٩٥) وصححه العلامة الألباني.

(٣) موسوعة فقه القلوب (١/ ٧٧٢).

القيامة فيقال: اعرضوا عليه صغار ذنوبه وارفعوا عنه كبارها. فتعرض عليه صغار ذنوبه فيقال عملت يوم كذا وكذا وكذا وكذا وعملت يوم كذا وكذا وكذا. فيقول: نعم. لا يستطيع أن ينكر وهو مشفق من كبار ذنوبه أن تعرض عليه. فيقال له: فإن لك مكان كل سيئة حسنة. فيقول: رب قد عملت أشياء لا أراها ها هنا. (١)

والله عز وجل غني عن عباده، ومع ذلك فهو محسن إليهم، رحيم بهم مع كثرة معاصيهم، وهذا من كمال غناه وكرمه ورحمته، فهو محسن إلى عبده مع غناه عنه، يريد به الخير، ويكشف عنه الضر، لا لجلب منفعة إليه من العبد، بل رحمة منه وإحساناً إليه: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (٥٦) ﴿مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُوا﴾ (٥٧) إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ (٥٨) ﴿الذاريات: ٥٦-٥٨ و من مظاهر إحسان الله تعالى لعباده مضاعف الأجور لهم.

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (٢٦١) البقرة: ٢٦١، وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوفَّى الصَّادِقُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ الزمر: ١٠، وقال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَفْرَفْ حَسَنَةً نَزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾ (٢٣) الشورى: ٢٣.

وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا أَمَثَلُهَا وَهُمْ لَا يَظْلَمُونَ﴾ (١٦٠) ، وقال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكَ حَسَنَةً يَضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ (٤٠) النساء: ٤٠ .

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : إِذَا أَسْلَمَ الْعَبْدُ فَحَسُنَ إِسْلَامُهُ كَتَبَ اللَّهُ لَهُ كُلَّ حَسَنَةٍ كَانَ أَرْزَلَهَا وَحِثَّ عَنْهُ

الإِحْسَانُ

كُلُّ سَيِّئَةٍ كَانَ أَزْلَفُهَا، ثُمَّ كَانَ بَعْدَ ذَلِكَ الْقِصَاصُ فَكُلُّ حَسَنَةٍ يَعْمَلُهَا تُكْتَبُ لَهُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا، إِلَى سَبْعِمِائَةِ ضِعْفٍ وَكُلُّ سَيِّئَةٍ يَعْمَلُهَا تُكْتَبُ لَهُ بِمِثْلِهَا إِلَّا أَنْ يَتَجَاوَزَ اللَّهُ عَنْهَا حَتَّى يَلْقَى اللَّهَ. ^(١)

وجاء عن أبي ثعلبة الخشني - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قال: فإن من ورائكم أياماً الصبر فيهن مثل القبض على الجمر، للعامل فيهن مثل أجر خمسين رجلاً يعملون مثل عملكم، قال عبد الله بن المبارك: وزادني غير عتبة: قيل: يا رسول الله! أجر خمسين منا أو منهم؟ قال: بل أجر خمسين منكم. ^(٢) وعن ابن عمر - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قال: إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا نَصَحَ لِسَيِّدِهِ وَأَحْسَنَ عِبَادَةَ اللَّهِ، فَلَهُ أَجْرُهُ مَرَّتَيْنِ. ^(٣)

قال الشيخ عطية سالم - رَحِمَهُ اللَّهُ - : فأَيُّ الحسنات التي تتضاعف، وأي الحسنات التي تقف عند العشر؟ يقول العلماء: المضاعفة ليس مردها للفعل من حيث هو، ولكن للفاعل ولظروف الفعل، فإذا كان الإنسان مقبلاً على العمل بنية خالصة وإقبال على الله، وراغباً في الخير، ومؤمناً بوعد الله، فهو ليس كشخص يساق إلى العمل سوقاً.

وقالوا أيضاً: الحسنات تزداد وتتضاعف بحسب قلب صاحبها ويقينه وإيمانه.

إذاً: ليسوا سواء، وفرق بين الذي يقبل على العلم إيماناً و يقيناً وبين الذي يدفع إليه دفعاً.

(١) البخاري (٢٤٤٢) مسلم (١٢٩).

(٢) صحيح الجامع (٢٢٣٤).

(٣) البخاري (٢٥٤٦)، مسلم (١٦٦٤).

إذا: تتضاعف الحسنة بحسب ميزان الإيمان في قلب المؤمن. ^(١)

واعلم يا أخي أن مضاعفة الأجر للأعمال تكون بأسباب:

* منها شرف المكان المعمول فيه ذلك العمل كالحرَم: ولذلك تضاعف الصلاة في مسجدي مكة والمدينة كما ثبت ذلك في الحديث الصحيح عن النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قال: صلاة في مسجدي هذا خير من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام. ^(٢)

* ومنها شرف العامل عند الله وقربه منه وكثرة تقواه: كما يضاعف أجر هذه الأمة على أجور من قبلهم من الأمم وأعطوا كفلين من الأجر.

* ومنها شرف الزمان كشهر رمضان وعشر ذي الحجة.

فعن النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قال: عمرة في رمضان تعدل حجة. ^(٣)

وأدلة ذلك كثيرة جداً فلو تقصيناها سيطول الموضوع علينا والقصد الإشارة والبيان وقد حصل والله الحمد.

ومن مظاهر إحسان الله تعالى لعباده دلالتهم على الإيمان :

فأعظم شيء وهبه الله للعبد هو الإيمان الذي يسعد به في الدنيا والآخرة وهو فضل الله وإحسانه إلى البشرية كما قال الله سُبحانه وتعالى: ﴿يُمْنُونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمْنُوا عَلَيَّ إِسْلَمَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمْنُ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَيْكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ الحجرات: ١٧.

والإيمان نور يشرق به قلب المؤمن وروحه وكيانه، فيرى قلب المؤمن الخالق

(١) شرح الأربعين النووية الدرس (٧٩) بتصرف.

(٢) البخاري (١١٩٠)، مسلم (١٣٩٤).

(٣) البخاري (١٧٨٢)، مسلم (١٢٥٦).

والمخلوق، ويرى عظمة ربه وإحسانه، ويشاهد مظاهر قدرته ورحمته. فالإيمان نور واحد يهدي إلى طريق واحد، يهدي إلى الحق، وإلى طريق مستقيم.

والإيمان بالله أغلى شيء في الحياة، بل هو أغلى شيء في خزائن الله، وسعادة الإنسان في الآخرة مبنية عليه، وهو أهم شيء يوصى به العبد أهله عند مفارقتها للحياة كما قال الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَبْنَئِ إِنَّ اللَّهَ أَصْطَفَى لَكُمْ الَّذِينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (١٣٢) البقرة: ١٣٢.**

فمن رزقه الله الإيمان والعمل الصالح فقد اصطفاه تعالى وأحسن إليه ما لم يحسن إلى غيره ممن لم ينل الإيمان. فالله تعالى لا يحب الدين ولا يعطيه إلا من أحبه. ولا فرق عند الله تعالى بين مال أو جاه ولا ميزة في هذا بل المرجع والميزان الذي يوزن به العباد القلوب فمن علم الله تعالى في قلبه الخير والإيمان وفقه وسدده من علم الله فيه خلاف ذلك لم يكن له عوناً قال الله تعالى: **﴿إِنْ يَعْلَمَ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِمَّا أُخِذَ مِنْكُمْ وَيَغْفِرَ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ﴾ (الأنفال: ٧٠)**، لأن الله تعالى جنته غاليه لا يجب أن يدخلها إلا من أحبه فجعل الله للعباد الدنيا دار البلاء والاختبار فتفهم هذا يصلح الله لك شأنك.

ومن مظاهر إحسان الله تعالى لعباده إحسان التشريع لهم :

قال الله تعالى: **﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا نَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ﴾ (١٣) الشورى: ١٣.**

وقال الله تعالى: **﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ (المائدة: ٥٠).**

قال العلامة السعدي - رحمه الله - قوله: **﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ﴾** أي: أفيطلبون

بتوليهم وإعراضهم عنك حكم الجاهلية، وهو كل حكم خالف ما أنزل الله على رسوله. فلا ثم إلا حكم الله ورسوله أو حكم الجاهلية. فمن أعرض عن الأول ابتلي بالثاني المبني على الجهل والظلم والغى، ولهذا أضافه الله للجاهلية، وأما حكم الله تعالى فمبني على العلم، والعدل والقسط، والنور والهدى.

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ (٥٠) ﴿فالموقن هو الذي يعرف الفرق بين الحكمين ويميز - بإيقانه - ما في حكم الله من الحسن والبهاء، وأنه يتعين - عقلاً وشرعاً - اتباعه. واليقين، هو العلم التام الموجب للعمل. (١)﴾

قال ابن القيم - رَحِمَهُ اللَّهُ -: وقوله: ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَمَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَيْكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (١٧) ﴿الحجرات: ١٧. فهي محض الإحسان إليهم والرفقة بهم وهدايتهم إلى ما به صلاحهم في الدنيا والآخرة لا أنها محض التكليف والامتحان الخالي عن العواقب الحميدة والغايات التي لا سبيل إليها إلا بهذه الوسيلة فهي لغاياتها المجربة المطلوبة بمنزلة الأكل للشبع والشرب للري والجماع لطلب الولد وغير ذلك من الأسباب التي ربطت بها مسبباتها بمقتضى الحكمة والعزة فلذلك نصب هذا الصراط المستقيم وسيلة وطريقاً إلى الفوز الأكبر والسعادة ولا سبيل إلى الوصول إليه إلا من هذه الطريق كما لا سبيل إلى دخول الجنة إلا بالعبور على الصراط. (٢)﴾

قال الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي - رَحِمَهُ اللَّهُ -: إن الشريعة كلها مبنية على الرحمة في أصولها وفروعها، وفي الأمر بأداء الحقوق سواء كانت لله أو للخلق، فإن الله لم يكلف نفساً إلا وسعها، وإذا تدبّرت ما شرعه الله - عَزَّ وَجَلَّ - في المعاملات والحقوق الزوجية وحقوق الوالدين والأقربين، والجيران، وسائر

(١) تيسر الكريم الرحمن (٢٣٤).

(٢) البدائع (٢/ ٤٠٥).

ما شرع وجدت ذلك كله مبنياً على الرحمة، ثم قال: لقد وسعت هذه الشريعة برحمتها وعدلها العدو والصديق، ولقد لجأ إلى حصنها الحصين الموفقون من الخلق. ^(١)

والخلاصة: أن ما من نعمة على العباد إلا وكان ذلك من باب الإحسان من الله تعالى إلى خلقه وعباده **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** وتتجلى تلك الحسنى في أبواب كثيرة وفي مواطن لا تعد ولا تحصى وإنما أشرنا إشارة إلى هذا الجانب العظيم الذي يغفل عنه العباد والله تعالى اعلم.

قال الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ المائدة: ٣، فالله أكمل لهذه الأمة دينها ورضيه لها **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**.

ثانياً: إحسان الملائكة إلى الناس :

ومن إحسانهم إلى العباد حفظ أعمالهم :

وكل جل جلاله ملائكة بأعمال بني آدم خيرها وشرها تحصيلها وتحفظها وتكتبها كما قال **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**: ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ ق: ١٨.

وقال الله تعالى: ﴿أَمْ أَبْرَمُوا أَمْرًا فَإِنَّا مُبْرِمُونَ﴾ ٧٩ أم يحسبون أننا لا نسمع سرهم ونجوتهم بلى ورسلنا لديهم يكتبون ﴿٨٠﴾ الزخرف: ٧٩.

وقال الله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَءِثَرَهُمْ وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ﴾ ١٢ يس: ١٢.

وقال الله تعالى: ﴿وَكُلُّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا﴾ ١٣ اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً ﴿١٤﴾ الإسراء: ١٣-١٤.

(١) الرياض الناضرة والحدائق النيرة الزاهرة في العقائد والفنون المتنوعة الفاخرة (٦١ - ٦٥) بتصرف.

وقال الله تعالى: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا﴾ (٢٩) النبا: ٢٩ .

وعن أنس - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أن رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قال: إذا ابتلي المسلم ببلاءٍ في جسده قيل للملك اكتب له صالح عمله الذي كان يعمل، فإن شفاه غسله وطهره، وإن قبضه غفر له ورحمه .^(١)

فقد أحكم الله عَزَّ وَجَلَّ الرقابة على هذا الإنسان فهو يعيش ويتحرك وينام ويأكل ويشرب ويتحدث ويصمت ويقطع الرحلة كلها بين يدي ملكين موكلين به عن اليمين والشمال يتلقيان منه كل حركة وكل كلمة ويسجلانها فور وقوعها لتكون في سجل حساب هذا الإنسان: ﴿إِذْ يَنْتَقَى الْمَلَائِكَةُ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ﴾ (١٧) مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ (١٨) ﴿ق: ١٧-١٨ .

من إحسانهم إلى العبد أنهم له حفظة:

قال الله تعالى: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفْرِطُونَ﴾ (٦١) الأنعام: ٦١ .

وقال الله تعالى: ﴿إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ﴾ (٤) الطارق: ٤ .

وقال الله تعالى: ﴿لَهُ، مُعَقِّبَتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ، مِّنْ أَمْرِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ، وَمَا لَهُمْ مِّنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ﴾ (١١) الرعد: ١١ .

قال العلامة السعدى - رَحِمَهُ اللَّهُ - : ﴿مُعَقِّبَتٌ﴾ من الملائكة يتعاقبون في الليل والنهار. ﴿مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ، مِّنْ أَمْرِ﴾ أي: يحفظون بدنه وروحه من كل من يريده بسوء، ويحفظون عليه أعماله، وهم ملازمون له دائماً، فكما أن علم الله محيط به، فالله قد أرسل هؤلاء الحفظة على العباد، بحيث لا

(١) صحيح الترغيب والترهيب (٣٤٢٢).

تخفى أحوالهم ولا أعمالهم، ولا ينسى منها شيء. (١)

من إحسانهم إلى العبد الصالح الدعاء له:

قال الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ۝٤٣﴾ الأحزاب : ٤٣ .

وقوله الله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَجْمَلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ غافر : ٧ .

وعن أبي أمامة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أن رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قال: إن الله وملائكته وأهل السماوات وأهل الأرض حتى النملة في جحرها، وحتى الحوت ليصلون علي معلم الناس الخير. (٢)

وعن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: إن الله تعالى وملائكته يصلون على المتسحرين. (٣)

وعن أبي هريرة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قال: قال: رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : ما من يوم يصبح العباد فيه، إلا ومكان ينزلان، فيقول أحدهما: اللهم أعط منفقاً خلفاً. ويقول الآخر: اللهم أعط ممسكاً تلفاً. (٤)

وعن أبي الدرداء - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قال: قال: رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : دعوة المسلم لأخيه بظهر الغيب مستجابة، عند رأسه ملك موكل، كلما دعا لأخيه بخير قال الملك الموكل به: آمين، ولك بمثل. (٥)

(١) تيسير الكريم الرحمن (٤١٤) .

(٢) صحيح الجامع (١٨٣٨) .

(٣) الصحيحة (٣٤٠٩) .

(٤) البخاري (١٤٤٢)، مسلم (١٠١٠) .

(٥) مسلم (٢٧٣٢) .

وعن علي - **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** - قال: سمعت رسول الله - **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** - يقول: ما من مسلم يعود مسلماً غدوةً إلا صلي عليه سبعون ألف ملك حتى يمسي، وإن عادته عشيةً إلا صلي عليه سبعون ألف ملك حتى يصبح، وكان له خريف في الجنة . (١)

وعن أبي هريرة - **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** - قال: قال: رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: الملائكة تصلي على أحدكم ما دام في مصلاه الذي صلى فيه ما لم يحدث، تقول: اللهم اغفر له، اللهم ارحمه . (٢)

فمن عظيم إحسان الله تعالى أن جعل للعبد من يدعو له من ملائكته تعالى وهم محبون لعباده فأَيُّ إحسان من ملائكة الله تعالى لعبده الصالح وكل الإحسان راجع إلى المحسن **تَبَارَكَ وَتَعَالَى**.

ومن إحسانهم أنهم يغسلون بعض الصالحين :

عندما قتل حنظلة الغسيل - **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** - قال: رسول الله - **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** - : إن صاحبكم يعني حنظلة لتغسله الملائكة فاسألوا أهله ما شأنه فسئلت صاحبته فقالت: خرج وهو جنب حين سمع الهاتفة، فقال رسول الله - **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** - : لذلك غسلته الملائكة (٣)

يبين النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** - حال حنظلة - **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** - وأن الله تعالى اطلعه على ملائكته وهم يغسّون رجلاً من أصحابه فأحسنوا غسله وأن الله تعالى أكرمه بذلك عندما أجاب داعي الله تعالى وخرج جنباً فيألفها من كرامة ويا له من إحسان نسأل الله تعالى أن يتوفانا وهو راض عنا.

(١) صحيح الجامع (٥٧٦٧).

(٢) البخاري (٤٤٥) واللفظ له، ومسلم (٦٤٩).

(٣) السلسلة الصحيحة (٣٢٦).

ومن إحسانهم أنهم يبشرون المؤمنين بالخير :

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلَىٰ بِكُمُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا نَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ ﴿٣١﴾ نَزَّلْنَا مِنْ غُفُورٍ رَحِيمٍ ﴿٣٢﴾﴾ فصلت : ٣٠ - ٣٢ .

وقال الله تعالى: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثٌ ضَافٍ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ ﴿٢٥﴾ فَرَاغَ إِلَىٰ أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٢٧﴾ فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ وَبَشِّرُوهُ بِنِعْلِمٍ عَلِيمٍ ﴿٢٨﴾﴾ الذاريات : ٢٤ - ٢٨ .

وبشرت زكريا بيحيى - عَلَيْهِمَا السَّلَام - : ﴿فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ﴾ آل عمران : ٣٩ .

وعن أبي هريرة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: إن رجلاً زار أخاً له في قرية أخرى، فأرصد الله له على مدرجته - طريقه - ملكاً، فلما أتى عليه، قال: أين تريد؟ قال: أريد أخاً لي في هذه القرية، قال: هل لك عليه من نعمة تربها؟ قال: لا، غير أني أحببته في الله عَزَّ وَجَلَّ، قال: فإني رسول الله إليك بأن الله قد أحبك كما أحببته فيه .^(١)

وعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: قال لي رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أريتك في المنام يجيء بك الملك في سرقة من حرير، فقال لي: هذه امرأتك، فكشفت عن وجهك الثوب، فإذا أنت هي، فقلت: إن يك هذا من الله يمضه .^(٢)

(١) مسلم (٢٥٦٧) .

(٢) البخاري (٣٨٩٥)، مسلم (٢٤٣٨) .

وعن عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال: كان الرجل في حياة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا رأى رؤيا قصّها على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فتمنيت أن أرى رؤيا فأقصّها على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وكنت غلاماً شاباً، وكنت أنام في المسجد على عهد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فرأيت في النوم كأن ملكين أخذاني فذهبا بي إلى النار، فإذا هي مطوية كطيّ البئر، وإذا لها قرنان كقرني البئر، وإذا فيها أناس قد عرفتهم، فجعلت أقول: أعوذ بالله من النار، قال: فلقيهما ملك آخر، فقال لي: لم ترع. ^(١)

فالبشارة من الله تعالى لعبده متوالية ومن ضمن ذلك بشارة الملائكة للعبد الصالح بأمور كثيرة تمر عليه في ليله ونهاره حتى يختم الله تعالى حياته بذلك فتأتيه ملائكة الموت تبشره قبل الموت نسأل الله تعالى من كرمه وخيره.

ومن إحسانهم أنهم يحبون الصالحين ويبغضون المجرمين:

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قال: إذا أحب الله عبداً نادى جبريل: إن الله يحب فلاناً فأحبه، فيحبه جبريل. فينادي جبريل في أهل السماء: إن الله يحب فلاناً فأحبه، فيحبه أهل السماء، ثم يوضع له القبول في الأرض. ^(٢)

فملائكة الله تعالى تحب ما يحب وتبغض ما يبغض فكلما كان العبد محسناً بينه وبين الله تعالى والله تعالى يحبه يأمر الله تعالى ملائكته بمحبة عبده الصالح ويجعل الله له القبول في الأرض نسأل الله تعالى أن يرزقنا محبته لنا ومحبتنا له ومحبة كل شيء يحبه تعالى.

ومن إحسانهم إلى العبد الصالح إعانته وتسديده:

عن حسان بن ثابت - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دعا له، فقال:

(١) البخاري (١١٢١)، ومسلم (٢٤٧٩).

(٢) البخاري (٣٢٠٩)، ومسلم (٢٦٣٧).

اللهم أیده بروح القدس . (١)

وعن أبي هريرة رضي الله عنه - قال: قال سليمان عليه السلام: لأطوفن الليلة بمائة امرأة، تلد كل امرأة غلاما يقاتل في سبيل الله. فقال له الملك: قل: إن شاء الله، فلم يقل، ونسي، فأطاف بهن، ولم تلد إلا امرأة منهن نصف إنسان. قال النبي صلى الله عليه وسلم: لو قال: إن شاء الله لم يحدث، وكان أرجى لحاجته. (٢) فالملك سدد نبي الله سليمان وأرشده إلى الأصوب والأكمل.

فمعونة الله تعالى لعبده من كل ناحية ومن كل جهة وفي كل لحظة ومن أعظم الإعانة لعبده تسخير الملائكة لمعونة عبده الصالح وتثبته وتسديه في كثير من الأمور.

من إحسانهم إلى المؤمنين الدفاع عنهم والتثبيت لهم :

كما قال الله عز وجل: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَبَ لَكُمْ أَنِّي مُبَدِّكُمْ بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرَدِّفِينَ﴾ (٩) الأنفال : ٩ .

وقال الله تعالى: ﴿إِذْ يُوحَىٰ رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾ (١٢) الأنفال : ١٢ .

وقال الله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾ (٩) الأحزاب : ٩ .

وقال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرِ وَانْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (١٣) إذ تقول للمؤمنين أن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين

(١) البخاري (٤٥٣).

(٢) البخاري (٥٢٤٢)، ومسلم (١٦٥٤).

﴿١٢٤﴾ بَلَىٰ إِنْ نَصَبُوا وَتَتَقُوا وَيَأْتُواكُم مِّن قَوْمِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴿١٢٥﴾ آل عمران : ١٢٣-١٢٥ .

وعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا : أن رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قال يوم بدر: هذا جبريل أخذ برأس فرسه وعليه أداة الحرب . ^(١)

وعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: بينما رجل من المسلمين يومئذ يشد في إثر رجل من المشركين أمامه إذ سمع ضربة بالسوط فوقه، وصوت الفارس يقول: أقدم حيزوم، إذ نظر إلى المشرك أمامه مستلقياً فنظر إليه هو قد خُطم أنفه وشق وجهه، كضربة السوط فاخضر ذلك الموضع أجمع، فجاء الأنصاري فحدث بذلك رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فقال: صدقت، ذلك مدد من السماء الثالثة. ^(٢)

وعن أبي هريرة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أن رجلاً شتم أبا بكر - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - والنبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - جالس فجعل النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يعجبه ويتسمم، فلما أكثر رد عليه بعض قوله، فغضب النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وقام فلاحقه أبو بكر فقال يا رسول الله! كان يشتمني وأنت جالس، فلما رددت عليه بعض قوله غضبت وقمت! قال: إنه كان معك ملك يرد عنك، فلما رددت عليه بعض قوله وقع الشيطان، فلم أكن لأقعد مع الشيطان ثم قال: يا أبا بكر! ثلاث كلهن حق: ما من عبد ظلم بظلمة فيغض عنها الله عَزَّ وَجَلَّ إلا أعز الله بها نصره، وما فتح رجل باب عطية يريد بها صلة إلا زاده بها كثرة، وما فتح باب مسألة يريد بها كثرة إلا زاده الله بها قلة . ^(٣)

وعن أبي بكر - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عن النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قال: لا يدخل المدينة رعب

(١) البخاري (٣٩٩٥).

(٢) مسلم (١٧٦٣).

(٣) السلسلة الصحيحة (٢٢٣١).

الإحسان

المسيح الدجال، ولها يومئذ سبعة أبواب، على كل باب ملكان. ^(١)

وعن أبي هريرة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قال: قال رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : على أنقاب المدينة ملائكة، لا يدخلها الطاعون، ولا الدجال. ^(٢)

عن أبي هريرة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قال: قال أبو جهل: هل يعفر محمد وجهه بين أظهركم؟ قال: فقيل: نعم، فقال: واللات والعزى، لئن رأيته يفعل ذلك لأطأن على رقبته، أو لأعفرن وجهه في التراب. قال: فأتى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو يصلي، زعم ليطأ على رقبته. قال: فما فجأهم منه إلا وهو ينكص على عقبه، ويتقي بيديه، قال: فقيل له: ما لك؟ فقال: إن بيني وبينه لخدقاً من نار، وهولاً وأجنحة. فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لو دنا مني لتخطفته الملائكة عضواً عضواً. ^(٣)

يتعاقبون في بني آدام :

عن أبي هريرة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قال: قال رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل، وملائكة بالنهار، ويجتمعون في صلاة الفجر وصلاة العصر، ثم يعرج الذين باتوا فيكم، فيسألهم ربهم - وهو أعلم بهم - كيف تركتم عبادي؟ فيقولون: تركناهم وهم يصلون، وأتيناهم وهم يصلون. ^(٤)

فالملائكة كل يوم يتعاقبون على البشر، و يصعدون بسجلات الأعمال إلى ربهم، ويعرضونها أمام الله تعالى وهذا فيه بشارة للمحسن في عمله أن الله تعالى مطلع عليه وأن الله تعالى لا يضيع المحسنين.

(١) البخاري (٧١٢٥).

(٢) البخاري (١٨٨٠)، ومسلم (١٣٧٩).

(٣) مسلم (٢٧٩٧).

(٤) البخاري (٥٥٥)، مسلم (٦٣٢).

حضور مجالس العلم وحف طلاب العلم بالأجنحة:

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده، ومن بطأ به عمله لم يسرع به نسبه. ^(١)

وعن أبي الدرداء - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قال: سمعت رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يقول: من سلك طريقاً يطلب فيه علماً سلك به طريقاً إلى الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها رضي لطالب العلم. ^(٢)

وعن أبي هريرة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قال: قال رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله، ويتدارسونه بينهم، إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة، وحفتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده. ^(٣)

ثالثاً: إحسان الأنبياء إلى أممهم وأخصهم نبينا عليه الصلاة والسلام:

من أعظم النعم على العباد إرسال الله تعالى أنبياءاً ورسلاً إلى العباد كما قال الله تعالى: ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴾ ^(٢٤) فاطر: ٢٤ ، فكان من صور إحسان الأنبياء والرسل إلى العباد كثيرة جداً منها:

دعوتهم إلى الله تعالى وبيان التوحيد:

قال الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَتَقَوَّمُوا عِبَادُ اللَّهِ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهِ غَيْرِهِ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾ ^(٢٣) المؤمنون: ٢٣ .

(١) مسلم (٢٦٩٩) .

(٢) صحيح الجامع (١٩٥٦) .

(٣) مسلم (٢٦٩٩) .

الْإِحْسَانُ

وقال الله تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَتَقَوَّمُوا عِبَادُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ إِنَِّّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥٩﴾ الأعراف: ٥٩ .

وقال الله تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ ۖ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَبْنِي إِسْرَءِيلَ عِبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ ﴿٧٢﴾ المائدة: ٧٢ .

وقال الله تعالى: ﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ ﴿١١٧﴾ المائدة: ١١٧ .

وقال الله تعالى: ﴿وَإِلَىٰ شَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَتَقَوَّمُوا عِبَادُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَ تَكْـمُّمٌ بِبَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ فذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمْسُوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ أَلِيمٍ﴾ ﴿٧٣﴾ الأعراف: ٧٣ .

وقال الله تعالى: ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَتَقَوَّمُوا عِبَادُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَ تَكْـمُّمٌ بِبَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخُسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ ﴿٨٥﴾ الأعراف: ٨٥ .

وقال الله تعالى: ﴿قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِيهِ إِلَّا نَبَأُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا ذَلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ﴾ ﴿٢٧﴾ وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانُوا لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٨﴾ يَصْدَحِي السَّجْنَ ءَأَرْيَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءً سَمِيَتْهُمَا أَنْتُمْ وَءَابَاؤُكُمْ مَّا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ الْحُكْمُ

إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾ يوسف : ٣٧-٤٠ .

وغير ذلك من الآيات الكثيرة التي تبين أن أنبياء الله ورسله كانت مهمتهم الدعوة إلى توحيد الله تعالى كما قال الله جَلَّوَعَلَا : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ ﴾ (٣٦) النحل : ٣٦ .

الرحمة بهم في بيان الشريعة:

قال الله تعالى : ﴿ وَمِنْهُمْ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (٦١) التوبة : ٦١ .

قال السعدي - رَحِمَهُ اللَّهُ - : وأما حقيقة ما في قلبه ورأيه، فقال عنه : ﴿ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ الصادقين المصدقين، ويعلم الصادق من الكاذب، وإن كان كثيرا ما يعرض عن الذين يعرف كذبهم وعدم صدقهم، ﴿ وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (٦١) فإنهم به يهتدون، وبأخلاقه يقتدون.

وأما غير المؤمنين فإنهم لم يقبلوا هذه الرحمة بل ردوها، فخسروا دنياهم وآخرتهم ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ ﴾ بالقول أو الفعل ﴿ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (٦١) في الدنيا والآخرة، ومن العذاب الأليم أنه يتحتم قتل مؤذيه وشاتميه. (١).

وقال الله تعالى : ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا

(١) تيسير الكريم الرحمن (٣٤١).

عَنْهُ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ التوبة: ١٢٨.

قال السعدي - رَحِمَهُ اللهُ -: ﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ﴾ فيحب لكم الخير، ويسعى جهده في إيصاله إليكم، ويحرص على هدايتكم إلى الإيمان، ويكره لكم الشر، ويسعى جهده في تنفيركم عنه. ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ أي: شديد الرأفة والرحمة بهم، أرحم بهم من والديهم.

ولهذا كان حقه مقدما على سائر حقوق الخلق، وواجب على الأمة الإيمان به، وتعظيمه، وتعزيزه، وتوقيره. ^(١)

فقد كان رحيماً بأولهم وآخرهم عليه الصلاة والسلام وقد وجد أولهم ممن عاشره هذه الرحمة البالغة والإحسان الزائد منه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بهم في جميع مناحي الحياة في العبادات لم يشق عليهم وكان من إحسانه في دنياهم لم يبخل عليهم بشيء كان في يده بل ينفقه ويخرجه وأحسن إليهم بتعليمهم وأحسن إليهم بإخراجهم من ظلمات الشرك إلى نور التوحيد والإيمان ومن إحسانه إليهم أن جعلهم عباداً لله تعالى وما جعلهم عباداً له ومن إحسانه إليهم أن جعلهم أمة واحدة كالجسد الواحد متحابون متراحمون متعاونون لم يجعلهم طبقات متميزون بل شاع بينهم روح الأخوة والتواضع وكل سمات وصفات ومكارم الأخلاق السامية التي ما وصل إليه عبد من العباد فصلوات ربي وسلامه عليه.

ومن مظاهر إحسان الأنبياء إلى قومهم الحرص على دعوتهم وتعليمهم أمر دينهم:

وقال الله تعالى: ﴿كَذَلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهَا أُمَمٌ لَتَتْلُوا عَلَيْهِمُ الذِّكْرَ أََوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ ﴿٣٠﴾﴾ [الرعد: ٣٠].

(١) تيسير الكريم الرحمن (٣٥٦).

قال ابن كثير - رَحِمَهُ اللَّهُ -: وَكَمَا أَرْسَلْنَاكَ يَا مُحَمَّدٌ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ لِتُتْلُوا عَلَيْهِمُ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَيُّ تَبْلُغُهُمْ رِسَالَةَ اللَّهِ إِلَيْهِمْ، كَذَلِكَ أَرْسَلْنَا فِي الْأُمَمِ الْمَاضِيَةِ الْكَافِرَةِ بِاللَّهِ، وَقَدْ كُذِّبَ الرُّسُلُ مِنْ قَبْلِكَ بِهِمْ أُسُوءَةً. ^(١)

لقد أبان الله تعالى في هذه الآيات قيمة وأهمية إرسال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقيمة ما أُرسل به وعظمة القرآن الكريم المنزل عليه، فمثل ذلك الإرسال للأنبياء السابقين أُرسلناك أيها الرسول محمد إرسالاً له شأن وفضل على سائر الإرسالات، ومهمتك في هذا الإرسال واضحة، أُرسلناك بكتاب تبليغه للناس وتقرؤه عليهم، كما أُرسلنا رسلاً إلى أمم من قبلك، ولما كُذِّبَ الرُّسُلُ، انظر كيف نصرناهم وجعلنا العاقبة لهم، ولأتباعهم في الدنيا والآخرة. ^(٢)

قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ ۚ وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ ﴿٦﴾﴾ [فصلت: ٦].

قال السعدي - رَحِمَهُ اللَّهُ -: ﴿قُلْ﴾ لهم يا أيها النبي: ﴿أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ﴾ أي: هذه صفتي ووظيفتي، أني بشر مثلكم، ليس بيدي من الأمر شيء، ولا عندي ما تستعجلون به، وإنما فضلني الله عليكم، وميّزني، وخصّني، بالوحي الذي أوحاه إليّ وأمرني باتباعه، ودعوتكم إليه.

﴿فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ﴾ أي: اسلكوا الصراط الموصل إلى الله تعالى، بتصديق الخبر الذي أخبر به، واتباع الأمر، واجتناب النهي، هذه حقيقة الاستقامة، ثم الدوام على ذلك، وفي قوله: ﴿إِلَيْهِ﴾ تنبيه على الإخلاص، وأن العامل ينبغي له أن يجعل مقصوده وغايته، التي يعمل لأجلها، الوصول إلى الله، وإلى دار كرامته،

(١) تفسير ابن كثير (٤/ ٣٩٥).

(٢) التفسير الوسيط (٢/ ١١٦٧).

فبذلك يكون عمله خالصاً صالحاً نافعاً، وبفواته، يكون عمله باطلاً .^(١)

وقال الله تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨].

وقال الله تعالى: ﴿إِن تَحْرِصْ عَلَىٰ هُدَاهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَن يُضِلُّ وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ﴾ [النحل: ٣٧].

يُخْبِرُ اللَّهُ رَسُولَهُ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بِأَنَّ حَرْصَهُ عَلَىٰ هِدَايَةِ الْمُشْرِكِينَ مِنْ قَوْمِهِ لَا يَنْفَعُهُمْ إِذَا كَانَ اللَّهُ قَدَّارَهُمْ الضَّلَالِ، وَمَنْ يُضِلِّ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ، وَلَيْسَ لَهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَيُنْقِذُهُ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ تَعَالَى.

فليس الهدى أو الضلال بحرص الرسول على هدى القوم أو عدم حرصه، فوظيفته البلاغ. أما الهدى أو الضلال فيمضي وفق سُنَّةِ اللَّهِ وهذه السُنَّةُ لا تتخلف ولا تتغير عواقبها، فمن أضله الله لأنه استحق الضلال وفق سُنَّةِ اللَّهِ، فإن الله لا يهديه، لأنَّ الله سُنَّاتُهُ تعطي نتائجها وهكذا شاء. والله فعال لما يشاء.

ومن مظاهر إحسان الأنبياء إلى قومهم العفو عن مسيئتهم:

قال الله تعالى: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩].

وعن ابن مسعود - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قال: كَأَنِّي أَنْظِرُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَحْكِي نَبِيًّا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ، ضَرَبَهُ قَوْمُهُ، فَأَدْمَوْهُ فَهُوَ يَمْسَحُ الدَّمَ عَنْ وَجْهِهِ وَيَقُولُ: رَبِّ اغْفِرْ لِقَوْمِي فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ .^(٢)

وعن جابر بن عبد الله - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - أَنَّهُ غَزَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَبْلَ

(١) تيسير الكريم الرحمن (٧٤٤) .

(٢) البخاري (٦٩٢٩) واللفظ له، ومسلم (١٧٩٢) .

نجد، فلما قفل رسول الله ﷺ قفل معه، فأدركتهم القائلة في واد كثير العضاة فنزل رسول الله ﷺ، وتفرق الناس يستظلون بالشجر. فنزل رسول الله ﷺ تحت شجرة وعلق بها سيفه ونمنا نومة، فإذا رسول الله ﷺ يدعوننا، وإذا عنده أعرابي فقال: إن هذا اخترط علي سيفي وأنا نائم، فاستيقظت وهو في يده صلتا. فقال: من يمنعك مني؟ فقلت: الله (ثلاثا)، ولم يعاقبه وجلس. ^(١)

وعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت ما خير رسول الله ﷺ بين أمرين قط إلا أخذ أيسرهما ما لم يكن إثماً فإن كان ثم إثم كان أبعد الناس منه وما انتقم رسول الله ﷺ لنفسه في شيء قط إلا أن تنتهك حرمة الله فينتقم الله تعالى. ^(٢)

ومن مظاهر إحسان الأنبياء إلى قومهم الخوف على قومهم من عذاب الله تعالى:

قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَفْقَوْمَ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنِّ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ ﴿٥٩﴾ [الأعراف: ٥٩].

وقال الله تعالى: ﴿أَلَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ﴾ ﴿٢﴾ وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُغْفِرْ لَكُمْ مَنَاعًا حَسَنًا إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ وَإِن تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ ﴿٣﴾ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤﴾ [هود: ١-٤].

وقال الله تعالى: ﴿وَأَذْكُرْ أَهْلَ عَادٍ إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَّتِ النُّذُرُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ ﴿٦١﴾ [الأحقاف: ٢١].

(١) البخاري (٢٩١٠) واللفظ له. مسلم (٨٤٣).

(٢) البخاري (٣٥٦٠)، مسلم (٢٣٢٧).

وقال الله تعالى: ﴿وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ﴾ (١٢٧) إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾ [النحل: ١٢٧-١٢٨].

فأنبياء الله تعالى ورسله من أعظم من دعى إلى الله تعالى وإلى توحيده وصرف الناس إليه تعالى دون غيره بذلوا أوقاتهم وأعمارهم وحياتهم وراحتهم وكل هذا من عظيم خوفهم على العباد من استحقاق غضب الله تعالى وناره عليهم فما أعظم أثرهم على الناس وما أسواء أثر الناس عليهم.

ومن مظاهر إحسان الأنبياء إلى قومهم حسن الخلق والمعاملة لهم:

قال الله تعالى: ﴿فِيمَا نَقُضُهُمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَدْسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا نَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ (١٢٣) [المائدة: ١٣].

وقال الله تعالى: ﴿فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لَئِنْ لَهِمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ (١٥٩) [آل عمران: ١٥٩].

وعن أبي هريرة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّ أَعْرَابِيًّا بَالٍ فِي الْمَسْجِدِ، فَثَارَ إِلَيْهِ النَّاسُ لِيَقْعُوا بِهِ، فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: دَعُوهُ وَأَهْرِيقُوا عَلَى بَوْلِهِ ذُنُوبًا مِنْ مَاءٍ أَوْ سَجَلًا مِنْ مَاءٍ فَإِنَّمَا بَعَثْتُمْ مَيَّسِرِينَ وَلَمْ تَبْعَثُوا مَعْسِرِينَ (١).

عن ابن مسعود - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: لَمَّا قَسَمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ غَنَائِمَ حُنَيْنٍ

(١) البخاري (٦١٢٨) واللفظ له. ولمسلم (٢٨٤) من حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

بِالْجُرْأَةِ اَزْدَحَمُوا عَلَيْهِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: إِنْ عَبْدًا مِنْ عِبَادِ اللَّهِ بَعَثَهُ اللَّهُ إِلَى قَوْمٍ فَكَذَّبُوهُ وَشَجَّوْهُ، فَكَانَ يَمْسَحُ الدَّمَ عَنْ جَبْهَتِهِ وَيَقُولُ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِقَوْمِي فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ. قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ فَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَحْكِي الرَّجُلَ يَمْسَحُ عَنْ جَبْهَتِهِ. ^(١)

فقابل إساءتهم العظيمة إليه بأربع مقامات من الإحسان:

عفوه عنهم عن حقه استغفاره لهم اعتذاره عنهم بأنهم لا يعلمون استعطافه لهم بقوله قومي.

رابعاً: إحسان العلماء إلى الأمة:

قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء: ٨٣].

وعن إبراهيم بن عبد الرحمن العذري - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قال: قال: رسول الله - ﷺ -: يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله ينفون عنه تأويل الجاهلين وانتحال المبطلين وتحريف الغالين. ^(٢)

وعن عثمان بن عفان - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قال: قال: رسول الله - ﷺ -: خيركم من تعلم القرآن وعلمه. ^(٣)

وعن سهل بن سعد - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أن النبي - ﷺ - قال لعلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم. ^(٤)

(١) الصحيحة (٣١٧٥).

(٢) السلسلة الصحيحة (١/ ٤٨٥).

(٣) البخاري (٥٠٢٧).

(٤) البخاري (٢٩٤٢)، مسلم (٢٤٠٦).

وعن أبي هريرة - **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** - قال: سمعت رسول الله - **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** - يقول: الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ذكر الله وما والاه وعالمًا أو متعلمًا. ^(١)
وقال أبو الدرداء - **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** - : مثل العلماء في الناس كمثل النجوم في السماء يهتدى بها. ^(٢)

وعن أبي هريرة - **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** - أن رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** قال: تجدون الناس معادن، فخيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا، وتجدون من خير الناس في هذا الأمر أكرهم له قبل أن يقع فيه. وتجدون من شرار الناس ذا الوجهين. الذي يأتي هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه. ^(٣)

وقال أبو بكر الراجزي - **رَحِمَهُ اللَّهُ** - : العلماء في كل حال لهم فضل عظيم، في خروجهم لطلب العلم، وفي مجالستهم لهم فيه فضل، وفي مذاكرة بعضهم لبعض لهم فيه فضل. وفيهم تعلموا العلم لهم فيه فضل، وفيمن علموه العلم لهم فيه فضل. فقد جمع الله للعلماء الخير من جهات كثيرة نفعا الله وإياهم بالعلم. ^(٤)

وقال المناوي - **رَحِمَهُ اللَّهُ** - : صاحب العلم أي: صاحب العلم الشرعي العامل به، المعلم لغيره لوجه الله تعالى يستغفر له كل شيء حتى الحوت في البحر فيا لها من مرتبة ما أسناها، ومنزلة ما أرفعها وأعلاها، يكون المرء مشغلاً بأمر ديناه وصحف حسناته متزايدة وأعمال الخير مهداة إليه من حيث لا يحتسب هذا سر قوله: من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين ، ولولا العلماء الذين يتلقون العلم ويعلمونه الناس ويبينون الحلال من الحرام جيلاً بعد جيل

(١) قال الشيخ الألباني: حسن صحيح ، الترغيب (٧٠) .

(٢) أخلاق العلماء للآجري (٢٩) .

(٣) البخاري (٣٤٩٦) . ومسلم (٥٢٦٢) واللفظ له .

(٤) أخلاق العلماء، للآجري (٤١) .

هلكت الناس والدواب والأنعام حتى حيتان البحر وضاع الدين واضمحل العدل فحق لهم أن يستغفروا له. اهـ. (١)

وعن أنس بن مالك - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قال: قال: النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يَسْرُوا وَلَا تَعْسَرُوا، وَسَكَنُوا وَلَا تَنْفَرُوا. (٢)

ومن مظاهر إحسان العلماء إلى قومهم كثيرة جداً منها:

تعلم العلم الشرعي الذي يحفظ الله به الأمة جميعاً وينشرونه بين الناس وتفرغ أوقاتهم وأعمارهم وانشغالهم بهذا العلم طلباً لنجاة للعباد من فتن الدنيا والآخرة، وأيضاً الحرص على دعوة الأمة وقيادتها إلى شاطئ السلامة فالعلماء هم حماة الشريعة والأمة، وبهم يحفظ الله دينه ودنيا العباد.

فمن أعظم الإحسان إلى الخلق تعليمهم ما ينفعهم في دينهم، وما يكون سبباً لنجاتهم في الدنيا والآخرة، من العلم بالله وأسمائه وصفاته، ودينه وشرعه، وتحذيرهم مسالك الشر والمهلكات.

وهي وظيفة الأنبياء والرسل وأتباع الرسل، وبهذا كانوا أعظم الناس إحساناً إلى الخلق، لما يحملونه من الخير للبشرية، ولهم عليهم من المنّة والفضل ما لا يؤدي شكره أحد كما قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [آل عمران: ١٦٤]. (٣)

خامساً: إحسان العبد إلى نفسه:

قال الله تعالى: ﴿وَفَسِّرْ وَمَا سَوَّنَهَا﴾ (٧) فَأَهْمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا (٨) قَدْ أَفْلَحَ مَن

(١) فيض القدير (٤/ ٢٥٠).

(٢) البخاري (٦١٢٥) واللفظ له، ومسلم (١٧٣٤).

(٣) موسوعة فقه القلوب (١/ ٧٨٠).

زَكَّيْنَهَا ﴿١٠﴾ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّهَا ﴿١٠﴾ [الشمس: ٧-١٠].

قال العلامة السعدي - رَحِمَهُ اللَّهُ -: فالنفس آية كبيرة من آياته التي حقيقة بالإقسام بها فإنها في غاية اللطف والخفة، سريعة التنقل والحركة والتغير والتأثر والانفعالات النفسية، من الهم، والإرادة، والقصد، والحب، والبغض، وهي التي لولاها لكان البدن مجرد تمثال لا فائدة فيه، وتسويتها على هذا الوجه آية من آيات الله العظيمة.

وقوله: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّيْنَهَا ﴿١٠﴾﴾ أي: طهر نفسه من الذنوب، ونقاها من العيوب، ورقاها بطاعة الله، وأعلاها بالعلم النافع والعمل الصالح.

﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّهَا ﴿١٠﴾﴾ أي: أخفى نفسه الكريمة، التي ليست حقيقة بقمعها وإخفائها، بالتدنس بالردائل، والدنو من العيوب، والاقتراف للذنوب، وترك ما يكملها وينميها، واستعمال ما يشينها ويدسيها. ^(١)

إذا هبت رياحك فاغتنمها فإن لكل خافقة سكون
ولا تغفل عن الإحسان فيها فما تدري السكون متى يكون

وقال الله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾﴾ [النازعات: ٤٠-٤١].

قال العلامة صديق حسن خان - رَحِمَهُ اللَّهُ -:

﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ﴾ أي حذر مقامه بين يدي ربه يوم القيامة لعلمه بالمبدأ والمعاد، قال الربيع مقامه يوم الحساب، قال قتادة يقول إن الله عَزَّجَلَّ مقاماً قد خافه المؤمنون، وقال مجاهد هو خوفه في الدنيا من الله عَزَّجَلَّ الواقعة ^(١) تيسير الكريم الرحمن (٩٢٦).

الذنب فيقلع عنه، نظيره قوله ﴿وَلَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ ۖ﴾ [الرحمن: ٤٦] ،
والأول أولى.

﴿وَنَهَى النَّفْسَ﴾ الأمرة بالسوء ﴿عَنِ الْهَوَى﴾ أي زجرها من الميل إلى
المعاصي والمحارم التي تشتهيها، قال مقاتل: هو الرجل يهم بالمعصية فيذكر
مقامه للحساب فيتركها، والهوى ميل النفس إلى شهواتها.

﴿فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى﴾ ﴿٤١﴾ أي المنزل الذي ينزله والمكان الذي يأوي إليه
لا غيرها. ^(١)

أَلَمْ تَرَ أَنَّ النَّفْسَ يُرِيدُكَ شَرُّهَا وَأَنَّكَ مَأْخُودٌ بِمَا كُنْتَ سَاعِيَا
فَمَنْ ذَا يُرِيدُ الْيَوْمَ لِلنَّفْسِ حِكْمَةً وَعِلْمًا يَزِيدُ الْعَقْلَ لِلصَّدْرِ شَافِيَا
هَلُمَّ إِلَيَّ الْآنَ إِنْ كُنْتَ طَالِبًا سَبِيلَ الْهُدَى أَوْ كُنْتَ لِلْحَقِّ بَاغِيَا

سادساً: إحسان العبد إلى غيره:

قال الله تعالى: ﴿وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ إِنَّ
الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُبِينًا﴾ ﴿٥٣﴾ [الإسراء: ٥٣] .

فالله تعالى أمر العباد أن يتعاملوا بالحسنى في جميع شئونهم ولا سيما الصالحون
فإنهم مأمورون أن يكونوا على مكانة عظيمة ومنزلة رفيعة في الأخلاق العالية
والصفات الحميدة الجميلة لا سيما فيما بينهم ونهى أن يكون للشيطان حظ أو
نصيب في تسلط الشيطان في الإفساد بينهم وحذر من ذلك عظيم الحذر.

(١) فتح البيان (١٥ / ٧٠).

وقال الله تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِ الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [فصلت: ٣٤]، يعني بذلك وإن حصلت إساءة على العبد فإنهم ينبغي أن يدفع الإساءة بالحسني والخير بالشر. قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا حُيِّتُمْ بِنَحِيَةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا﴾ [النساء: ٨٦].

خَلَّ إِذَا جِئْتَهُ يَوْمًا لِسْأَلِهِ أَعْطَاكَ مَا مَلَكَتْ كِفَاةً وَاعْتَذَرَ
يُخْفِي صَنَائِعَهُ وَاللَّهُ يَعْلَمُهَا إِنَّ الْجَمِيلَ إِذَا أَخْفَيْتَهُ ظَهَرَ

وعن عدي بن حاتم - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قال: قال: النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : ما منكم من أحد إلا سيكلمه ربه ليس بينه وبينه حاجب ولا ترجمان، فينظر أيمن منه فلا يري إلا شيئاً قدمه، وينظر أشأم منه فلا يري إلا شيئاً قدمه، فينظر أمامه، فتستقبله النار، فمن استطاع منكم أن يتقي النار ولو بشق تمره فليفعل، فإن لم يجد فيكلمة طيبة .^(١)

فبذل الإحسان إلى الناس قولاً وفعلاً في جميع مناحي الحياة هو من أعظم العمل الذي أرشد الله إليه ويجب الله تعالى من العباد التحلي به فمن لم يستطع ملازمة الإحسان والفضل على العباد فعليهِ بالعدل والإنصاف وجوباً.

(١) الترمذي (٢٤١٥) صحيحه الألباني.

خامساً: أهمية الإحسان

الإحسان عبادة أمر الله بها:

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠].

قال ابن عيينة: سئل علي - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عن قول الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾. قال: العدل: الإنصاف، والإحسان: التفضل. ^(١)

وقرأ الحسن البصري: هذه الآية ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾ الآية ثم وقف فقال إن الله جمع لكم الخير كله والشر كله في آية واحدة فوالله ما ترك العدل والإحسان شيئاً من طاعة الله عَزَّوَجَلَّ إلا جمعه ولا ترك الفحشاء والمنكر والبغي من معصية الله شيئاً إلا جمعه. ^(٢)

وقال ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أجمع آية في كتاب الله آية في سورة النحل، وتلا هذه الآية: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾.

ومعنى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾ العدل: هو فعل كل مفروض، من عقائد وشرائع، وسير مع الناس في أداء الأمانات، وترك الظلم، والإنصاف وإعطاء الحق.

والإحسان: فعل كل مندوب إليه، أي فهو زائد على العدل، كالرحمة التي

(١) الحلية (٧/ ٢٩١).

(٢) الحلية (٢/ ١٥٨).

الإِحْسَانُ

هي فوق القوة، وإن الله يأمر عباده بالعدل والإنصاف مطلقاً في كل شيء في التعامل والقضاء والحكم، وشؤون الدين والدنيا، حتى مع نفسه ومع غيره، وفي الاعتقاد، فلا يعبد بحق وعدل غير الله الخالق الرازق، النافع، ويأمر الله أيضاً بالإحسان في العبادة وإلى المسيء، وإلى القرابة والجيران وإلى الناس قاطبة. ^(١)

وقال الله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ وَأَنتُمْ مُّعْرِضُونَ ﴿٨٣﴾﴾ [البقرة: ٨٣].

وقال الله تعالى: ﴿وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: ١٩٥].

قال العلامة السعدي - رَحِمَهُ اللَّهُ -:

﴿وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ وهذا يشمل جميع أنواع الإحسان، لأنه لم يقيده بشيء دون شيء، فيدخل فيه الإحسان بالمال كما تقدم.

ويدخل فيه الإحسان بالجاء، بالشفاعات ونحو ذلك، ويدخل في ذلك، الإحسان بالأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وتعليم العلم النافع، ويدخل في ذلك قضاء حوائج الناس، من تفريج كرباتهم وإزالة شداتهم، وعيادة مرضاهم، وتشجيع جنائزهم، وإرشاد ضالهم، وإعانة من يعمل عملاً والعمل لمن لا يحسن العمل ونحو ذلك، مما هو من الإحسان الذي أمر الله به، ويدخل في الإحسان أيضاً، الإحسان في عبادة الله تعالى، وهو كما ذكر النبي ﷺ: أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه، فإنه يراك .

(١) الوسيط للزحيلي (٢/ ١٢٩٦).

فمن اتصف بهذه الصفات، كان من الذين قال الله فيهم: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦] ، كان الله معه يسدده ويرشده ويعينه على كل أموره. ^(١)

ويتبين لنا من هذا المبحث أمور منها:

- * أن الله تعالى أمر بالإحسان وحث عليه ورغب فيه.
- * وأن الله تعالى جعل الإحسان بأنواعه عبادة يتعبد بها العبد لربه تعالى.
- * وأن الإحسان من أعظم مراتب العبادات لله تعالى.
- * وأن الإحسان ملازم لكل صغيرة وكبيرة لا ينفك عمل العبد عن الإحسان.

معية الله تعالى للمحسنين:

قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٩] .

قال العلامة السعدي - رَحِمَهُ اللهُ -:

﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ بالعون والنصر والهداية. دل هذا، على أن أخرى الناس بموافقة الصواب أهل الجهاد، وعلى أن من أحسن فيما أمر به أعانه الله ويسر له أسباب الهداية، وعلى أن من جد واجتهد في طلب العلم الشرعي، فإنه يحصل له من الهداية والمعونة على تحصيل مطلوبه أمور إلهية، خارجة عن مدرك اجتهاده، وتيسر له أمر العلم، فإن طلب العلم الشرعي من الجهاد في سبيل الله، بل هو أحد نوعي الجهاد، الذي لا يقوم به إلا خواص الخلق، وهو الجهاد بالقول واللسان، للكفار والمنافقين، والجهاد على تعليم أمور الدين،

(١) تيسير الكريم الرحمن (٩٠).

وعلى رد نزاع المخالفين للحق، ولو كانوا من المسلمين. ^(١)

وقال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ (١٢٨).

وقال الله تعالى: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ

رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (٥٦) [الأعراف: ٥٦].

وكلما كان العبد أكثر إحساناً إلى نفسه وإلى غيره كان أقرب إلى رحمة الله، وكان ربه قريباً منه برحمته.

واختص أهل الإحسان برحمة الله، لأنها إحسان من الله، والإحسان إنما يكون لأهل الإحسان من خلقه، لأن الجزء من جنس العمل، فكما أحسنوا بأعمالهم، أحسن الله إليهم برحمته كما قال الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**: ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَنُ﴾ (٦٠) [الرحمن: ٦٠].

قال العلامة العثيمين - رَحِمَهُ اللَّهُ -:

معية الله **عَزَّجَلَّ** تنقسم إلى قسمين: عامة، وخاصة.

والخاصة تنقسم إلى قسمين: مقيدة بشخص، ومقيدة بوصف.

أما العامة؛ فهي التي تشمل كل أحد من مؤمن وكافر وبر وفاجر. ودليلها قوله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾ [الحديد: ٤].

أما الخاصة المقيدة بوصف؛ فمثل قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ (١٢٨).

وأما الخاصة المقيدة بشخص معين؛ فمثل قوله تعالى عن نبيه: ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠]، وقال لموسى وهارون:

(١) تيسير الكريم الرحمن (٦٣٥).

﴿إِنِّي مَعَكُمْ أَسْمَعُ وَأَرَى﴾ ﴿٤٦﴾ [طه: ٤٦] .

وهذه أخص من المقيدة بوصف.

فالمعية درجات: عامة مطلقة، وخاصة مقيدة بوصف، وخاصة مقيدة بشخص.

فأخص أنواع المعية ما قيد بشخص، ثم ما قيد بوصف، ثم ما كان عاماً. فالمعية العامة تستلزم الإحاطة بالخلق علماً وقدرة وسمعاً وبصراً وسلطاناً وغير ذلك من معاني ربوبيته، والمعية الخاصة بنوعيتها تستلزم مع ذلك النصر والتأييد. ^(١)

يتبين لنا من هذا المبحث أمور منها:

- * أن الله تعالى يوصف بالمعية الخاصة والعامة كما أسلفنا.
- * أن معية الله تعالى الخاصة تنال المؤمنين.
- * أن المحسن الله تعالى معه معية زائدة على معية الخلق جميعاً وهو الحفظ والكلاءة والنصر والحفظ والتأييد.
- * أن من شرف الإحسان نيل معية الله تعالى وكفى بهذه العبادة شرفاً.

محبة الله تعالى للمحسنين:

محبة الله تعالى لعبده صفة ذاتية خبرية نسبتها لله تعالى على ما يليق بجلاله **تَبَارَكَ وَتَعَالَى** لا تشبه محبة المخلوقين من ميل القلب ورقة إلى ما ينفعه.

ومحبته لعباده المحسنين هو محل كرم وفضل منه تعالى وجود وإحسان إلى من اتصف بصفة الإحسان وإلا فهو **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** لا ينفعه إحسان المحسن ولا

(١) شرح الواسطية (١/ ٤٠١-٤٠٢).

تضره إساءة المسيء بل ذلك عائد على صاحبه.

فمحببة الله تعالى للعبد هو وسام الشرف ومحل الرفعة وعلو المكانة لهذا العبد الذي إذا نال هذا الأمر فقد نال ما لم ينله غيره فكفى به شرفاً وعزاً ورفعةً وسمواً لمن نال محبة الله تعالى.

قال الله تعالى: ﴿وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ (١٩٥) [البقرة: ١٩٥].

فولاية الله ومحبته هي الغاية الكبرى التي يجب أن يطلبها كل مؤمن، وطريقها الإحسان في كل شيء، وأساس الإحسان الإخلاص.

وقال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَبَاطِمْ الْأَغْيَظِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ (١٣٤) [آل عمران: ١٣٤].

وقال الله تعالى: ﴿فَأَنذَرْتَهُمْ اللَّهُ تَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ (١٤٨) [آل عمران: ١٤٨].

وقال الله تعالى: ﴿فِيمَا نَقُضِهِمْ مِّثْلَ قَدْحٍ لَّعَنَهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَدْسِيَّةً يُحْزِنُونَ أَلْكَامَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا نَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ (١٣) [المائدة: ١٣].

وقال الله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَءَامَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ (٩٣) [المائدة: ٩٣].

كلها آيات تدعو العبد إلى الإحسان وتبين أن جزاؤه محبة الله تعالى له وهذه

جائزة رفيعة عظيمة من رب عظيم أن يكون العبد محبوباً عند الرب تعالى.

عن أسامة بن شريك - **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** - قال: كُنَّا جُلُوساً عِنْدَ النَّبِيِّ - **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** - كَانُوا عَلَى رُؤُوسِ الطَّيْرِ، مَا يَتَكَلَّمُ مَنَا مُتَكَلِّمٌ، إِذْ جَاءَهُ أَنَاسٌ فَقَالُوا: مَنْ أَحَبُّ عِبَادِ اللَّهِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى؟ قَالَ: أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا. ^(١)

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ سَمَحَ الْبَيْعِ، سَمَحَ الشَّرَاءِ، سَمَحَ الْقَضَاءِ. ^(٢)

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا. فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أَحْبَبُهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ. كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي. لَأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ. ^(٣)

قال ابن القيم - **رَحِمَهُ اللَّهُ** - ^(٤):

فصل في الأسباب الجالبة للمحبة والموجبة لها وهي عشرة:

أحدها: قراءة القرآن بالتدبر والتفهم لمعانيه وما أريد به، كتدبر الكتاب الذي يحفظه العبد ويشرحه؛ ليتفهم مراد صاحبه منه.

الثاني: التقرب إلى الله بالنوافل بعد الفرائض فإنها توصله إلى درجة المحبوبة بعد المحبة.

(١) صحيح الترغيب والترهيب (٢٦٥٢).

(٢) صحيح الجامع (١٨٨٨)، الصحيحة (٨٩٩).

(٣) البخاري (٦٥٠٢).

(٤) المدارج (١٨/٣-١٩).

الثالث: دوام ذكره على كل حال باللسان والقلب والعمل والحال فنصيبه من المحبة على قدر نصيبه من هذا الذكر.

الرابع: إثارة محابه على محابك عند غلبات الهوى، والتسنى إلى محابه وإن صعب المرتقى.

الخامس: مطالعة القلب لأسمائه وصفاته، ومشاهدتها ومعرفتها، وتقلبه في رياض هذه المعرفة ومبانيها؛ فمن عرف الله بأسمائه وصفاته وأفعاله أحبه لا محالة، ولهذا كانت المعطلة والفرعونية والجهمية قطاع الطريق على القلوب بينها وبين الوصول إلى المحبوب.

السادس: مشاهدة برّه وإحسانه وآلائه ونعمه الباطنة والظاهرة فإنها داعية إلى محبته.

السابع: وهو من أعجبها، انكسار القلب بكليته بين يدي الله تعالى، وليس في التعبير عن هذا المعنى غير الأسماء والعبارات.

الثامن: الخلوة به وقت النزول الإلهي لمناجاته وتلاوة كلامه، والوقوف بالقلب والتأدب بأدب العبودية بين يديه، ثم ختم ذلك بالاستغفار والتوبة.

التاسع: مجالسة المحبين الصادقين، والتقاط أطياب ثمرات كلامهم كما يتتقى أطياب الثمر، ولا تتكلم إلا إذا ترجحت مصلحة الكلام، وعلمت أن فيه مزيداً لحالك ومنفعة لغيرك.

العاشر: مباحة كل سبب يحول بين القلب وبين الله عز وجل.

فمن هذه الأسباب العشرة وصل المحبون إلى منازل المحبة ودخلوا على الحبيب، وملاك ذلك كله أمران:

- استعداد الروح لهذا الشأن.

- وانفتاح عين البصيرة. وبالله التوفيق. اهـ.

يتبين لنا من هذا المبحث أمور منها:

- * أن الله تعالى يوصف بالمحبة كما يليق بجلاله تعالى.
- * وأن الإحسان من ثمراته في الدنيا والآخرة نيل محبة الله تعالى.
- * وأن الإحسان عبادة عظيمة يحبها الله تعالى ويجب من اتصف بها.
- * وأن عبادة الإحسان لها شرف كبير أوصل أهلها إلى نيل محبة الله تعالى.
- * وأن المحبة من الله تعالى للعبد على قدر إحسانه.
- * وأن من أعظم المطالب التي يجب أن يسعى لها العبد هو الإحسان في جميع جوانب حياته وأن يطلب بذلك المثوبة والرضا من الله تعالى.

المحسنون هم أهل الثبات في الدين:

الثبات على دين الله تعالى دليل على كمال الإيمان وقوة النفس وتوفيق الله تعالى للعبد ولا يتأتى هذا إلا بعد توفيق الله تعالى للعبد ولا يكون الثبات على الدين إلا لأهل الإحسان والبر والعمل الصالح فهو ثمرة من ثمار الإحسان فمن أحسن كان الله تعالى له عوناً ومعيناً وموفقاً للثبات على محاب الله وبعداً عن مساخطه جل وعلا.

قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يُسَلِّمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ [لقمان: ٢٢].

قال العلامة الأمير القنوجي - رَحِمَهُ اللَّهُ -:

﴿وَمَنْ يُسَلِّمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ﴾ أي: يفوض أمره إليه. ويخلص له عبادته.

الإِحْسَانُ

﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ في أعماله، لأن العبادة من غير إحسان فيها ولا معرفة بها يحتاج إليه فيها لا تقع بالموقع الذي تقع به عبادة المحسنين، وقد صح عن الصادق المصدوق لما سأله جبريل عن الإحسان أنه قال له: إن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك.

﴿فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى﴾ أي: اعتصم بالعهد الأوثق، وتعلق به وهو تمثيل لحال من أسلم وجهه إلى الله بحال من أراد أن يرتقي إلى شاطئ جبل فيمسك بأوثق عرى جبل متدل منه. ^(١)

ولأهمية الثبات على دين الله تعالى كان النبي ﷺ من أشد الناس لهجاً وضراعةً إلى الله تعالى فقد كان يكثر من الدعاء بالثبات على دين الله تعالى وبالنعمة الثمرة لمن أحسن وكان من المحسنين أن الله تعالى وعده بالثبات على دينه حتى يلاقاه مادام محسناً.

فعن النّوّاس بن سَمْعَانَ الكلابيّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أنّه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ما من قلب إلا بين إصبعين من أصابع الرحمن. إن شاء أقامه وإن شاء أزاعه وكان رسول الله ﷺ يقول: يا مَثْبُتِ القلوب ثَبَّتْ قلوبنا على دينك قال: والميزان بيد الرحمن يرفع أقواماً ويخفض آخرين إلى يوم القيامة. ^(٢)

يتبين لنا من هذا المبحث أمور منها:

* أن الثبات على دين الله تعالى عزيز ويعتبر كرامة من الله تعالى يكرم بها من يشاء من خلقه ويحرمها من يشاء من خلقه على علم هو يعلمه تعالى.

(١) فتح البيان (٣/ ٤٣٤).

(٢) ابن ماجه (١٩٩) صحيح.

* أن من لازم الاستقامة يدوم الخير من العبد حتى الموت وهذا بحد ذاته كرامة من الله تعالى على عبده إذا وفقه وأعانه على ذلك.

* أن من ثمرات الإحسان تثبيت الله تعالى للمحسنين ودوام خيريتهم وتوفيق الله تعالى لهم.

* أن الثبات على دين الله تعالى له ثمن مقدم من العبد فلا يناله إلا من علم الله خيريته وإحسانه في هديه وسيره إلى الله تعالى.

* أن على قدر الإحسان ينال العبد التثبيت في الدنيا والأخرى نسأل الله تعالى من فضله.

استجابة دعاء المحسنين:

الإجابة والاستجابة من صفات الله تعالى كما قال الله تعالى: ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُ لَكُم مَخْرَجًا مِنَ الْأَرْضِ﴾ [النمل : ٦٢] ، وقال الله: ﴿سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿فَأَسْتَجِبْنَا لَهُ﴾. فما دام أن من صفات الله تعالى الاستجابة للدعاء فلا ييأس المحسن بنيل ما يرجوه من الخير في الدنيا والأخرى فكرم الله تعالى عظيم من رب كريم.

ومن أجاب الله دعاءه وقبل عمله فأى كرم بعد هذا أن يقبل على عبده بالقبول ليسير ولا يحاسبه على الكثير ولا يأتي هذا إلا من كرم العبد عند ربه تعالى فنسأل الله من فضله وإحسانه تعالى.

وقال الله تعالى: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَاؤُ اللَّهِ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾ [يونس : ٦٥] .

فقد تفضل الله تعالى على هؤلاء المشركين بإجابة دعائهم لعلمهم يشكرونه ويعترفون له بالفضل ولكن سوء نيتهم وخبث طويتهم منهم من نيل هذا

الخير عياداً بالله.

وقال الله تعالى: ﴿فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنْذِرِينَ﴾ (٧٣) ﴿إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾ (٧٤) ﴿وَلَقَدْ نَادَيْنَا نُوْحًا فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ﴾ (٧٥) ﴿وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ﴾ (٧٦) ﴿[الصافات: ٧٣-٧٦].﴾

وهذا كرم آخر من الله في إجابة نبيه نوح عَلَيْهِ السَّلَام عند حلول الخطر على أهل الأرض ونماذج ذلك كثيرة في إجابة الله تعالى دعاء العبد لقرب العبد من ربه تعالى فنسأل الله من فضله وجوده.

يتبين لنا من هذا المبحث أمور منها:

* أن من صفات الله تعالى الإجابة وأن الله تعالى يجيب من دعاه وطلبه كل طالب على حسب من حيث أسباب القبول للدعاء وموانعه.

* أن المحسن من محبة الله تعالى لعبده يجيب دعاه ويُلبي مطلبه.

* أن من ثمار الإحسان قرب الله تعالى من عبده قُرب خاص يليق بجلاله فيجيب دعائه ويلطف بحاله عند بلاءه ومحتته.

الأمن من الفرع الأكبر:

قال الله تعالى: ﴿بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (١١٢) ﴿[البقرة: ١١٢].﴾

وقال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَالِدُونَ﴾ (١٠٢) ﴿لَا يَحْزَنُهُمُ الْفَرْعُ الْأَكْبَرُ وَنَنَلِّقُهُمُ الْمَلَائِكَةَ هَذَا يَوْمُكُمْ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾ (١٠٣) ﴿[الأنبياء: ١٠١-١٠٣].﴾

قال السعدي - رَحِمَهُ اللهُ -:

﴿ لَا يَحْزَنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ ﴾ أي: لا يقلقهم إذا فزع الناس أكبر فزع، وذلك يوم القيامة، حين تقرب النار، تتغيظ على الكافرين والعاصين فيفزع الناس لذلك الأمر وهؤلاء لا يحزنهم، لعلمهم بما يقدمون عليه وأن الله قد أمنهم مما يخافون.

﴿ وَنَلَقَّاهُمُ الْمَلَكُ ﴾ إذا بعثوا من قبورهم، وأتوا على النجائب وفدا، لنشورهم، مهنيين لهم قائلين: ﴿ هَذَا يَوْمُكُمْ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴾ فليهنكم ما وعدكم الله، وليعظم استبشاركم، بما أمامكم من الكرامة، وليكثر فرحكم وسروركم، بما أمنكم الله من المخاوف والمكاره. ^(١)

يتبين لنا من هذا المبحث أمور منها:

- * أن فزع يوم القيامة أمر عظيم لهول ما يكون في ذلك اليوم.
- * أن الفزع ينال العباد إلا من أحسن فقد أمنه الله تعالى من ذلك اليوم ومن حزنه.
- * أن المحسن في الدنيا على ما يحزن وعلى ما يخاف يوم لقاء الله تعالى بل هو في أمن تام كما وعد الله تعالى.
- * أن الله تعالى لا يجمع على عبده خوفين في الدنيا والأخرى بل خوف المحسن ساقه في الدنيا إلى إحسان العمل فجازاه الله تعالى بالأمن يوم لقائه تعالى.
- * أن المحسن حمله خوف ذلك اليوم ورجاء ما عند الله تعالى على الإحسان فلما خاف الإساءة أحسن العمل.

(١) تيسير الكريم الرحمن (٥٣١).

ما على المحسنين من سبيل ولا يؤاخذهم الله بالتقصير:

قال الله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَحْدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة: ٩١].

قال السعدي - رَحِمَهُ اللَّهُ -:

﴿وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَحْدُونَ مَا يُنْفِقُونَ﴾ أي: لا يجدون زادا، ولا راحلة يتبلغون بها في سفرهم، فهؤلاء ليس عليهم حرج، بشرط أن ينصحوا الله ورسوله، بأن يكونوا صادقي الإيمان، وأن يكون من نيتهم وعزمهم أنهم لو قدروا لجاهدوا، وأن يفعلوا ما يقدرون عليه من الحث والترغيب والتشجيع على الجهاد.

﴿مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ﴾ أي: من سبيل يكون عليهم فيه تبعة، فإنهم - بإحسانهم فيما عليهم من حقوق الله وحقوق العباد - أسقطوا توجه اللوم عليهم، وإذا أحسن العبد فيما يقدر عليه، سقط عنه ما لا يقدر عليه.

ويستدل بهذه الآية على قاعدة وهي: أن من أحسن على غيره، في نفسه أو في ماله، ونحو ذلك، ثم ترتب على إحسانه نقص أو تلف، أنه غير ضامن لأنه محسن، ولا سبيل على المحسنين، كما أنه يدل على أن غير المحسن - وهو المسيء - كالمفرط، أن عليه الضمان.

﴿وَاللَّهُ عَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [١١] ومن مغفرته ورحمته، عفا عن العاجزين، وأثابهم بنيتهم الجازمة ثواب القادرين الفاعلين. ^(١)

ومعنى النصح لله ورسوله طاعتها في الأمر والنهي وترك الإرجاف والتثييط والدعاية المضادة لله ورسوله والمؤمنين والجهاد في سبيل الله وقوله

(١) تيسير الكريم الرحمن (٣٤٧).

تعالى ﴿مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ﴾ أي ليس على من أحسنوا في تخلفهم لأنه أولاً بعذر شرعي. وثانياً هم مطيعون لله ورسوله وثالثاً قلوبهم ووجوههم مع الله ورسوله وإن تخلفوا بأجسادهم للعذر فهو لاء ما عليهم من طريق إلى انتقاصهم أو أذيتهم بحال من الأحوال. (١).

وإذا نظرنا إلى المعنى الإجمالي لهذه الآية فهو عُمومٌ مُمهّدٌ في الشريعة، أَصْلٌ في رَفْعِ الْعِقَابِ وَالْعِتَابِ عَنْ كُلِّ مُحْسِنٍ. فكل من أحسن في عبادة ربه وحصل له عذرٌ في بعضهما فلا لوم ولا عتاب ولا أذى عليه ومن أحسن في العمل التطوعي كذلك ومن أحسن إلى نفسه وكف أذاه عن الناس فلا لوم عليه ما دام كافاً أذاه وشره عنه العباد ولو لم يكن من المتعاونين في أمور كثيرة ينتفع بها الإسلام فهذا قد أحسن وسماه الله محسن للاعتبارات السابقة التي ذكرت وهذه تربية قرآنية عظيمة فكم ينزل اللوم والعتاب على المحسن سواء في معاملة العبد لأهله ورفاقه وجيرانه في بيته ومسجده ودعوته وجميع عمله ومع هذا إذا قصر في شيء نزل عليه اللوم والعتاب وهو مجرد محسن متطوع لا غير نسأل الله التوفيق والسداد.

قال ابن جرير - رَحِمَهُ اللَّهُ -:

﴿مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ﴾ يقول: ليس على من أحسن فنصح لله ولرسوله في تخلفه عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن الجهاد معه، لعذر يعذر به، طريقٌ يتطرق عليه فيعاقب من قبله. ﴿وَاللَّهُ عَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ يقول: والله سائر على ذنوب المحسنين، يتغمد بها بعفوه لهم عنها ﴿رَحِيمٌ﴾ بهم، أن يعاقبهم عليها. (٢).

(١) أيسر التفاسير (٢/٤١٢).

(٢) جامع البيان (١٤/٤١٩).

قال ابن أبي العز الحنفي - رَحِمَهُ اللهُ -:

فَإِنَّهُ قَدْ يُعْفَى لِصَاحِبِ الْإِحْسَانِ الْعَظِيمِ مَا لَا يُعْفَى لِغَيْرِهِ، فَإِنَّ فَاعِلَ
السَّيِّئَاتِ تَسْقُطُ عَنْهُ عُقُوبَةُ جَهَنَّمَ بِنَحْوِ عَشْرَةِ أَسْبَابٍ، عُرِفَتْ بِالِاسْتِقْرَاءِ مِنَ
الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ:

السَّبَبُ الْأَوَّلُ: التَّوْبَةُ.

السَّبَبُ الثَّانِي: الْإِسْتِغْفَارُ.

السَّبَبُ الثَّلَاثُ: الْحَسَنَاتُ: فَإِنَّ الْحَسَنَةَ بَعَشْرَ أَمْثَالِهَا وَالسَّيِّئَةَ بِمِثْلِهَا،
فَالْوَيْلُ لِمَنْ غَلَبَتْ آحَادُهُ أَعْشَارُهُ وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾
[هود: ١١٤]، وَقَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: وَاتَّبِعِ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمْحُهَا.

السَّبَبُ الرَّابِعُ: الْمَصَائِبُ الدُّنْيَوِيَّةُ قَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَا يُصِيبُ الْمُؤْمِنَ مِنْ
وَصَبٍ وَلَا نَصَبٍ، وَلَا غَمٍّ وَلَا هَمٍّ وَلَا حُزْنٍ، حَتَّى الشُّوْكَةِ يُشَاكُهَا - إِلَّا كُفِّرَ
بِهَا مِنْ خَطَايَاهُ.

السَّبَبُ الْخَامِسُ: عَذَابُ الْقَبْرِ.

السَّبَبُ السَّادِسُ: دُعَاءُ الْمُؤْمِنِينَ وَاسْتِغْفَارُهُمْ فِي الْحَيَاةِ وَبَعْدَ الْمَمَاتِ.

السَّبَبُ السَّابِعُ: مَا يُهْدَى إِلَيْهِ بَعْدَ الْمَوْتِ مِنْ ثَوَابٍ صَدَقَةٍ أَوْ قِرَاءَةٍ أَوْ حَجٍّ،
وَنَحْوِ ذَلِكَ،

السَّبَبُ الثَّامِنُ: أَهْوَالُ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَشِدَائِدُهُ.

السَّبَبُ التَّاسِعُ: مَا ثَبَتَ فِي (الصَّحِيحَيْنِ): أَنَّ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا عَبَرُوا الصِّرَاطَ
وُقِفُوا عَلَى قَنْطَرَةٍ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، فَيَقْتَصِرُ لِبَعْضِهِمْ مِنْ بَعْضٍ، فَإِذَا هُذِّبُوا
وَنُقُوا أُذِنَ لَهُمْ فِي دُخُولِ الْجَنَّةِ.

السَّبَبُ الْعَاشِرُ: شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ، كَمَا تَقَدَّمَ عِنْدَ ذِكْرِ الشَّفَاعَةِ وَأَقْسَامِهَا.
السَّبَبُ الْحَادِي عَشَرَ: عَفْوُ أَرْحَمِ الرَّاحِمِينَ لِلذُّنُوبِ مِنْ غَيْرِ شَفَاعَةٍ، كَمَا قَالَ
تَعَالَى: ﴿وَيَغْفِرْ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨]. ^(١)

يتبين لنا من هذا المبحث أمور منها:

- * أن من ثمار الإحسان عدم المؤاخذه بالإساءة إذا كان العبد محسناً وحصل منه إساءة فهي مغمورة في بحار الإحسان والنصح لله ورسوله ودينه وعباده.
- * أن المحسن له معاملة خاصة من الله تعالى سواء في تكفير ذنوبه أو ثوابه أو في دنياه وأخراه.
- * أن من أحسن في اتباعه وسيره فقد أَرْضَى ربه تعالى فهو في محل نظر الله له وتأييد وحفظه.

عدم إضاعة الأجر في الدنيا ويوم القيامة:

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلِّ وَعُيُونٍ ۖ ﴿٤١﴾ وَفَوْكَهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ ۖ ﴿٤٢﴾ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۖ ﴿٤٣﴾ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ۖ ﴿٤٤﴾ وَيَلْ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ۖ ﴿٤٥﴾﴾ [المرسلات: ٤١-٤٥].

وقال الله تعالى: ﴿وَأَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ۖ ﴿١١٥﴾﴾ [هود: ١١٥].

قال أبو السعود - رَحِمَهُ اللَّهُ -:

﴿فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ أي: يوفيه أجور أعمالهم من غير بخس أصلاً وإنما عبّر عن ذلك بنفي الإضاعة مع أن عدم إعطاء الأجر ليس بإضاعة حقيقة كيف لا والأعمال غير موجبة للثواب حتى يلزم من تخلفه عنها

(١) شرح الطحاوية (٢/ ٤٥١).

ضياؤها لبيان كمال نزاهته تعالى عن ذلك بتصويره بصورة ما يمتنع صدورُه عنه سبحانه من القبائح وإبراز الإثابة في معرض الأمور الواجبة عليه. ^(١)

قال العلامة السعدي - رَحْمَةُ اللَّهِ - :

بل يتقبل الله عنهم أحسن الذي عملوا، ويجزيهم أجرهم، بأحسن ما كانوا يعملون، وفي هذا ترغيب عظيم، للزوم الصبر، بتشويق النفس الضعيفة إلى ثواب الله، كلما ونت وفترت. ^(٢)

وقال الله تعالى: ﴿وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ﴾

﴿١١٥﴾ [آل عمران : ١١٥] .

وقال الله تعالى: ﴿يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ

الْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿١٧١﴾ [آل عمران : ١٧١] .

وقال الله تعالى: ﴿وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نِيلاً إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ

إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ ﴿١٢٠﴾ [التوبة : ١٢٠] .

وقال الله تعالى: ﴿قَالُوا أَيْنَ نَكَ لَأَنَّ يُوْسُفَ قَالَ أَنَا يُوْسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ

مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ ﴿٩٠﴾

[يوسف : ٩٠] .

قال العلامة السعدي - رَحْمَةُ اللَّهِ - :

﴿إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ﴾ أي: يتقي فعل ما حرم الله، ويصبر على الآلام

والمصائب، وعلى الأوامر بامتثالها فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ ﴿٩٠﴾

(١) إرشاد العقل السليم (٤/ ٢٤٦).

(٢) تيسير الكريم الرحمن (٣٩١).

فإن هذا من الإحسان، والله لا يضيع أجر من أحسن عملاً. ^(١).

وقال الله تعالى: ﴿وَلَدَيْنَاهُ أَنْ يَتَّخِذَهُمْ ^(١٠٤) قَدْ صَدَّقَتِ الرُّبُيَّا إِنَّا كَذَلِكَ
نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ^(١٠٥) إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ ^(١٠٦) وَلَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ^(١٠٧)﴾
[الصفات: ١٠٤-١٠٧].

وقال ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ -:

وما زال العقلاء يستدلون بما علموه من صفات الرب على ما يفعله كقول
خديجة للنبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لما قال لها: لقد خشيت على نفسي فقالت: كلا
والله لا يخزيك الله أبداً. إنك لتصل الرحم، وتحمل الكل، وتقري الضيف،
وتصدق الحديث، وتكسب المعدوم، وتعين على نوائب الحق. ^(٢) فلم يضيع
الله تعالى عمله ولهذا استدلت خديجة بهذا الكلام لأن هذا معلوم أنه من سنن
الله تعالى الكونية أن المحسن يجازيه الله تعالى بإحسانه وأن الله تعالى لا يضيع
أجره وأنه يجزيه بإحسانه.

قال الله تعالى: ﴿وَأَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ^(١١٥)﴾ [هود: ١١٥].

قال العلامة صديق حسن - رَحِمَهُ اللَّهُ -:

﴿فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ^(١١٥)﴾ أي: يوفيه أجورهم ولا يضيع
منها شيئاً فلا يهمله ولا يبخله بنقص قيل المحسنون المصلون. ^(٣)

وقال الله تعالى: ﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا
يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَتْلَ أَوْلِيكَ أَعْظَمَ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ
وَقَتْلُوا وَكَلَّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ^(١٠)﴾. [الحديد: ١٠].

(١) تيسير الكريم الرحمن (٤٠٤).

(٢) النبوات (٣٥٣).

(٣) فتح البيان (٢٦٩/٦).

يتبين لنا من هذا المبحث أمور منها:

- * أن الله تعالى لا يضيع أجر من أحسن العمل وأن الله تعالى قد تكفل وضمن له الإثابة بأحسن جزاء في الدنيا والأخرى.
- * أن من ثمار الإحسان حفظ الأجر وضمان الإثابة من الله تعالى.

المحسن ينال ولاية الله تعالى له:

قال الله تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (٦٢) **الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ** (٦٣) [يونس: ٦٢-٦٣].

فهذه ولاية خاصة التي هي ولاية الإحسان، وليست ولاية تعزز عليهم وتنقص أو تولاهم لحاجة لهم أو منفعة منهم، فهذه قد نفاها هنا، وهو إنما تولى أوليائه لما أحبوه وامتثلوا أمره، فتولاهم إكراماً لهم وجزاءً، فالمنة له **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** عليهم، وإنما كان المن عليه لو كانت الولاية منه ولاية افتقار وحاجة، فالله لا يحتاج تعالى وتقدس.

يتبين لنا من هذا المبحث أمور منها:

- * أن الله تعالى يتولى عبده المحسن في الدنيا والأخرى ولاية خاصة.
- * أن المحسن جانبه قوي لأن الله تعالى قد تولاه وعادى من عاداه.
- * أن المحسن لا يكون حزيناً ولا خائفاً من أحد لأن معه الذي لا يُغلب ولا يُقهر **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** وتعاظم جل وعلا.
- * أن من ثمار الإحسان نيل الولاية من الله تعالى وكفى بذلك شرفاً وعزاً.

المحسن ينال النظر إلى وجه الله تعالى:

قال الله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ ﴿٣٦﴾ [يونس: ٢٦].

قال العلامة السعدي - رَحِمَهُ اللَّهُ -:

فهؤلاء الذين أحسنوا، لهم الحسنى وهي الجنة الكاملة في حسناتها وزيادتها وهي النظر إلى وجه الله الكريم، وسماع كلامه، والفوز برضاه والبهجة بقربه، فبهذا حصل لهم أعلى ما يتمناه المتمدنون، ويسأله السائلون. ^(١)

يتبين لنا من هذا المبحث أمور منها:

* أن الله تعالى يرى يوم القيامة بلا خلف بين أهل السنة جميعاً ولم ينكرها إلا الأهل الشواذ من أهل الإسلام.

* أن النظر إلى وجه الله تعالى يوم القيامة شرف عظيم للعبد ونعمة لا تعد معها نعمة.

* أن من ثمار الإحسان نيل كرامة النظر إلى وجه العظيم **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**.

* أن المحسن ما زال ينال الكرامات الكثيرة وهذا من أعلاها وأشرفها.

تنال المحسن العزة والشرف في الدنيا والآخرة:

قال الله تعالى: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ ءَاتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ ﴿٣٢﴾ [يوسف: ٢٢].

يذكر القرآن الكريم معنى آخر للإحسان، فالأمر لا تخدم رسالتها بالبخل وكرهية البذل في سبيل الله، والحروب قديماً وحديثاً تتطلب مالا كثيراً ^(١) تيسير الكريم الرحمن (٣٦٢).

ورجالاً وجهداً وبذلاً... والعرب والمسلمون مكلفون بمعرفة هذه الحقيقة، ولن يسلم لهم دينهم وتبقى لهم كرامتهم وعزتهم وبلادهم (حرّة أبيّة) إلا إذا توسّعوا في الإنفاق من جميع الجوانب، وأحسنوا تهيئة كلّ شيء لكسب المعركة، ويشهد لذلك ما جاء في آيات أخرى عن حقيقة الإحسان، ودائرته الرحبة، فهي تتطلّب الصّمود والبسالة إلى الرّمق الأخير، يقول المولى عزّوجلّ:

﴿وَمَا كَانَ قَوْلُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ (١٤٧) ﴿يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ (١٤٨) [آل عمران : ١٤٧-١٤٨]. (١)

وقال الله تعالى: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَن نَّشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ (٨٣) ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ (٨٤) [الأنعام : ٨٣-٨٤].

وقال الله تعالى: ﴿سَلَّمَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ﴾ (١٠٩) ﴿كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ (١١٠) ﴿إِنَّهُ مِن عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ﴾ (١١١) ﴿وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾ (١١٢) ﴿وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَى إِسْحَاقَ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ مُبِينٌ﴾ (١١٣) [الصفات : ١٠٩-١١٣].

واتّصال الإحسان منك إلى الناس
س وشفع الإيصال بالإنعام
أنت عنوان كلّ مجد وتاريخ
المعالي وسيد الأقوام

وقال أحمد بن علي بن إسماعيل الميكالي^(١):

باني العلا والفضل والإحسان والمجد والمعروف أكرم بان
ليس البناء مشيداً آجره إن البناء مشيد الإحسان
الجود رأي مسدد وموفق والبذل فعل مؤيد ومعان
قال بعضهم:

دعاه يا محسناً لما تفرس من مرأه والدّه الإحسان ينتشر
فجاء مصداق كل اسم لصاحبه منه نصيب بما يأتي وما يذر
فيا أبا الجود يا جم المواهب يا أخالندى مفخر الأقسام إن فخرُوا
يا بن الحسين لقد وافتك وأصله عذراء قد فات منها غيرك النظر
لم ترض غيرك كفواً والصدائق لها صدق القبول فما لي غيره وطر
وقال بعضهم:

الله أكبر لا تسأل عن فضله خلق كريم منبت الإحسان
وقال أبو الفتح البستي:

إن كنت تطلب رتبة الأشراف فعليك بالإحسان والإنصاف

(١) دمية القصر (١٥٢).

وَإِذَا عَتَدَى خَلٌّ عَلَيْكَ فَخَلِّهِ وَالْدَهْرُ فَهُوَ لَهُ مَكَافٍ كَافٍ

يتبين لنا من هذا المبحث أمور منها:

* أن الشريف الحقيقي هو من شرفه الله تعالى وليس الشريف من شرفه وعظمه الناس.

* أن الشرف شرف الدين والإحسان بين الله تعالى وبين الخلق لا شرف المال ولا الجاه ولا جمال ولا غيره.

* أن الشرف الحقيقي ينال بالإحسان وأن العبد كلما أحسن كلما نال الشرف على قدر إحسانه؟

* أن المحسن ينال الشرف والعز هو ومن ذريته من سار على طريقته وسيره في إحسانه ومجانبة إساءته.

بالإحسان تنال الخيرية:

وعن عثمان بن عفان - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قال: قال رسول الله ﷺ: خيركم من تعلم القرآن وعلمه. (١)

عن أبي هريرة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قال: قال رسول الله ﷺ - : أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِخَيْرِكُمْ؟ قالوا: بلى يا رسول الله! قال: أَطُولُكُمْ أَعْمَارًا، وَأَحْسَنُكُمْ أَخْلَاقًا. (٢)

وَعَنْ أَبِي رَافِعٍ مَوْلَى - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: كَانَ لِرَجُلٍ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ سِنَّ مِنَ الْإِبِلِ، فَجَاءَهُ يَتَقَاضَاهُ فَأَغْلَظَ لَهُ فَهَمَّ بِهِ أَصْحَابُ

(١) البخاري (٥٠٢٧).

(٢) صحيح الترغيب والترهيب (٢٦٥١).

رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ لَهُمُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : دَعُوهُ، فَإِنَّ لَصَاحِبَ الْحَقِّ مَقَالًا وَاشْتَرَوْا لَهُ بَعِيرًا مِثْلَ سِنِّ بَعِيرِهِ فَأَعْطَوْهُ إِيَّاهُ فَطَلَبُوا سَنَّهُ، فَلَمْ يَجِدُوا لَهُ إِلَّا سَنًّا فَوْقَهَا فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ لَمْ نَجِدْ إِلَّا سَنًّا فَوْقَ سِنِّ بَعِيرِهِ قَالَ: اشْتَرَوْهُ فَأَعْطَوْهُ إِيَّاهُ فَإِنَّ خَيْرَكُمْ أَحْسَنُكُمْ قَضَاءً. (١)

وقال النبي ﷺ لما وَقَفَ عَلَى أَنَاسٍ جُلُوسٍ، فَقَالَ: أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِخَيْرِكُمْ مِنْ شَرِّكُمْ؟ فَسَكَتُوا، فَقَالَ ذَلِكَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ فَقَالَ رَجُلٌ: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَخْبِرْنَا بِخَيْرِنَا مِنْ شَرِّنَا، قَالَ: خَيْرُكُمْ مَنْ يُرْجَى خَيْرُهُ، وَيُؤْمَنُ شَرُّهُ، وَشَرُّكُمْ مَنْ لَا يُرْجَى خَيْرُهُ، وَلَا يُؤْمَنُ شَرُّهُ. (٢)

وعن أبي الدرداء - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ لِلنَّاسِ نَحْنُ أَعْرَفُ بِكُمْ مِنَ الْبَيَّاطَةِ بِالذُّوَابِ قَدْ عَرَفْنَا خِيَارَكُمْ مِنْ شَرَارِكُمْ، أَمَّا خِيَارُكُمْ فَالَّذِي يُرْجَى خَيْرُهُ وَيُؤْمَنُ شَرُّهُ، وَأَمَّا شَرَارُكُمْ فَالَّذِي لَا يُرْجَى خَيْرُهُ وَلَا يُؤْمَنُ شَرُّهُ وَلَا يَعْتَقُ مُحَرَّرُهُ. (٣)

بالإحسان ينال القرب من رسول الله يوم القيامة:

عن عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا؛ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَقُولُ: أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَحَبِّكُمْ إِلَيَّ وَأَقْرَبِكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ . فَأَعَادَهَا مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا.

قالوا: نعم يا رسول الله! قال: أَحْسَنُكُمْ خُلُقًا. (٤)

(١) البخاري (٢١٨٢)، مسلم (١٦٠٠).

(٢) سنن الترمذي (٢٢٦٣)، صحيح الجامع: (٢٦٠٣).

(٣) الأدب المفرد (١٥٩) صحيح.

(٤) صحيح الترغيب (٢٦٥٠).

يتبين لنا من هذا المبحث أمور منها:

- * أن القرب من الله تعالى له مراتب فأعلاها مرتبة المحسنين.
- * أن القرب من الله تعالى ومن نبيه - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ينال على قدر إحسان العبد.
- * أن الجنة مراتب ومنازل.

المحسن إلى الناس دليل على حسن إسلامه:

عن جابر بن سمرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: كنتُ في مجلس فيه النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وسمرة وأبو أمامة، فقال: إِنَّ الْفُحْشَ وَالْتَفَحْشَ لَيْسَا مِنَ الْإِسْلَامِ فِي شَيْءٍ، وَإِنَّ أَحْسَنَ النَّاسِ إِسْلَامًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا. ^(١)

يتبين لنا من هذا المبحث أمور منها:

- * أن من حسن إسلام العبد أن يحسن خلقه.
- * أن المحسن لا يصل إلى درجة الإحسان حتى يستكمل أعمال الإسلام والإيمان.

بالإحسان ينال العبد المغفرة والرحمة والخير في الدنيا والآخرة:

قال الله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ الْحَرْ بِالْحَرْ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنْثَىٰ بِالْأُنْثَىٰ فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَنٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ اعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٨﴾﴾ [البقرة: ١٧٨].

وقال الله تعالى: ﴿وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرٌ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ ﴿٣٠﴾﴾ [النحل: ٣٠].

(١) صحيح الترغيب والترهيب (٢٦٥٣).

وقال الله تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ﴾ ﴿٢﴾ [الحديد: ٢].

قال ابن القيم - رَحِمَهُ اللَّهُ -:

ختم الآية بصفتين تقتضيان غاية الإحسان إلى خلقه وهما الرحمة والمغفرة فيجلب لهم الإحسان والنفع على أتم الوجوه برحمته ويعفو عن زلتهم ويهب لهم ذنوبهم ولا يؤاخذهم بها بمغفرته فقال وهو الرحيم الغفور سباً فتضمنت هذه الآية سعة علمه ورحمته وحكمه ومغفرته. ^(١)

عن أبي سعيد الخدري - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أنه سمع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: إذا أسلم العبد فحسن إسلامه يكفر الله عنه كل سيئة كان زلفها وكان بعد ذلك القصاص: الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف، والسيئة بمثلها، إلا أن يتجاوز الله عنها. ^(٢)

وعن ابن مسعود - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قال: قال رجل: يا رسول الله، أنؤاخذ بما عملنا في الجاهلية، قال: من أحسن في الإسلام لم يؤاخذ بما عمل في الجاهلية، ومن أساء في الإسلام أخذ بالأول والآخر. ^(٣)

وقال الله تعالى: ﴿فَأَنذَرْتُهُمْ لَآ إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَحَسَنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ ۗ وَأَلَّهُ يُمِيتُ الْمُحْسِنِينَ﴾ ﴿١٤٨﴾ [آل عمران: ١٤٨].

يتبين لنا من هذا المبحث أمور منها:

* الخير ينال من الله تعالى لا ينال من غيره والخير من الغير هو من تسخير الله تعالى.

(١) بدائع الفوائد (١/ ٨٧).

(٢) البخاري (٤١) واللفظ له، ومسلم (١٢٩).

(٣) البخاري (٦٩٢١) واللفظ له، مسلم (١٢٠).

* أن المحسن قد وعده الله تعالى بالخير في الدنيا والآخرة.

* أن من ثمار الإحسان أمور كثيرة لا يقدر قدرها إلا الله تعالى من الخيرات في الدنيا والآخرة.

بالإحسان ينال الذرية الصالحة والزوجة الصالحة:

قال الله تعالى عن خليله إبراهيم عليه الصلاة والسلام: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾﴾ [الأنعام: ٨٤].

وقال الله تعالى: عن زكريا عليه الصلاة والسلام: ﴿وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ ﴿٨٩﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ، وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ، إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْكَرُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [الأنبياء: ٨٩-٩٠].

وقال الله تعالى عن الرجل الصالح المحسن كيف حفظ الله تعالى له ذريته بعد الموت: ﴿وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ وَمَا فَعَلْنَاهُ عَنْ أَمْرِ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ﴿٨٢﴾﴾ [الكهف: ٨٢].

قال ابن كثير - رَحِمَهُ اللَّهُ -: فيه دليل على أَنَّ الرَّجُلَ الصَّالِحَ يَحْفَظُ فِي ذُرِّيَّتِهِ، وَتَشْمَلُ بَرَكَتُهُ عِبَادَتَهُ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ بِشَفَاعَتِهِ فِيهِمْ، وَرَفَعَ دَرَجَتَهُمْ إِلَىٰ أَعْلَىٰ دَرَجَةٍ فِي الْجَنَّةِ لِقَرَرِ عَيْنِهِ بِهِمْ. ^(١)

وقال الله تعالى: عن امرأة عمران كيف استجاب الله تعالى دعائها وأصلح لها الذرية وحفظها وذريتها من الشيطان بل ووهب لولدها النبوة والرسالة:

(١) تفسير القرآن الكريم (٢/ ٤٣٢).

﴿ إِنَّ اللَّهَ أَصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ (٣٣) ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَمْرِؤُكُمْ أَنَّىٰ لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾ [آل عمران: ٣٣-٣٧] ، وأدلة ذلك كثير من الكتاب والسنة.

قال ابن الجوزي - رَحِمَهُ اللَّهُ -: فَمَتَى رَأَيْتَ وَفَّقَكَ اللَّهُ تَكْدِيرًا فِي حَالٍ فَتَذَكَّرَ ذَنْبًا قَدْ وَقَعَ فَقَدْ قَالَ الْفَضِيلُ بْنُ عِيَّاضٍ إِنِّي لَا عَصِيَّ لِلَّهِ فَأَعْرِفْ ذَلِكَ فِي خُلُقِ دَابَّتِي وَجَارِيَّتِي وَقَالَ أَبُو سُلَيْمَانَ الدَّارَانِيُّ مَنْ صَفَى صُفْيً لُهُ وَمَنْ كَدَّرَ كُدَّرَ عَلَيْهِ وَمَنْ أَحْسَنَ فِي لَيْلِهِ كُوفِيَ فِي نَهَارِهِ وَمَنْ أَحْسَنَ فِي نَهَارِهِ كُوفِيَ فِي لَيْلِهِ. (١)

يتبين لنا من هذا المبحث أمور منها:

* بالإِحْسَانِ يصلح الله تعالى للعبد شأنه وأهله وولده ويحفظ الله تعالى به الأرض.

* ثمار الإِحْسَانِ متعدية إلى الغير وليست قاصرة على المحسن بل تتعاده إلى غيره من العباد والبلاد.

* أن المحسن يجب عليه أن يحسن العمل والله تعالى سيتولى أمره.

* أن الإِسَاءَةَ من العبد تذهب عليه البركات الحسية والمعنوية ويفسد شأنه ولا يصلح الله عمل المفسدين.

(١) ذم الهوى (١٨٥).

بالإحسان ينال العبد الرزق الحسي والمعنوي:

وقال الله تعالى: ﴿اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [٦٢: العنكبوت] ، فالرزق بيد الله تعالى لجميع العباد الرزق العام الذي لا يمنعه الله تعالى من عباده أحد على اختلاف بينهم قلة وكثرة.

وقال الله تعالى: ﴿وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرٌ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعَمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ﴾ [٣٠: النحل:٣٠].

وهذا هو الرزق الخاص الذي لا يناله إلا المحسنون من عباد الله تعالى فالله تعالى لم يوكلهم لأحد بل أغناهم على حسب حاجتهم من الرزق العام ورزقهم رزقاً خاصاً وهو الهداية والتوفيق في العمل الصالح ورزقهم السعادة والرضا بدين الله تعالى في الدنيا ثم مكن لهم بالرزق في الجنة دون غيرهم قال الله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةٌ يَوْمَ الْقِيَمَةِ كَذَلِكَ نَفْصِلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٢].

وقال الله تعالى: ﴿وَنَادَىٰ أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [الأعراف: ٥٠].

يتبين لنا من هذا المبحث أمور منها:

- * أن الرزق هبة من الله تعالى تنال العباد على ما قضى وقدر تَبَارَكَ وَتَعَالَى.
- * أن الرزق عام وخاص وأن الرزق العام جعله الله في الدنيا لجميع العباد وأن الرزق الخاص لا يناله إلا أهل الإحسان في الدنيا والأخرى.
- * أن الرزق أنواع كثيرة وليس كما يظن الناس رزق المال والجاه وأن الوحي

الذي أنزله الله تعالى من أعظم الرزق على العباد والهداية للعمل بذلك رزق آخر من الله تعالى ودخول الجنة أيضاً.

* أن العبد يناله رزق الرب تعالى في الدنيا له ولجميع العباد ويوم القيامة خاصة بالمحسنين المؤمنين نسأل الله من فضله تعالى.

* أن من ثمار الإحسان نيل رزق الله تعالى بسهولة ويسر وأعظم ذلك الجنة يوم لقاء الله تعالى.

الإحسان من أسباب انشراح الصدر:

قال الله تعالى: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصْعَدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [١٢٥] [الأنعام: ١٢٥].

قال ابن القيم - رَحِمَهُ اللَّهُ -:

وَكَانَ هَدْيُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدْعُو إِلَى الْإِحْسَانِ وَالصَّدَقَةِ وَالْمَعْرُوفِ وَلِذَلِكَ كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَشْرَحَ الْخَلْقِ صَدْرًا وَأَطْيَبَهُمْ نَفْسًا وَأَنْعَمَهُمْ قَلْبًا فَإِنَّ لِلصَّدَقَةِ وَفِعْلِ الْمَعْرُوفِ تَأْثِيرًا عَجَبِيًّا فِي شَرْحِ الصَّدْرِ وَانْضَافِ ذَلِكَ إِلَى مَا خَصَّهُ اللَّهُ بِهِ مِنْ شَرْحِ صَدْرِهِ بِالنَّبُوءِ وَالرَّسَالَةِ وَخَصَائِصِهَا وَتَوَابِعِهَا وَشَرْحِ صَدْرِهِ حَسًّا وَإِخْرَاجِ حَظِّ الشَّيْطَانِ مِنْهُ. (١)

وقال: الإحسان إلى الخلق وَنَفْعُهُمْ بِمَا يُمْكِنُهُ مِنَ الْمَالِ وَالْجَاهِ وَالنَّفْعِ بِالْبَدَنِ وَأَنْوَاعِ الْإِحْسَانِ فَإِنَّ الْكَرِيمَ الْمُحْسِنَ أَشْرَحَ النَّاسَ صَدْرًا وَأَطْيَبَهُمْ نَفْسًا وَأَنْعَمَهُمْ قَلْبًا وَالْبَخِيلُ الَّذِي لَيْسَ فِيهِ إِحْسَانٌ أَضَيَّقَ النَّاسَ صَدْرًا وَأَنْكَدَهُمْ

(١) زاد المعاد (٢/ ٢٠).

عَيْشًا وَأَعْظَمُهُمْ هَمًّا وَغَمًّا. ^(١)

وقال ابن القيم - رَحِمَهُ اللَّهُ -:

ولما كان البخيل محبوساً عن الإحسان ممنوعاً عن البر والخير وكان جزاؤه من جنس عمله فهو ضيق الصدر ممنوع من الانشراح ضيق العطن صغير النفس قليل الفرح كثير الهم والغم والحزن لا يكاد تقضى له حاجة ولا يعان على مطلوب. ^(٢)

وقال: فإن الإحسان يفرح القلب ويشرح الصدر ويجلب النعم ويدفع النقم وتركه يوجب الضيم والضيق ويمنع وصول النعم إليه فالجبن ترك الإحسان بالبدن والبخل ترك الإحسان بالمال. ^(٣)

يتبين لنا من هذا المبحث أمور منها:

* أن سعادة القلب وانشراحه نعمة عظيمة جليلة تنال من الله تعالى وبالأنس به سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

* أن المحسن يجد من سعادة القلب والأنس بالله تعالى ما لا يجد غيره بل غيره في الوحشة وضيق القلب.

* أن من أسباب راحة وسعادة القلب الإحسان بين العبد وبين ربه والإحسان للخلق.

* أن من ثمار الإحسان سعادة القلب وراحة البال.

(١) زاد المعاد (٢/ ٢٢).

(٢) الوابل الصيب (٤٩).

(٣) طريق الهجرتين لابن القيم (ص ٤٦٠).

الإحسان سبب لتمكين في الأرض:

قال الله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَّبِعُوا مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾﴾ [يوسف: ٥٦].

وقال الله تعالى: ﴿قُلْ يَعِبَادِ الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللَّهِ وَسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾﴾ [الزمر: ١٠].

وقال الله تعالى: ﴿إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [يوسف: ٩٠].

إذاً من الضروري أن توضح هذه القصة طبيعة الإحسان، الذي جاء به يوسف، بياناً يتناسب مع الاستعراض الموسع لأطوار القصة.

فيا ترى ما هي أهم معالم هذا الإحسان، الذي استحق به يوسف - عَلَيْهِ السَّلَامُ - هذه الولاية التامة؟ هل هو إعراضه عن الفاحشة مع قوة الدافع إليها؟.

لا شك أن السياق لا يوحي بذلك، فقد جعل الله إعراضه عن الفاحشة من آثار ولايته له، فهو الذي عصمه وصرف عنه ذلك بسبب إحسانه السابق، قال الله تعالى: ﴿كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾ [يوسف: ٢٤].

لقد بين الله ذلك الإحسان غاية البيان، في سياق يدل على أنه هو السبب الرئيس والأهم لولايته وعنايته بيوسف.

فذكر سبب عناية الله به وتعليمه بقوله: ﴿إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴿٢٧﴾ وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانُوا لَنَا أَنْ نَشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ

الإحسان

لَا يَشْكُرُونَ ﴿٢٨﴾ يَصْحَبِي السَّجْنَ ءَأَزَابْتُ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَّحْدُ الْقَهَّارُ ﴿٢٩﴾ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءَ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَءَابَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾ [يوسف: ٣٧-٤٠].

إذا فسبب الولاية هو التوحيد الخالص، الذي تركز عليه الحنيفية ملة إبراهيم - عَلَيْهِ السَّلَامُ - . فيوسف - عَلَيْهِ السَّلَامُ - لازم ملة آبائه إبراهيم وإسحاق ويعقوب، فآتم الله نعمته عليه كما آتمها عليهم.

وكذلك كل من جاء بعدهم عليهم إذا أرادوا ولاية الله، أن يأتوا أولاً وقبل كل شيء بالحنيفية التي لا يلبسها شائبة من الشرك، بين الله ذلك آتم البيان حيث أخبر أن إبراهيم - عَلَيْهِ السَّلَامُ - إنما حاز على تلك المرتبة العالية من الولاية بكمال توحيده، ثم أمر النبي محمداً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ باتباعه في ذلك فقال: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ ﴿١٣٠﴾ [النحل: ١٢٠].

فالسبيل لتحصيل ولاية الله واحد، هو الحنيفية القائمة على التوحيد الخالص والتي كان عليها إبراهيم - عَلَيْهِ السَّلَامُ - وتبعه يوسف - عَلَيْهِ السَّلَامُ - ، وأمر محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ باتباعها، لذلك قال تعالى في آخر السورة: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ﴾. أي سبيل يوسف وآبائه إبراهيم وإسحاق ويعقوب هي سبيل جميع أولياء الله من النبيين وأتباعهم من لدن آدم - عَلَيْهِ السَّلَامُ - وإلى أن يرث الله الدنيا ومن عليها.

فالتمكن من الله للعبد لا ينال إلا بعد الإبتلاء ، فإن كان العبد من أهل الإحسان مكن له وإن كان من أهل الضعف والانحراف واليأس فإنه يسيئ ولا شك فيهلك ويضيع عياداً بالله.

قيل للشافعي - رَحِمَهُ اللهُ - يا أبا عبد الله، أيهما أفضل للرجل أن يمكن أو يبتلى؟ - أي: بالضراء - فقال الشافعي: لا يمكن حتى يبتلى، فإن الله تعالى ابتلى نوحا وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمدا - صلوات الله عليهم أجمعين - فلما صبروا على الابتلاء مكنهم. (١)

يتبين لنا من هذا المبحث أمور منها:

- * أن التمكين ليس الجاه والمال وأن التمكين بيد الله تعالى.
- * أن من أحسن فقد مكن الله تعالى له في أرضه من حيث لا يعلم.
- * أن من ثمار الإحسان التمكين للمحسن في أرضه وفي قلوب عباده.

الإحسان إلى الناس يطفي نار الغضب:

قال ابن القيم - رَحِمَهُ اللهُ -: إطفاء نار الحاسد والباغي والمؤذي بالإحسان إليه فكلما ازداد أذى وشرا وبغيا وحسدا ازدادت إليه إحسانا وله نصيحة وعليه شفقة وما أظنك تصدق بأن هذا يكون فضلا عن أن تتعاطاه فاسمع الآن قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلَا تَسْتَوِ الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ (٣٤) وَمَا يُلْقِهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقِهَا إِلَّا ذُو حِظٍّ عَظِيمٍ (٣٥) وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٣٦) [فصلت: ٣٤-٣٦] ، قال: ﴿أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرُهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ (٥٤) [القصاص: ٥٤].

وتأمل حال النبي الذي حكى عنه نبينا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه ضربه قومه حتى أدموه فجعل يسלט الدم عنه ويقول: اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون. (٢)

(١) الفوائد لابن القيم (ص ٢٨٣).

(٢) مسلم (١٧٩١).

كيف جمع في هذه الكلمات أربع مقامات من الإحسان قابل بها إساءاتهم العظيمة إليه أحدها عفوهم والثاني استغفاره لهم الثالث اعتذاره عنهم بأنهم لا يعلمون الرابع استعطافه لهم بإضافتهم إليه فقال اغفر لقومي كما يقول الرجل لمن يشفع عنده فيمن يتصل به هذا ولدي هذا غلامي هذا صاحبي فهبه لي.

واسمع الآن ما الذي يسهل هذا على النفس ويطيبه إليها وينعمها به اعلم أن لك ذنوبا بينك وبين الله تخاف عواقبها وترجوه أن يعفو عنها ويغفرها لك ويهبها لك ، ومع هذا لا يقتصر على مجرد العفو والمسامحة حتى ينعم عليك ويكرمك ويجلب إليك من المنافع والإحسان فوق ما تؤمله فإذا كنت ترجو هذا من ربك أن يقابل به إساءتك فما أولاك وأجدرك أن تعامل به خلقه وتقابل به إساءتهم ليعاملك الله هذه المعاملة فإن الجزاء من جنس العمل فكما تعمل مع الناس في إساءتهم في حَقِّك يفعل الله معك في ذنوبك وإساءتك جزاء وفاقا فانقم بعد ذلك أو اعف وأحسن أو اترك فكما تدين تدان وكما تفعل مع عباده يفعل معك فمن تصور هذا المعنى وشغل به فكره هان عليه الإحسان إلى ما أساء إليه هذا مع ما يحصل له بذلك من نصر الله ومعيته الخاصة كما قال النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** - : للذي شكى إليه قرابته وأنه يحسن إليهم وهم يسيئون إليه فقال: لا يزال معك من الله ظهير ما دمت على ذلك .^(١)

هذا مع ما يتعجله من ثناء الناس عليه ويصيرون كلهم معه على خصمه فإنه كل من سمع أنه محسن إلى ذلك الغير وهو مسيء إليه وجد قلبه ودعائه وهمته مع المحسن على المسيء وذلك أمر فطري فطر الله عباده فهو بهذا الإحسان قد استخدم عسكريا لا يعرفهم ولا يعرفونه ولا يريدون منه إقطاعا ولا خبرا.

هذا مع أنه لا بد له مع عدوه وحاسده من إحدى حالتين إما أن يملكه

(١) مسلم (٢٥٥٨) .

بإحسانه فيستعبده وينقاد له ويذل له ويبقى من أحب الناس إليه وإما أن يفتت كبده ويقطع دابره إن أقام على إساءته إليه فإنه يذيقه بإحسانه أضعاف ما ينال منه بانتقامه ومن جرب هذا عرفه حق المعرفة والله هو الموفق المعين بيده الخير كله لا إله غيره وهو المسئول أن يستعملنا وإخواننا في ذلك بمنه وكرمه. ^(١)

عسى يهدم الإحسان ما شيد الأذى إذا لذت بالركن الشديد المشيد

يتبين لنا من هذا المبحث أمور منها:

- * أن الإحسان من الصفات الجميلة التي ينبغي أن يتعامل بها العباد ومن مكارم الأخلاق التي وصى بها الإسلام.
- * أن الإحسان يطفئ من أمراض القلوب ما لا يطفئه غيره من العمل.
- * وأن أمراض القلوب ضد الإحسان التي ينبغي للعبد أن يتحلى به ولا يزيلها إلا ضدها وهو الإحسان.

الإحسان من آثار الإيمان:

قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يُسَلِّمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ [لقمان: ٢٢].

قال العلامة الأمير القنوجي - رَحِمَهُ اللَّهُ -:

﴿وَمَنْ يُسَلِّمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ﴾ أي: يفوض أمره إليه. ويخلص له عبادته، ويقبل عليه بكليته، وقرئ من يسلم بالتشديد. قال النحاس: التخفيف في هذا أعرف، كما قال عز وجل: ﴿فَقُلْ اسَلِّمْتُمْ وَجْهَ اللَّهِ﴾ [آل عمران: ٢٠].

(١) بدائع الفوائد (٢/ ٤٦٨-٤٦٩).

الإِحْسَانُ

﴿ وَهُوَ مُحْسِنٌ ﴾ في أعماله، لأن العبادة من غير إحسان فيها ولا معرفة بما يحتاج إليه فيها لا تقع بالموقع الذي تقع به عبادة المحسنين، وقد صح عن الصادق المصدوق لما سأله جبريل عن الإحسان أنه قال له: إن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك.

﴿ فَقَدْ اسْتَمَسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى ﴾ أي: اعتصم بالعهد الأوثق، وتعلق به وهو تمثيل لحال من أسلم وجهه إلى الله بحال من أراد أن يرتقي إلى شاهق جبل فيمسك بأوثق عرى جبل متدل منه ﴿ وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴾ أي: مصيرها له لا إلى غيره فيجازي عليها. ^(١)

قال الحسن البصري - رَحِمَهُ اللَّهُ -:

إن المؤمن جمع إحساناً وشفقة والمنافق جمع إساءة وأمناً. ^(٢)

فالإحسان من أعظم مراتب الدين ولا ينال العبد درجة الإحسان حتى تكتمل مراتب الإيثار فالإحسان من الإيثار والإيمان من الإيثار وهو أصل فيه وقاعدته التي لا تكون إلا عليه.

يتبين لنا من هذا المبحث أمور منها:

- * الإحسان من مراتب الدين بل هو أعلاها.
- * الإحسان من عمل القلب والجوارح فهو داخل تحت مسمى الإيمان.
- * أنه لا يكون إحسان إلا بإيمان فالإيمان قاعدته وأصله الإيمان.

المحسن وعده الله بالزيادة في الدنيا والآخرة:

قال الله تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا

(١) فتح البيان (١٠ / ٢٩٤).

(٢) تفسير الطبري (١٧ / ٦٨).

الْبَابُ سُبْحَدًا وَقُولُوا حِطَّةً نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَتَكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ [البقرة: ٥٨]، فما أعظم الموعود الذي وعدوا به ومع ذلك وصف الله تعالى هذا الموعود بالزيادة التي لا يعلم كيفيتها وحدها ووصفها إلا صاحب الوعد جل وعلا ولكن هؤلاء القوم أساءوا إلى هذه المزية وهذه الكرامة الجليلة ممن يتفضل عليهم **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** فلتكن أنت أخي الكريم في الحرص على الاستجابة لما أمر الله تعالى لنيل المزيد من إحسانه وكرمه.

وقال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقُوا أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ ﴿١٧٢﴾ [آل عمران: ١٧٢]، وهذه آية أخرى تبين عظم الإحسان من الله تعالى وأنه عظيم والعظم إذا وصف من العظيم فهو عظيم ومن الفقير والمحتاج فهو على قدره فلك أن تتخيل يارعاك الله عظم الله تعالى وعظم كرمه وعظم عطائه جل جلاله فلا يعطي إلا على عظمته فلا تياس من جوده وعظم عطاءه نسأله تعالى من فضله.

وقال الله تعالى: ﴿بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ ﴿١١٢﴾ [البقرة: ١١٢] بين الله تعالى أن الميزان عند الله تعالى هو الإحسان والاستسلام لله الرحيم الرحمن ثم وعد على ذلك بالإحسان وهل جزاء من أحسن إلا الإحسان وهذا من هذا الباب فقد وعد الله أن من أحسن بالإحسان له في المثوبة مع عظم الأجر والزيادة وهذا كله مما يرجوه العبد وهنا أشار إلى ما يحذره العبد ويخافه فوعده بالأمن من ذلك كله وعدم الحزن فنسأله تعالى الأمن والعافية في الدنيا والآخرة.

وقال الله تعالى: ﴿وَلَا يَنْفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ﴿١٢١﴾ [البقرة: ١٢١].

الإِحْسَانُ

وقال الله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ قُلٌ لَّا تَزُولُكَ إِن كُنتَ تُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزَيَّنَتَهَا فَنَعَالَيْكَ أُمْتَعَكُنَّ وَأُسْرِحَكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ۝٢٨ وَلَئِن كُنتَ تُرِيدُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالذَّارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنِينَ مِنكَ أَجْرًا عَظِيمًا ۝٢٩﴾ [الأحزاب: ٨٢].

وقال الله تعالى: ﴿لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ ۝٣٤ لِيُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ۝٣٥﴾ [الزمر: ٥٣] كما هو واضح في وعد الله تعالى للعباد المحسنين من الله تعالى في هذه الآية وعدهم بالجزاء بأحسن الجزاء والمثوبة ووعدهم أن يكفر عنهم الإساءة التي صدرت منهم فيما بينهم وبين الله تعالى من ظلم النفوس فما أعظم كرمك يارب.

عن جرير بن عبد الله - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قال: قال: رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: من سن في الإسلام سُنَّةً حَسَنَةً ؛ فله أجرها وأجر من عمل بها بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيئاً .^(١)

فكلما كان العبد محسناً في عبادة ربه أو في معاملة خلقه مؤدياً للحقوق فهو من أهل الإحسان الذين وعدهم الله تعالى بالزيادة المطلقة التي لم تفسر وإن كانت جاءت مفسرة في بعض الآيات بالجنة ولكن قد أطلقت في بعضها مما يبين لك أن إحسان الله تعالى على عبده لا يحده. كيف ونعم الله تعالى على عبده من قبل أن يحسن هذا العبد وهذا أيضاً من كمال إحسان الله تعالى على عباده بل ومن إحسان الله تعالى عليهم أنهم يعصونه بما أحسن بهم إليهم وهو يديم لهم الإحسان والنعم ويمهلهم على ما يحصل منهم من المخالفة والعناد والتكبر والمعاداة لأوليائه وحزبه جل وعلا فسبحان المحسن على عظيم الإحسان.

(١) مسلم (١٠١٧).

**ويتلخص لنا في هذا المبحث أن المحسنين وعدهم الله تعالى
بأمور منها:**

* الزيادة في المثوبة في الدنيا والأخرى وبالجزاء بأحسن الجزاء والإحسان الذي لا يعادله إحسان.

* ووعدهم الله تعالى وأن يتجاوز عن إساءتهم ويكفرها وهو تبديلها حسنات.

* ووعدهم الله تعالى بالأجر العظيم منه تعالى.

* ووعدهم الله تعالى بأن من اقتدى بهم في إحسانهم فله مثل أجورهم إلى قيام الساعة.

* ووعدهم الله تعالى بالأمن وعدم الخوف في الدنيا والأخرى.

* ووعدهم الله تعالى بعدم الحزن لا على فوات مرغوب ديني ولا دنيوي ولا أخروي وهذا دليل سكينتهم وسعادتهم.

جعل الله الإحسان من مراتب الإبتلاء:

قال الله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَلَئِنْ قُلْتُمْ إِنَّكُمْ مَبْعُوثُونَ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ ۝٧﴾ [هود: ٧].

قال الله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۝٧﴾ [الكهف: ٧].

فمن أحسن العمل كانت له الحسنى وزيادة، ومن أساء الاستعمال كان من أهل الشقاوة لا من أهل السعادة وما أنعم الله تعالى به على عباده وابتلاهم به من خير وشر هو من باب الإحسان فما كان من خير فمن أجل أن يعبدوه

ويتحجب إليهم بالنعم فيقبلوا على عبادة الله ومحبته وشكره والثناء عليه وهذا يبعث فيهم صفات المحبة والرجاء، وما كان من جهة الإبتلاء بالشدائد فهو من باب أن يبعث فيهم عدم الركون إلى الدنيا وأن لا ينسوا ربهم تعالى واللجنة والنعيم يوم القيامة فينغص عليهم الحياة بالبلاء لهذه الحكمة ولحكم كثيرة منها أن يبعث فيهم الخوف منه تعالى والرغبة إليه وعدم الإعتماد إلا عليه وأن بيده كل شيء فهو في مقام التأديب للعباد فكل ما ابتلى الله تعالى العبد من خير أو شر هو من باب الإحسان إليهم جل شأنه تعالى.

ويتلخص لنا من هذا المبحث أمور منها:

- * أن الله تعالى وعد المحسن بالرزق في الدنيا والأخرى.
- * وأن الله تعالى ما جعل لهم هذه الأرزاق التي على وجه الأرض إلا لبلائهم بها لتختبرهم في إحسانهم أو إساءتهم.
- * أن الله تعالى إذا أنعم إنما هذا ابتلاء وامتحان فمن شكر نعمه تعالى فقد وعده بالزيادة ومن كفر نعمة فقد وعده بالخسارة والعذاب الأليم.
- * وأن الله تعالى بين أن القصد من هذا الإبتلاء بيان المحسن من المسيء فليس الإبتلاء إلا لحكمة عظيمة.

الإحسان أعظم أمانى أهل النار:

قال الله تعالى: ﴿أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ بِحَسْرَتٍ عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لِمَنِ السَّخِرِينَ ٥٦﴾ أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ٥٧﴾ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ٥٨﴾ بَلَى قَدْ جَاءَ تَكَذِّبُنِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ وَكُنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ ٥٩﴾ [الزمر: ٥٧-٥٩].

أو تقول حين ترى عقاب الله قد أحاط بها يوم الحساب: ليت لي رجعة إلى

الحياة الدنيا، فأكون فيها من الذين أحسنوا بطاعة ربهم، والعمل بما أمرتهم به الرسل.

ويتلخص لنا من هذا المبحث أمور منها:

- * أن الإحسان له أثره وثمرته حتى في النار وأن من تلك الثمرة أن أهل النار يتمنون أنهم كانوا من المحسنين.
- * أن الإحسان من أسباب النجاة من النار ودخول الجنة.
- * أن الإحسان من أعظم أمانى أهل النار.

الإحسان جزاء الجنة:

قال الله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [يونس: ٢٦].

وقوله: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾: يخبر الله تعالى أن لمن أحسن العمل في الدنيا بالإيمان والعمل الصالح، فأحسن في عبادة الخالق بأن عبده على وجه المراقبة والنصيحة في عبوديته، وقام بما قدر عليها منها، وأحسن إلى عباد الله بما يقدر عليه من الإحسان القولي والفعل من بذل الإحسان المالي، والإحسان البدني، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وتعليم الجاهلين، ونصيحة المعرضين، ونحو ذلك من وجوه البر والإحسان، فهؤلاء لهم الحسنى في الدار الآخرة، قال الله تعالى: ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَنُ﴾ [الرحمن: ٦٠]، وقال الله: ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾ [الكهف: ٣٠].

وهؤلاء الذين أحسنوا الاعتقاد، وأحسنوا العمل، وأحسنوا القول، وأحسنوا إلى أنفسهم، وأحسنوا إلى غيرهم، وأحسنوا معرفة الصراط المستقيم المؤدي إلى دار السلام.

فلهم الحسنى جزاء ما أحسنوا، وعليها زيادة من فضل الله غير محدودة، وهم ناجون من كربات يوم الحشر، ومن أهوال الموقف، والنجاة من هذا كله غنيمة وفضل من الله يضاف إلى ما سبق.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ۖ آخِذِينَ مَا أَرَاهُمْ رَبُّهُمْ وَإِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ﴾ [الذاريات: ١٥-١٦].

دار على الإحسان شيدت التقى فجزاؤها الحسنى وعقبى الدار

وقال الله تعالى: ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَنُ﴾ [الرحمن: ٦٠].

وقال الله تعالى: ﴿وَفُورِكَ مِمَّا يَشْتَهُونَ ۖ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ۚ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ [الذاريات: ٤٢-٤٤].

وقال الله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءُ الْحُسْنَىٰ ۖ وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا﴾ [الكهف: ٨٨].

هي جنة طابت وطاب نعيمها هاتيك المنازل ربة الإحسان
دار السلام وجنة المأوى ومنزل فنعيمها باق وليس بفان

قال الله تعالى: ﴿فَأَنبَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ﴾ [المائدة: ٨٥].

قال ابن جرير - رحمه الله - :

قوله: ﴿وَذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ﴾ يقول: وهذا الذي جزيَتْ هؤلاء القائلين بما وصفت عنهم من قيلهم على ما قالوا، من الجنات التي هم فيها خالدون،

جزاء كل محسنٍ في قيله وفِعْله (١).

وَعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ: قَالَ: رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: غَفَرَ اللَّهُ لِرَجُلٍ كَانَ قَبْلَكُمْ، كَانَ سَهْلًا إِذَا بَاعَ، سَهْلًا إِذَا اشْتَرَى، سَهْلًا إِذَا اقْتَضَى (٢).

ويتبين لنا من هذا المبحث أمور منها:

- * أن الله تعالى وصف الجنة بالحسنى لحسنها وعظمها وعلو شأنها.
- * وأن الله تعالى مع بيان عظم حسن الجنة بين أنها مأوى المحسنين الصادقين.
- * وأن الله تعالى بين حسن حالهم ومآلهم ومن عظم ذلك الحسن ظهر على صفحات وجوههم لعظم البشارة التي ينالوها.
- * وأن الله تعالى يجازي المحسن بالإحسان وهي الجنة التي خلقها الله تعالى لهم.
- * وأن الله تعالى بين بعض أنواع النعيم وأنه خالص للمحسنين.
- * وأن الله تعالى بين أن الإيثار والعمل الصالح هو الإحسان وأن جزاءه الحسنى والجنة.

المحسنون ينالون البشارة في الدنيا والآخرة:

قال الله تعالى: ﴿لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ الْقُلُوبُ مِنْكُمْ كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الحج: ٨٨].

وقال الله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أحيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [١١٦] فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مَنْ

(١) جامع البيان (١٠/٥١٢).

(٢) صحيح الجامع (٤١٦٢)، والصحيحة تحت حديث (١١٨١).

الإِحْسَانُ

خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ ﴿١٧١﴾ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٧١﴾ [آل عمران: ١٦٩-١٧١].

وقال الله تعالى: ﴿وَإِذَا مَا أَنزَلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾﴾ [التوبة: ١٢٤].

وقال الله تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا بُدَّ لِكَامِلَتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٦٤﴾﴾ [يونس: ٦٢-٦٤].

وقال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطُّغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَٰئِكَ هُمُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿١٨﴾﴾ [الزمر: ١٧-١٨].

وَبَشِّرِ يَا أَكْمَلِ الرُّسُلِ الْمُحْسِنِينَ مِنْهُمْ وَهُمْ الَّذِينَ يَعْبُدُونَ اللَّهَ كَأَنَّهُمْ يَرُونَهُ وَيَحْسِنُونَ الْأَدَبَ مَعَهُ كَأَنَّهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْهِ.

قال السعدي - رَحِمَهُ اللَّهُ -:

﴿وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الحج: ٣٧] بعبادة الله بأن يعبدوا الله، كأَنَّهُمْ يَرُونَهُ، فَإِنْ لَمْ يَصِلُوا إِلَى هَذِهِ الدَّرَجَةِ فَلْيَعْبُدُوهُ، مُعْتَقِدِينَ وَقْتَ عِبَادَتِهِمْ إِطْلَاعَهُ عَلَيْهِمْ، وَرُؤْيَاهُ إِيَّاهُمْ، وَالْمُحْسِنِينَ لِعِبَادَةِ اللَّهِ، بِجَمِيعِ وَجْهِهِ الْإِحْسَانَ مِنْ نَفْعٍ مَالٍ، أَوْ عِلْمٍ، أَوْ جَاهٍ، أَوْ نَصَحٍ، أَوْ أَمْرٍ بِمَعْرُوفٍ، أَوْ نَهْيٍ عَنْ مَنكَرٍ، أَوْ كَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ وَنَحْوِ ذَلِكَ، فَالْمُحْسِنُونَ لَهُمُ الْبُشْرَى مِنْ اللَّهِ، بِسَعَادَةِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَسِيَّحْسَنِ اللَّهِ إِلَيْهِمْ، كَمَا أَحْسَنُوا فِي عِبَادَتِهِ وَلِعِبَادِهِ: ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾ [الرحمن: ٦٠]. وقال: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦]. (١)

(١) تيسير الكريم الرحمن (٥٣٨).

ويتبين لنا من هذا المبحث أمور منها:

* البشارة بالخير وهي من أعظم ملاذ العبد ومما يسره سماعها التي تنال العبد وأن الله تعالى يحب سعادة العبد وفرحه به وبما عنده في الدنيا والآخرة.

* أن البشارة تنال العبد في الدنيا والآخرة وأنه يجدها ويلمسها في كل أحواله.

* أن العبد المؤمن المحسن الصالح همه مرضاة ربه والجنة وأنه إذا دخلها أكملت سعادة وتحققت بشارته.

* أن الله تعالى نصب هذه البشارات للمحسن ليزداد إحساناً وإقبالاً على الله تعالى وأن البشارة لا تكون إلا لمن اتبع الخير والهدى وأحسن في اتباعه وسيره إلى ربه.

الإحسان من أعظم مراتب الدين:

قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾ [النساء: ١٢٥]، وقال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يُسَلِّمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ [لقمان: ٢٢].

قال الشنقيطي - رحمه الله -:

ذَكَرَ تَعَالَى فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ أَنَّهُ لَا أَحَدَ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ فِي حَالِ كَوْنِهِ مُحْسِنًا؛ لِأَنَّ اسْتِفْهَامَ الْإِنْكَارِ مُضْمِنٌ مَعْنَى النَّفْيِ، وَصَرَّحَ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ أَنَّ مَنْ كَانَ كَذَلِكَ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى... وَمَعْنَى إِسْلَامِ وَجْهِهِ لِلَّهِ إِطَاعَتُهُ وَإِذْعَانُهُ، وَانْقِيَادُهُ لِلَّهِ تَعَالَى بِامْتِثَالِ أَمْرِهِ، وَاجْتِنَابِ نَهْيِهِ فِي حَالِ كَوْنِهِ

الإِحْسَانُ

مُحْسِنًا، أَي: مُخْلِصًا عَمَلَهُ لِلَّهِ لَا يُشْرِكُ فِيهِ بِهِ شَيْئًا مُرَاقِبًا فِيهِ لِلَّهِ كَأَنَّهُ يَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ يَرَاهُ فَاللَّهُ تَعَالَى يَرَاهُ، وَالْعَرَبُ تُطْلَقُ إِسْلَامَ الْوَجْهِ، وَتُرِيدُ بِهِ الْإِذْعَانَ وَالْإِنْقِيَادَ التَّامَّ. ^(١)

ويتبين لنا من هذا المبحث أمور منها:

- * أن الإحسان من أعظم مراتب الدين.
- * وأن من نال مرتبة الإحسان فقد نال أمراً عزيزاً عظيماً رفيعاً.
- * وأن الله تعالى بين أنه لا بد مع الإخلاص وابتغاء وجه الله تعالى أن يكون العبد محسن في هديه وعمله. وهذا الإحسان يكون بالاتباع لهدي الأنبياء.
- * وأن من أسلم واستسلم لله تعالى فلا بد من إحسانه في اتباعه وبهذا ينال العروة الوثقى التي هي دليل على علو مكانته وقدره في الدنيا والأخرى.

يعود نفع الإحسان على العبد في الدنيا والأخرى:

قال الله تعالى: ﴿إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسْتَوْفُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبَرَّأُوا مَا عَلُوا النَّبِيرَا ۗ﴾ [الإسراء: ٧].

قال الله تعالى: ﴿قُلْنَا يَذَا الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَنْ تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا ۚ﴾ ^(٨٦) قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نَعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُكْرًا ^(٨٧) وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءً الْحُسْنَىٰ وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ^(٨٨)﴾ [الكهف: ٨٦-٨٨].

عن الحسن قال: ليس الإيمان بالتحلي ولا بالتمني، ولكن ما وقر في القلوب وصدّقه الأعمال، من قال حسناً، وعمل غير صالح، ردّه الله عليه. ^(٢)

(١) أضواء البيان (١/ ٣١٣).

(٢) اقتضاء العلم العمل للخطيب البغدادي (٤٣).

وقال الله تعالى: ﴿لِيَجْزِيَهمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ (النور: ٣٨).

قال ابن القيم - رَحِمَهُ اللَّهُ -: فهو سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لا يوالى من يوالى من الذل كما يوالى المخلوق المخلوق وإنما يوالى أوليائه إحساناً ورحمة ومحبة لهم وأما العباد فإنهم كما قال الله تعالى: ﴿وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ﴾ [محمد: ٣٨]، فهم لفقرهم وحاجتهم إنما يحسن بعضهم إلى بعض لحاجته إلى ذلك وانتفاعه به عاجلاً أو آجلاً ولولا تصور ذلك النفع لما أحسن إليه فهو في الحقيقة إنما أراد الإحسان إلى نفسه وجعل إحسانه إلى غيره وسيلة وطريقاً إلى وصول نفع ذلك الإحسان إليه فإنه إما أن يحسن إليه لتوقع جزائه في العاجل فهو محتاج إلى ذلك الجزاء أو معاوضة بإحسانه أو لتوقع حمده وشكره وهو أيضاً إنما يحسن إليه ليحصل منه ما هو محتاج إليه من الثناء والمدح فهو مُحْسِن إلى نفسه بإحسانه إلى الغير وإما أن يريد الجزاء من الله تعالى في الآخرة فهو أيضاً مُحْسِن إلى نفسه بذلك وإنما آخر جزاءه إلى يوم فقره وفاقته فهو غير ملوم في هذا القصد فإنه فقير محتاج وفقره وحاجته أمر لازم له من لوازم ذاته فكماله أن يحرص على ما ينفعه ولا يعجز عنه وقال الله تعالى: ﴿إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ﴾ وقال تعالى: ﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ (البقرة: ٢٧٢). (١)

يتبين لنا من هذا المبحث أمور منها:

* أن إحسان العبد في سائر حياته الدينية والدنيوية عائد عليه ليس لله تعالى في ذلك حاجة.

* وأن العبد لا ينال الخير في الدنيا والآخرة إلا بالإحسان وإن نال الظلم شيئاً من الإحسان فجزاء لما عمل من الخير يعجل له أجره أو لحقارة الدنيا عند

(١) إغاثة اللهفان (١/ ٤١).

الله تعالى ولذلك يجرمها يوم القيامة.

* وأن الله تعالى وعد المحسن بنيل جزاء إحسانه لا يظلم ولا ينقص إن كان مؤمن في الدنيا والأخرى وإن كان غير ذلك في الدنيا وهي في الآخرة عليه حرام.

المحسن ينال البركة:

قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ﴾ [المائدة: ٦٦].

وقال الله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَأَتَّقَوْا لَفَنَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [الأعراف: ٩٦].
وقال أيضاً: ﴿وَالْوِاسْطَقُمُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَهُمْ مَّاءً غَدَقًا﴾ [الجن: ١٦].

وعن أنس - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - مرفوعاً: من كانت الآخرة همه جعل الله غناه في قلبه، وجمع له شمله وأتته الدنيا وهي راغمة، ومن كانت الدنيا همه جعل الله فقره بين عينيه، وفرق عليه شمله، ولم يأت من الدنيا إلا ما قدر له. ^(١)

وعن أبي هريرة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قال: ما من يوم يصبح العباد فيه إلا ملكان ينزلان فيقول أحدهما: اللهم أعط منفقاً خلفاً، ويقول الآخر: اللهم أعط ممسكاً تلفاً. ^(٢)

ويتبين لنا من هذا المبحث أمور منها:

* أن الإحسان له ثمار عظيمة جليلة ومن تلك الثمار الدنيوية نيل البركة في جميع جوانب العبد ومجالات حياته الدينية والدنيوية في الرزق الحسي والمعنوي يجعل الله تعالى فيه البركة.

(١) سنن الترمذي (٢٤٦٥) وصححه العلامة الألباني.

(٢) مسلم (١٠١٠).

* وأن الإحسان إذا صدر من المحسن وفاه الله تعالى ما وعده به من نيل ثمار الإحسان سواء كان هذا الإحسان من المتقدمين أو المتأخرين.

* وأن البركة تنال بالإحسان فيما بين العبد وبين ربه وبين المخلوقات جميعاً.

* وأن من الإحسان العظيم الذي ينال المحسن ثمرة البركة الزهد في الدنيا والإقبال على الآخرة تنال بها البركات الكثيرة ويسخر الله تعالى كل ما في الدنيا للمحسنين.

* وأن الإحسان من العباد به ينالون البركات النازلة من السماء والخارجة من الأرض والظاهرة والباطنة.

يبعد الشقاق والخلاف والعداوات:

قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ۚ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ۝١١٩﴾ [هود: ١١٨-١١٩].

فالخلاف من سنن الله تعالى الكونية القدرية على العباد التي جبلهم الله تعالى عليه وفطرهم على الخلاف والمخالفة بعضهم لبعض ولم يبين الله تعالى نوع الخلاف بين بني البشر ولكنه أطلق الخلاف هنا ليشمل الديني والدنيوي وإلا لما أرسل الله تعالى الرسل يدعون الناس لعبادة الله تعالى وحده.

وقال الله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۝١٠٥﴾ [آل عمران: ١٠٥].

وهذه الآية بين الله تعالى وذم وحذر من الاختلاف الديني بين بني البشر وأنهم اختلفوا ولم يرجعوا أمر دينهم إلى من خلقهم ويتابعوا من أرسله الله تعالى إليهم ومن أعظم من اختصاصهم الله تعالى بهذا التحذير هم أهل الإسلام

فحذرهم من سلوك سبيل أهل التفرق والاختلاف في الدين.

وقال الله تعالى: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾﴾ [آل عمران: ١٠٣ - ١٠٥].

وهذا إرشاد آخر وبيان فيه سبيل النجاة من التفرق والشقاق والخلاف أننا جميعاً نعتصم بحبل الله تعالى جميعاً فهو العاصم لنا من الشقاق والنزاع والخلاف ومن كان هذا حاله محسناً في اتباعه لدين الله تعالى وحبله محسن في الخلاف غير متجاوز ولا متعد محسن في رده عن الخطأ ناصح للمخطئ باذل له النصيحة فهو من المحسنين وعليه فالإحسان بجميع جوابه يزيل الخلاف ويبعد الشقاق ويؤلف القلوب ويجمع الكلمة وينزل الخلاف منزلته ويقدر بقدره ويعطى حجمه.

يتبين لنا من هذا المبحث أمور منها:

- * أن الإحسان مانع من الفتن والخلافات بين أهل الإسلام وهو مؤلف للقلوب جامع للكلمة موحد للصنف.
- * أن الإحسان في الرد على المخالف هو ملازمة الإنصاف والعدل في الحكم عليه.
- * أن الخلاف والشقاق بين بني البشر من سنن الله تعالى الكونية التي فطر الناس عليها.

* أن المحسن في الخلاف هو المنتصر والمؤيد من الله تعالى.

* أن الإحسان من أسباب قبول الحجة والإذعان لها.

- * وأن الإحسان في الخلاف هو رد الباطل وعدم مداهنته أو السكون عليه.
- * أن الرد على المخالف وردع الباطل هو من أعظم مراتب الإحسان إلى الغير إذ به ينصح ويحذر من الباطل الذي يضره في الدنيا والآخرة.
- * وأن التأدب بآداب الخلاف والرد من أبواب الإحسان عند الخلاف.

الإحسان يظهر أثره على الجوارح:

قال الله تعالى: ﴿ وَدَخَلَ مَعَهُ السَّجْنَ فَتَيَانٍ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْرًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [آل عمران: ١٠٥].

قال ابن عطية - رَحِمَهُ اللَّهُ -:

وقولهم: ﴿ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ ، يحتمل أن يريدوا وصفه بما رأوه من إحسانه في جميع أفعاله - معهم ومع غيرهم - ويحتمل أن يريدوا: إنا نرى لك إحساناً علينا في هذه اليد إن أسديتها إلينا - وهذا تأويل ابن إسحاق. ^(١) وبالجمله أحسن إلينا كما أحسن الله إليك إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ المتعودين للإحسان المتمرنين فيه فتمم علينا إحسانك وامتنانك لا سيما على الشيخ الضعيف الضرير.

يتبين لنا من هذا المبحث أمور منها:

- * أن الإحسان له أثره الحسي والمعنوي على العبد ومن ذلك أن تكون سيما الإحسان ظاهرة عليه.
- * وأن فيه دلالة العباد على من يكون محسن وسهولة طلب المساعدة منه

(١) تفسير ابن عطية (٤/ ٣٢)

لعدم ظهور الأنفة فيه.

* وأن الإحسان يظهر على أفعال وأقوال وأعمال المحسن.

* فيه أن الإحسان يكون قلبياً ولسانياً وعلى جميع الجوارح وأنه ملازم للعبد في سائر شؤونه.

ينتفع بالقرآن والسنة:

قال الله تعالى: ﴿الْم ١﴾ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ ﴿٢﴾ هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ ﴿٣﴾ [لقمان: ١-٣].

قال السعدي - رَحْمَةُ اللَّهِ -:

فإنه ﴿هُدًى﴾ لهم، يهديهم إلى الصراط المستقيم، ويحذرهم من طرق الجحيم، ﴿وَرَحْمَةً﴾ لهم، تحصل لهم به السعادة في الدنيا والآخرة، والخير الكثير، والثواب الجزيل، والفرح والسرور، ويندفع عنهم الضلال والشقاء.

ثم وصف المحسنين بالعلم التام، وهو اليقين الموجب للعمل والخوف من عقاب الله، فيتركون معاصيه، ووصفهم بالعمل، وخص من العمل، عاملين فاضلين: الصلاة المشتملة على الإخلاص، ومناجاة الله تعالى، والتعبد العام للقلب واللسان، والجوارح المعينة، على سائر الأعمال، والزكاة التي تزكي صاحبها من الصفات الرذيلة، وتنفع أخاه المسلم، وتسد حاجته، ويبين بها أن العبد يؤثر محبة الله على محبته للمال، فيخرجه محبوبه من المال، لما هو أحب إليه، وهو طلب مرضاة الله.

ف ﴿أُولَٰئِكَ﴾ هم المحسنون الجامعون بين العلم التام، والعمل ﴿عَلَىٰ هُدًى﴾ أي: عظيم كما يفيد التنكير، وذلك الهدى حاصل لهم، وواصل إليهم ﴿مِّن رَّيْبِهِمْ﴾ الذي لم يزل يريهم بالنعم؛ ويدفع عنهم النقم.

وهذا الهدى الذي أوصله إليهم، من تربيته الخاصة بأوليائه، وهو أفضل أنواع التربية. ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ ٥٠ الذين أدركوا رضا ربهم، وثوابه الدنيوي والأخروي، وسلموا من سخطه وعقابه، وذلك لسلوكهم طريق الفلاح، الذي لا طريق له غيرها. (١)

قال ابن كثير - رَحِمَهُ اللَّهُ - :

جَعَلَ هَذَا الْقُرْآنُ هُدًى وَشَفَاءً وَرَحْمَةً لِلْمُحْسِنِينَ، وَهُمْ الَّذِينَ أَحْسَنُوا الْعَمَلَ فِي اتِّبَاعِ الشَّرِيعَةِ، فَأَقَامُوا الصَّلَاةَ الْمَفْرُوضَةَ بِحُدُودِهَا وَأَوْقَاتِهَا وَمَا يَتَّبِعُهَا مِنْ نَوَافِلِ رَاتِبَةٍ وَغَيْرِ رَاتِبَةٍ، وَآتَوْا الزَّكَاةَ الْمَفْرُوضَةَ عَلَيْهِمْ إِلَى مُسْتَحْقِهَا، وَوَصَلُوا أَرْحَامَهُمْ وَقَرَابَاتَهُمْ، وَآيَقَنُوا بِالْجَزَاءِ فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ، فَرَغَبُوا إِلَى اللَّهِ فِي ثَوَابِ ذَلِكَ لَمْ يُرَأَوْا بِهِ، وَلَا أَرَادُوا جَزَاءً مِنَ النَّاسِ وَلَا شُكُورًا، فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ كَذَلِكَ، فَهُوَ مِنَ الَّذِينَ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ أَيْ عَلَى بَصِيرَةٍ وَبَيِّنَةٍ وَمَنْهَجٍ وَاضِحٍ جَلِيٍّ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ أَيْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ. (٢)

وقال الله تعالى: ﴿وَمِنْ قَبْلِهِ كَتَبَ مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً وَهَذَا كِتَابٌ مُصَدِّقٌ

لِسَانًا عَرَبِيًّا لِمَنْذَرِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَبَشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ﴾ ١٢ [الأحقاف: ١٢] .

عن أبي موسى - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قال: إن مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل غيث أصاب الأرض فكانت منها طائفة قبلت الماء فأنبتت الكلاً والعشب الكثير، وكانت منها أجادب أمسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا منها وزرعوا وسقوا. وأصاب طائفة منها أخرى إنما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلاً فذاك مثل من فقه في دين الله ونفعه ما بعثني الله به فعلم وعلم ومثل من لم يرفع بذلك رأساً ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت

(١) تيسير الكريم الرحمن (٦٤٦) .

(٢) تفسير ابن كثير (٢٩٥ / ٦) .

له . (١)

يتبين لنا من هذا المبحث أمور منها:

* أن المحسن المنتفع بالموعظة لا ينهاها إلا محسن ومن كان بعيداً عن ذلك فهي منه أبعد.

* وأن من ثمار الإحسان قبول الموعظة الربانية.

* وأن صلاح القلب لا بد أن يكون معموراً بالمشاهدة القلبية والمراقبة لله تعالى.

الإحسان يدفع الله به عن العبد الفتن والعذاب في الدنيا والآخرة:

قال الله تعالى: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴾ [٧٧] القصص: [٧٧].

عن بكر بن عبد الله المزني - رَحِمَهُ اللَّهُ -: أن رجلاً يغشى بعض الملوك ، فيقوم بحذاء الملك ، فيقول : أحسن إلى المحسن بإحسانه ، والمسيء سيكفيه مسأته . قال : فحسده رجل على ذلك المقام ، فوشى به إلى الملك ، فقال : إن فلانا الذي يقوم بحذائك ، فيقول ما يقول ، زعم أن الملك أخبر ، قال له الملك : وكيف يصح هذا عندي ؟ قال : إذا وقف بين يديك ، فادع به إليك ؟ فإنه إذا دنا منك وضع يده على فمه كي لا يشم ريح البخر ، قال له : انصرف حتى أنظر . قال : فخرج ، فدعا الرجل إلى منزله ، فأطعمه طعاماً فيه ثوم ، ثم خرج من عنده ، فجاء إلى الملك ، فقام بحذائه ، فقال : أحسن إلى المحسن بإحسانه ، والمسيء سيكفيه مساوئه ، فقال الملك في نفسه : ما أرى فلانا إلا قد صدقني . وكان

(١) البخاري (٧٩)، مسلم (٢٢٨٢) .

معروفا أنه لا يكتب بخطه لأحد إلا بجائزة أو صلة أو معروف ، فكتب له بخطه إلى عامل من عماله : إذا أتاك صاحب كتابي هذا ، فاذبحه ، واسلخه ، واحش جلده تبنا ، وابعث به إلي . قال : فخرج والكتاب معه ، فلقيه الذي سعى به ، فقال : ما هذا الكتاب ؟ قال : كتاب كتبه لي الملك بخطه ، فقال : احبوني به ، هبه لي . قال : فدفع الكتاب إليه ، فمضى الرجل إلى العامل ، فلما قرأ الكتاب قال : أتدري ما فيه ؟ قال : كتاب خط الملك بالخبائر والصلة ، قال : إن في كتابك يأمرني أن أذبحك ، وأسلخك ، وأحشو جلدك تبنا ، وأبعث بك إليه قال : الله ، الله ، ليس هذا الكتاب لي ، إنما كتبه لغيري ، راجع إلى الملك في ، قال : ليس لكتاب الملك مراجعة . قال : فذبحه ، وسلخه ، وحشاه تبنا ، وبعث به إلى الملك ، وجاء الرجل ، فقام بحذاء الملك ، فقال : أحسن إلى المحسن بإحسانه ، والمسيء سيكفيك مساوئه ، قال له الملك : ما فعلت بالكتاب الذي كتبتك لك ؟ ، قال : لقيني فلان ، فاستوهبني ، فوهبته له ، قال : إن فلانا ذكر أنك تزعم أنني أبخر ؟ قال : معاذ الله ، ما قلت هذا أيها الملك ، قال : فلم وضعت يدك على فيك حين قربت مني ؟ قال : أطعمني طعاما فيه ثوم ، فوضعت يدي على في ، كي لا تشم مني ريح الثوم ، قال : صدقت ، قم ذلك المكان ، وقل كما كنت تقول .^(١)

ويتبين لنا من هذا المبحث أمور منها:

* أن الفتن التي يتلي الله تعالى بها العباد هي للمحنة وزيادة أجر العبد ورفع درجته وبيان حال المحسن من المسيء.

* وأن المحسن الذي يتولى تثبيته على الدين والإستقامة هو الله تعالى.

* وأن من ثمار الإحسان نيل الثبات على دين الله الحق

(١) فنون العجائب للنقاش (١٠٨).

* وأن الفتن مهما عظمت فإن المحسن قد وعده الله تعالى أن يجعل له منها مخرج.

المحسن يضاعف الله تعالى له حسناته:

عن أبي هريرة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قال: قال: رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : إذا أحسن أحدكم إسلامه فكل حسنة يعملها تكتبُ بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف، وكل سيئة تكتب له بمثلها حتى يلقي الله .^(١)

ويتبين لنا من هذا المبحث أمور منها:

- * أن مضاعفة الحسنات للعبد يكون على قدر إحسانه.
- * وأن الإحسان ينال به العبد الكثير من الأجر ولو عمل القليل.
- * وأن ميزان العمل عند الله تعالى الإحسان فليس من عمل ولم يحسن كمن عمل فأحسن.
- * وأن كرم الله تعالى يناله العبد المحسن دون المسيء إلا أن يشاء الله تعالى.

المحسن يصلح الله له شأنه في الدنيا والآخرة:

قال الله تعالى: ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴾ [الأنعام: ٨٤].

قال ابن جرير - رَحِمَهُ اللَّهُ - :

يقول تعالى ذكره: فجزينا إبراهيم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على طاعته إيانا، وإخلاصه توحيد ربه، ومفارقة دين قومه المشركين بالله، بأن رفعنا درجته في عليين،

(١) مسلم (١٢٩).

وآتيناه أجره في الدنيا، ووهبنا له أولاداً خصصناهم بالنبوة، وذرية شرفناهم منا بالكرامة، وفضلناهم على العالمين. (١)

وقال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا لَنبُوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَآجِرُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ (٤١) ﴿الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ (٤٢) [النحل: ٤١-٤٢].

وقال الله تعالى: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِ الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللَّهِ وَسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ (١٠) [الزمر: ١٠].

قال الثعالبي - رَحِمَهُ اللَّهُ -:

وعد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بَقَوْلِهِ: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا﴾ فقولُهُ: ﴿فِي هَذِهِ الدُّنْيَا﴾ متعلق بأحْسَنُوا، والمعنى: إِنَّ الَّذِينَ يُحْسِنُونَ فِي الدُّنْيَا لَهُمْ حَسَنَةٌ فِي الْآخِرَةِ، وهي الجنة والنعيم قاله مقاتل ويحتملُ أَنْ يريدَ: أَنَّ الَّذِينَ يُحْسِنُونَ لَهُمْ حَسَنَةٌ فِي الدُّنْيَا، وهي العافية والظهور وولايةُ اللَّهِ تَعَالَى قاله السُّدِّيُّ وَالْأَوَّلُ أرجحُ أَنَّ الحَسَنَةَ هِيَ فِي الْآخِرَةِ. (٢).

يتبين لنا من هذا المبحث أمور منها:

* وعد الله تعالى للمحسن بصلاح حاله ومآله في الدنيا والآخرة أن لإصلاح الأمور بيده تعالى لا بيد غيره.

* وأن أعظم صلاح يناله العبد هو صلاح الآخرة بدخول الجنة.

* وأن العبد يحتاج لأمر من الدنيا فهي مركونة إلى الله تعالى فليلجأ العبد إليه لإصلاحها له.

(١) جامع البيان (١١/ ٥٠٧).

(٢) الجواهر الحسان (٥/ ٨٤).

* وأن يكون هم العبد هو صلاح الباقية لا ينظر ولا يهتم للفقانية الزائلة.

الإحسان يستعبد القلوب لصاحبه:

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا ۝٩٦﴾ [مريم: ٩٦].

وعن أبي هريرة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قال: قال: رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ اللَّهَ قَالَ: من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب. وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه. وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينه، ولئن استعاذ بي لأعيذنه. وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن، يكره الموت وأنا أكره مساءته. (١)

وعن أبي هريرة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قال: قال: رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ اللَّهَ إِذَا أَحَبَّ عبداً دعا جبريل فقال: إِنِّي أَحَبُّ فلاناً فأحبه. قال: فيحبه جبريل. ثم ينادي في السماء فيقول: إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فلاناً فأحبوه. فيحبه أهل السماء. قال: ثم يوضع له القبول في الأرض. وإذا أبغض عبداً دعا جبريل فيقول: إِنِّي أَبْغُضُ فلاناً فأبغضه. قال: فيبغضه جبريل. ثم ينادي في أهل السماء: إِنَّ اللَّهَ يَبْغُضُ فلاناً فأبغضوه. قال: فيبغضونه. ثم توضع له البغضاء في الأرض (٢)

قال الماوردي - رَحِمَهُ اللَّهُ -:

إذا حسنت أخلاق الإنسان كثر مصافوه، وقلّ معادوه، فتسهلت عليه الأمور الصّعب، ولانت له القلوب الغضاب. (٣).

(١) البخاري (٦٥٠٢).

(٢) البخاري (٧٤٨٥)، ومسلم (٢٦٣٧) واللفظ له.

(٣) أدب الدنيا والدين، للماوردي (٢٣٧).

فينبغي للمؤمن أن لا يحب إلا الله، إذ الإحسان من غيره محال، وإحسان الناس من إحسان الله عزَّ وجلَّ.

والمحسن في نفسه وإن لم يصل إليك إحسانه محبوب في الطباع، فكيف إذا كان محسناً إليك وإلى كافة الخلق.

وعن عبد الله بن مسعود - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قال: قال رجل لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: كيف لي أن أعلم إذا أحسنت وإذا أسأت؟ قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إذا سمعت جيرانك يقولون: أن قد أحسنت فقد أحسنت. وإذا سمعتهم يقولون: قد أسأت، فقد أسأت. (١)

وعن عبد الله بن مسعود - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إذا أثنى عليك جيرانك أنك محسن فأنت محسن وإذا أثنى عليك جيرانك أنك مسيء فأنت مسيء. (٢)

فمحبة العباد وثنائهم على العبد إذا كان لدينه وتديناً لا لطلب مال ولا جاه ولا مداهنة ولا لغرض دنيوي فهو الحكم الذي يدل على رضا الله تعالى عن عبده المحسن في عبادته والمحسن إلى عباده وليس هذا إلا ثمرة من ثمار الإحسان فنسأل الله تعالى من فضله وجوده وإحسانه.

وبالجملة إذا آمن الرجل بكتاب الله تعالى، أو بما جاء به نبيه صلوات الله وسلامه عليه من بيانه إيماناً يستتبع جميع قواه القلبية والنفسية، ثم اشتغل بالعبودية حق الاشتغال ذكراً باللسان وتفكيراً بالجنان وأدباً بالجوارح، ودام على ذلك مدة مديدة شرب كل واحد من هذه اللطائف الثلاث حظه من العبودية، وكان الأمر شبيهاً بالدوحة اليابسة تسقى الماء الغزير، فيدخل الري

(١) الصحيحة (١٣٢٧).

(٢) صحيح الجامع (٢٧٧).

كل غصن من أغصانها وكل ورق من أوراقها، ثم ينبت منها الأزهار والثمار،
فكذلك تدخل العبودية في هذه اللطائف الثلاث وتغير صفاتها الطبيعية
الخشيسة إلى الصفات الملكية الفاضلة. ^(١)

وعن أسامة بن زيد - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قال: قال: رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: من
صنع إليه معروف فقال لفاعله: جزاك الله خيراً، فقد أبلغ في الشَّاء. ^(٢)

قال ابن عبد البر رَحِمَهُ اللَّهُ -:

ثلاث إذا كن في الرجل لم يشك في عقله وفضله إذا حمده جاره وقرابته
ورفيقه وإليك طرف في الحث على الإحسان إلى الجار والبعد عن أذيته.. ^(٣)
قال بعضهم ^(٤):

وجه عليه من الحياء سَكِينَةٌ ومحبّة تجري مع الأنفاس
وإذا أحبَّ الله يوماً عبده ألقى عليه محبة للناس

وقال أحمد الكيواني:

من يغرس الإحسان يجن محبةً دون المسيء المبعد المصروم
أقل العثار تُقَلُّ ولا تحسد ولا تحقد فليس المرء بالمعصوم

(١) حجة الله البالغة (٢/ ٢٤٢).

(٢) الترمذي (٢٠٣٥) وصححه العلامة الألباني.

(٣) كما في موارد الضمآن لدروس الزمان (٣/ ٤٩٥).

(٤) العقد الفريد (٢/ ١٦٦).

وقال أبو الفتح البستي:

زيادة المرء في دنياهُ نقصانُ	وربحه غير محضٍ الخير خسرانُ
أحسنُ إلى الناسِ تستعبد قلوبهمُ	فطالما استعبد الإنسان إحسانُ
من جادَ بالمالِ مالَ الناسِ قاطبةً	إليه والمالُ للإنسانِ فتانُ
أحسنُ إذا كانَ إمكانٌ ومقدرةٌ	فلن يدومَ على الإنسانِ إمكانُ
حياكُ من لم تكن ترجو تحيتهُ	لولا الدراهمُ ما حياك إنسانُ

يتبين لنا من هذا المبحث أمور منها:

* أن الإحسان من ثماره محبة الخالق والخلق للمحسن فالإحسان له ثمار كثيرة هذه من أعلى مراتبها ومنازلها.

* وأن الله تعالى يحب المحسن وهذه كرامة كريمة عظيمة فمن أحسن ما بينه وبين الله وبينه وبين عباد الله وأحسن عمله فإنه ينال المحبة وأي نعمة ومكانة ورفعته أن الله يحب العبد وأي منزلة حصل عليه هذا العبد.

* وأن الله تعالى يرزق المحسن محبة العباد وهذا من إحسان الله تعالى للمحسن فأحسانه على المحسن متوالي فيسخر له القلوب وأهلها فتخضع له وينال الجلالة والهيبة فيها.

المحسن ينال الأجر العظيم:

قال الله تعالى: ﴿وَلَنُكَفِّرَنَّ تُرَدِّدَكَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ، وَالذَّارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنِينَ مِنْكُمْ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [٢٩] [الأحزاب: ٢٩].

قال السعدي - رَحِمَهُ اللهُ -: رتب الأجر على وصفهن بالإحسان، لأنه السبب الموجب لذلك، لا لكونهن زوجات للرسول فإن مجرد ذلك، لا يكفي، بل لا يفيد شيئاً، مع عدم الإحسان، فخيرهن رسول الله ﷺ في ذلك، فاخترن الله ورسوله، والدار الآخرة، كلهن، ولم يتخلف منهن واحدة، رَضِيَ اللهُ عَنْهُنَّ .^(١)

يتبين لنا من هذا المبحث أمور منها:

* أن عظم الأجر بعظم الإحسان فمن كان محسن في عمله الديني والأخروي فإنه ينال عظيم الجزاء وهذا ملموس حتى في عمل الدنيا أن صاحب الإحسان يكون محل ثقة عند العباد.

* وأن من ثمار الإحسان زيادة الأجر عند الله تعالى وأن الزيادة لا تكون إلا للمحسنين كما بين الله تعالى ذلك شرعاً وقدرأً ورتب على الإحسان مزيد الثواب وقدرأً أن المحسن في عمله مطلوب في جميع الشؤون والأحوال ولو زاد ثمنه.

الإحسان من ثمرة العلم:

قال الله تعالى: ﴿لَكِنَّ الرّٰسِخُوْنَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُوْنَ يُؤْمِنُوْنَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلٰوةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكٰوةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللّٰهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أُولَٰئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ١٦٢].

وقال الله تعالى: ﴿قُلْ ءَامِنُوا بِهِٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوْا إِنَّ الَّذِيْنَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِٖٓ إِذَا يُتْلٰى عَلَيْهِمْ يَخِرُّوْنَ لِلْأَذْقَانِ سَجْدًا﴾ [١٠٧] وَيَقُولُوْنَ سُبْحٰنَ رَبِّنَا إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُوْلًا [١٠٨] وَيَخِرُّوْنَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُوْنَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوْعًا ﴿١٠٩﴾ [الإسراء: ١٠٧-١٠٩].

وقال الله تعالى: ﴿وَلِيَعْلَمَ الَّذِيْنَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوْا بِهِٓ

(١) تيسير الكريم الرحمن (٦٦٢).

فَتُخِيتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادٍ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٥٤﴾ [الحج: ٥٤].

قال العلامة السعدي - رَحِمَهُ اللَّهُ - :

لأن الله منحهم من العلم، ما به يعرفون الحق من الباطل، والرشد من الغي، فيميزون بين الأمرين، الحق المستقر، الذي يحكمه الله، والباطل العارض الذي ينسخه الله، بما على كل منهما من الشواهد، وليعلموا أن الله حكيم، يقيض بعض أنواع الابتلاء، ليظهر بذلك كائن النفوس الخيرة والشريرة، ﴿فَيُؤْمِنُوا بِهِ﴾ بسبب ذلك، ويزداد إيمانهم عند دفع المعارض والشبه.

﴿فَتُخِيتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ﴾ أي: تخشع وتخضع، وتسلم لحكمته، وهذا من هدايته إياهم، ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادٍ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ بسبب إيمانهم ﴿إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ علم بالحق، وعمل بمقتضاه، فيثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة، وهذا النوع من تثبيت الله لعبده. ^(١)

قال ابن القيم - رَحِمَهُ اللَّهُ - : ^(٢)

والجاهل الظالم لا يرى الإحسان	إلا إساءة ولا الهدى إلا الضلالة
فقل للعيون الرمد للشمس أعين	سواك تراها في مغيب ومطالع
وسامح نفوسا بالقشور قد ارتضت	وليس لها لب من متطلع

وتبين لنا من هذا المبحث أمور منها:

* أن من علامات المحسن العلم وأن الجاهل ناقص الإحسان فكيف يكون المحسن جاهلا لا يدري كيف يعمل وماهو الذي يصح وماهو الذي

(١) تيسير الكريم الرحمن (٥٤٢).

(٢) إعلام الموقعين (٤/ ٣٢).

لا يصح والعالم والعارف هو من يعرف الصواب فيحسنه والخطأ فيتحاشاه.
 * أن الإحسان المبني على العلم مقبول ولو كان على اجتهد ودليل ظني
 وأن الإحسان على جهل مذموم وإن أصاب صاحبه الحق.

جعل الله للمحسنين في الجنة ما يشاءون؛

قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ ۖ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ (٣٣)
 لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ (٣٤) [الزمر: ٣٣-٣٤].

فقوله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ يشير إليهم بأنهم اتقوا كل ما
 يغضب الله من الشرك والمعاصي، وبذلك استوجبوا النجاة من النار ودخول
 الجنة المعبر عنه بقوله تعالى: ﴿لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ من نعيم بعضه لم
 يخطر على بال أحد، ولم تره عين أحد ولا تسمع به أذنه.

وقوله: ﴿ذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ﴾ أي ذلك المذكور في قوله لهم ما يشاءون
 عند ربهم ذلك هو جزاؤهم وجزاء المحسنين كلهم والمحسنون هم الذين
 أحسنوا الاعتقاد والقول والعمل. (١).

وتبين لنا من هذا المبحث أمور منها؛

* أن إطلاق النعيم للعبد بما يشاء هو من ثمار الإحسان وهو مما وعد الله
 تعالى به المحسن ووعد الله تعالى للعبد المحسن حق فله المشيئة المطلقة في طلب
 النعيم بل من فضل الله تعالى وإحسانه لعبده أنه يذكره ويمده بسائر الخيالات
 التي يطلب ويتمنى بها النعيم في الجنة.

* وأن عظم النعيم في الجنة الزائد الذي لا يعلم به إلا الله تعالى يناله العبد
 المحسن فهو غير الأول الذي يطلق الله فيه الخيال للعبد فهو شيء لا يوصف

(١) أيسر التفاسير للجزائري (٤ / ٤٨٧).

ولا يستطيع تصويره بل لا يستطيع وصفه لأن الله قال: أولئك الذين غرست كرامتهم بيدي. ^(١)

الإحسان يثمر الحياة الطيبة:

فأعظم أسباب الحياة الطيبة والسعادة في الدنيا والآخرة حسن الإيمان والعمل الصالح وجزاؤه هو الجزاء بأحسن ما عمله العبد.

قال الله - عَزَّجَلَّ - : ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنَّىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ١٠٩].

ويتبين لنا من هذا المبحث أمور منها:

* أن الحياة الطيبة على أنواع حسية ومعنوية ودنيوية وأخروية وأن نيلها على خمسة أصناف نسأل الله تعالى أن ننالها جميعاً.

* وأن الحياة الطيبة بيد الله تعالى يهبها لمن يشاء ويمنعها من يشاء فله الأمر كله يكرم بها المحسن ولو كان أحقر الناس عند الناس ويمنعها من يشاء ولو كان من أكثر الناس مالاً وجاهاً.

* وأن الإحسان من ثماره الحياة الطيبة في الدنيا والآخرة هو أسسها وأساسها.

* وأن الحياة الطيبة التي ينالها المحسن ليس كما يظن الناس بالمال والجاه بل هي أعلى من ذلك وأرفع وهي ما يفتقده الكثير من الناس من سعادة القلب وراحته وسكنته ولذة الإيمان فيه وفرحه وشوقه لما عند ربه تعالى.

(١) مسلم (١٨٩).

سادساً: مواطن الإحسان

القلب:

قال الله تعالى: ﴿وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ۚ هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ۚ مَن خَشِيَ الرَّحْمَنَ الْغَيْبَ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ۚ﴾ [ق: ٣١-٣٣].

وقال الله تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ۚ إِلَّا مَن أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ۚ﴾ [الشعراء: ٨٨-٨٩].

فأعمال القلب جميعاً إذا أحسن العبد فيها نال الخير وإذا عامل قلبه وتعامل قلبه مع العباد بالإساءة فياغبن وخسارة من كان هذا حاله.

وإحسان القلب أمور كثيرة النية لله تعالى في العمل وعكسها الشرك بالنية لغير الله تعالى وكل ما يحمله القلب من الخير ومحبة للناس هو من أعظم عبادات العبد لله تعالى ومن أعلى مراتبها فمحبة الخير والسماحة وسلامة القلب للعباد والرضاء والخوف من الله والرغبة والرغبة وغيرها كلها عبادات قلبية جليلة لا يوزنها كثير من عبادات الجوارح بل عبادات الجوارح لا تكون مستقلة بل لها متعلق بعبادات القلب بخلاف عبادات القلب قد تكون في بعض حالاتها مستقلة عن عمل الجوارح بل وعمل الجوارح لا يقوم به العبد إلا بعد عمل القلب فهو الذي يسوق الجوارح ويؤدبها ويهذبها فهو الملك عليها وهي رعيته وتابعة له نسأل الله تعالى صلاح قلوبنا.

قال الشيخ تقي الدين أبو العباس ابن تيمية، في كتاب الإيمان: ما همّ العبد به من القول الحسن والعمل الحسن، فإنما يكتب له به حسنة واحدة، وإذا صار قولاً

وعملا كتب له عشر حسنات إلى سبعمائة، وذلك للحديث المشهور في الهم . (١)

اللسان:

قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ قَوَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ وَأَنتُمْ مُّعْرِضُونَ﴾ [البقرة: ٨٣] .

وقال الله تعالى: ﴿وَقُلْ لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا﴾ [الإسراء: ٥٣] .

عن أنس بن مالك - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ: رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إذا حكمتُم فاعدلوا، وإذا قتلتم فأحسنوا، فإنَّ الله - عَزَّجَلَّ - محسن يحبُّ المحسنين . (٢)

قال الإمام ابن كثير ما ملخصه: يأمر الله - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - عبده ورسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يأمر عباد الله المؤمنين ، أن يقولوا في مخاطبتهم ومحاوراتهم الكلام الأحسن، والكلمة الطيبة ، فإنهم إن لم يفعلوا ذلك نزغ الشيطان بينهم، وأخرج الكلام إلى الفعال ، ووقع الشر والمخاصمة والمقاتلة ، فإنه عدو لآدم وذريته .. وعداوته ظاهرة بينة ، ولهذا نهى أن يشير الرجل إلى أخيه المسلم بحديدة ، فإن الشيطان ينزغ في يده. أي : فربما أصابه بها. (٣)

وقال الله تعالى: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُمْ بِنَحِيَةٍ فَحْيُوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا﴾ [النساء: ٨٦] .

قال العلامة السعدي - رَحِمَهُ اللَّهُ - : التحية هي اللفظ الصادر من أحد المتلاقيين على وجه الإكرام والدعاء، وما يقترن بذلك اللفظ من البشاشة ونحوها.

(١) الآداب الشرعية (١ / ١٠٤) .

(٢) صحيح الجامع (١ / ١٩٤) .

(٣) تفسير القرآن الكريم (٥ / ٨٧) .

وأعلى أنواع التحية ما ورد به الشرع، من السلام ابتداء وردًا. فأمر تعالى المؤمنين أنهم إذا حيّوا بأي تحية كانت، أن يردوها بأحسن منها لفظًا وبشاشة، أو مثلها في ذلك. ومفهوم ذلك النهي عن عدم الرد بالكلية أو ردها بدونها.

ويؤخذ من الآية الكريمة الحث على ابتداء السلام والتحية من وجهين:

أحدهما: أن الله أمر بردها بأحسن منها أو مثلها، وذلك يستلزم أن التحية مطلوبة شرعًا.

الثاني: ما يستفاد من أفعال التفضيل وهو أحسن الدال على مشاركة التحية وردّها بالحسن، كما هو الأصل في ذلك. (١)

الفضل:

قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾ [النساء: ١٢٥].

وقال الله تعالى: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ [٦٣] وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا [٦٤] وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا [٦٥] إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا [٦٦] وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا [٦٧] [الفرقان: ٦٣-٦٧].

وقال الله تعالى: ﴿يَبْنِي أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ [١٧] وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ [١٨] وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَأَغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ [١٩] [لقمان: ١٧-١٩].

(١) تيسير الكريم الرحمن (١٩١).

وعن أبي ذرٍّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: اتَّقِ اللَّهَ حَيْثُمَا كُنْتَ، وَاتَّبِعِ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمَحُّهَا، وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ ^(١)

وعن عياض بن حمار المجاشعي - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ اللَّهَ أَوْحَى إِلَيَّ أَنْ تَوَاضَعُوا حَتَّى لَا يَفْخَرُ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ، وَلَا يَبْغِي أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ. ^(٢)

(١) الترمذي (١٩٨٧) وصححه الألباني.

(٢) مسلم (٢٨٦٥).

سابعاً: صور الإحسان

أولاً: إحسان العبد توحيد الله تعالى:

فتوحيد الله تعالى هو إفراد الله تعالى بالربوبية والألوهية والأسماء والصفات.

قال الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (٥٦) [الذاريات: ٥٦].

وقال الله تعالى: ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ [النساء: ٣٦].

وقال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْآمَنُ وَهُمْ

مُهْتَدُونَ﴾ (٨٢) [الأنعام: ٥٣].

وعن ابن عباس - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ: رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لِمُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ حِينَ بَعَثَهُ إِلَى الْيَمَنِ: إِنَّكَ سَتَأْتِي قَوْمًا أَهْلَ كِتَابٍ فَإِذَا جِئْتَهُمْ فَادْعُهُمْ إِلَى أَنْ يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ فَرُدُّ عَلَى فَقَرَائِهِمْ فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ فَأَيَّاكَ وَكَرَائِمَ أَمْوَالِهِمْ وَاتَّقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّهِ حِجَابٌ^(١).

وعن معاذ بن جبل - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: كُنْتُ رَدِيفَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى

حمار فقال لي: يا معاذ أتدري ما حق الله على العباد، وما حق العباد على الله؟

فقلت: الله ورسوله أعلم. قال: حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به

شيئاً، وحق العباد على الله أن لا يعذب من لا يشرك به شيئاً فقلت: يا رسول

(١) مسلم (١٩).

الله أفلا أبشر الناس؟ قال: لا تبشرهم فيتكلموا. ^(١)

فمن الإحسان في توحيد الله تعالى أمور كثيرة منها:

أولها: أن يعتقد أن الله تعالى موجود على عرشه مستوٍ كما يليق به تعالى.
ثانيها: أن يعتقد أن الخلق خلقه والأمر أمره وأن كل شيء بيده. وأنه لا يعجزه شيء ولا يحتاج لشيء **تَبَارَكَ وَتَعَالَى** أحاط بكل شيء ولا يحيط به شيء تعظم وتقدس جل جلاله.

ثالثها: أن يصرف هذه العبادة لله تعالى وحده لا شريك له ولا يجعل لشيء من الخلق فيها أدنى نصيب ظاهراً وباطناً.

رابعها: أن يحسن الظن بربه تعالى ويعامله بذلك ليحني من ثمار حسن الظن خيري الدنيا والأخرى.

خامسها: أن يعظم ربه تعالى ويوقره مطلقاً في كل شيء وأن يداوم على مشاهدة الله تعالى بقلبه ومراقبته له **تَبَارَكَ وَتَعَالَى**.

سادسها: أن يسمي الله تعالى ويصفه بما وصف نفسه في كتابه وعلى لسان رسوله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** ولا يتجاوز ذلك وصفاً يليق بجلال الرب تعالى من غير تمثيل ولا تكيف ولا تشبيه.

ثانياً: إحسان العبد عبادة الله تعالى:

قال الله تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ ٥﴾ [البينة: ٥].

وقال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصاً لَهُ الدِّينَ ١١﴾ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ ١٢﴾ [الزمر: ١١-١٢].

(١) مسلم (٣٠).

عن عثمان - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قال: سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: ما من امرئ مسلم تحضره صلاة مكتوبة، فيحسن وضوءها وخشوعها وركوعها. إلا كانت كفارة لما قبلها من الذنوب. ما لم يؤت كبيرة. وذلك الدهر كله. ^(١)

وعن عقبة بن عامر - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قال: كانت علينا رعاية الإبل، فجاءت نوبتي فروحتها بعشي. فأدركت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قائماً يحدث الناس، فأدركت من قوله: ما من مسلم يتوضأ فيحسن وضوءه. ثم يقوم فيصلي ركعتين. مقبل عليهما بقلبه ووجهه. إلا وجبت له الجنة قال: فقلت: ما أجود هذه! فإذا قائل بين يدي يقول: التي قبلها أجود. فنظرت فإذا عمر. قال: إني قد رأيتك جئت آنفا قال: ما منكم من أحد يتوضأ فيبلغ (أو يسبغ) الوضوء ثم يقول: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبد الله ورسوله إلا فتحت له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء. ^(٢)

فالله تعالى بين للعباد ما يجب عليهم وما يحرم على سبيل الإلزام أو على غير سبيل الإلزام وبين أن العبد تعثره مصالح ومفاسد في حياته الدينية أو الدنيوية فلا بد أن يوازن بين أعماله فما كان ملزماً به فعلاً أو تركاً كان تقديمه على غيره أمر مهم وما كان له فيه منفعة مشروعة فيقدمها على المفسدة وما كان فيها مصلحة للعامة فيقدمها ولو كان عليه مفسدة لأن المصلحة العامة أهم من المصلحة الخاصة وعلى هذا فيقيس العبد ويوازن بين المصالح ويقدم الأهم فالأهم وهذا من حسن عبادته لربه تعالى والله تعالى أعلم.

وقال الله تعالى: ﴿ أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ

قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴾ [الإسراء: ٧٨].

(١) مسلم (٢٢٨).

(٢) مسلم (٢٣٤).

عن عبد الله بن مسعود - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قال: سألتُ النبيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : أيُّ العملِ أحبُّ إلى الله؟ قال: الصلاةُ على وقتِها . قال: ثم أيُّ؟ قال: بُرُّ الوالدَيْنِ . قال: ثم أيُّ؟ قال: الجهادُ في سبيلِ الله ^(١)

فالله تعالى وقت لكل عبادة وقتاً وجعل لها زمناً تبدأ وتنتهي به فلا يجوز للعبد أن يفرط في أوقات العبادات إلا ما كان من العبادات المطلقة التي لا تختص بوقت مثل ذكر الله تعالى والصدقة والإحسان إلى العباد وغيرها من أعمال البر التي تكون مطلقة في أي وقت.

عن أنس بن مالك - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قال: جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يسألون عن عبادة النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فلما أخبروا كأنهم تقالُّوها، فقالوا: وأين نحن من النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ قد غفر الله له ما تقدّم من ذنبه وما تأخر. قال أحدهم: أمّا أنا فأنا أصليّ الليل أبداً. وقال آخر: أنا أصوم الدهر ولا أفطر. وقال آخر: أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبداً.

فجاء رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: أنتم الذين قلتم كذا وكذا؟ أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له، لكني أصوم وأفطر، وأصليّ وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنّتي فليس مني. ^(٢)

وعن عائشة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - قالت: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو ردّ. ^(٣) فالعبادة لله تعالى لا بد أن تكون على اتباع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وإلا كانت مردودة وباطلة.

وقال ابن مسعود - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - : إنّنا نفتدي ولا نبتدي، ونتبع ولا نبتدع، ولن

(١) البخاري (٢٨٢)، مسلم (٨٥).

(٢) البخاري (٥٠٦٣) واللفظ له. مسلم (١٤٠١).

(٣) البخاري (٢٦٩٧) واللفظ له. ومسلم (١٧١٨).

نضلّ ما تمسّكنا بالأثر. (١)

قال عبد الله ابن الدّيلميّ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ -: بلغني: أنّ أوّل ذهاب الدّين ترك السُّنّة، يذهب الدّين سنّة سنّة كما يذهب الحبل قوّة قوّة. (٢)

وقال الحسن البصريّ - رَحِمَهُ اللهُ - إنّما هلك من كان قبلكم حين تشعبت بهم السّبل، وحادوا عن الطّريق فتركوا الآثار وقالوا في الدّين برأيهم فضلّوا وأضلّوا. (٣)

فمن أعظم الإحسان في العبادات وإليها أن يلزم فيها الهدى النبوي الشريف ولا يحيد عن ذلك فمن حاد قليلاً أو كثيراً فقد ضلّ ضللاً بعيداً وارتكب جرماً قبيحاً أن شرع لنفسه ما لم يشرعه الله تعالى ولا رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فالواجب على العبد أن يلزم الطّريق القويم ولا يحيد عنها ولا يغير ولا يبدل وإلا فقد أساء إساءة شنيعة إلى دين الله تعالى.

قال تعالى: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعِظْ شَعْبًا اللَّهُ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ (٣٢) لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ مَحْلُهَا إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ (٣٣) [الحج: ٣٢-٣٣].

وقال الله تعالى: ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ وَقَتْلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يَقْتُلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ (٣٦) [التوبة: ٣٦].

وقال الله تعالى: ﴿وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [التوبة: ١١٢].
وقال تعالى: ﴿وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَدْرِي لَعَلَّ

(١) اللالكائي (١/ ٨٦).

(٢) سنن الدارمي (١/ ٥٨).

(٣) الاعتصام (١/ ١٠٢).

اللَّهُ يُحَدِّثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا ﴿١﴾ [الطلاق: ١] .

وعن أبي هريرة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّهُ قَالَ: قَالَ: رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: مِنْ أَتَى هَذَا الْبَيْتَ فَلَمْ يَرَفْثْ وَلَمْ يَفْسُقْ، رَجَعَ كَمَا وَلَدَتْهُ أُمُّهُ .^(١)

وقال ابن مسعود - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -: إِنَّ الْمُؤْمِنَ يَرَى ذُنُوبَهُ كَأَنَّهُ قَاعِدٌ تَحْتَ جَبَلٍ يَخَافُ أَنْ يَقَعَ عَلَيْهِ، وَإِنَّ الْفَاجِرَ يَرَى ذُنُوبَهُ كَذَبَابٍ مَرَّ عَلَى أَنْفِهِ . فَقَالَ بِهِ (وَأَشَارَ بِيَدِهِ هَكَذَا) .^(٢)

وقال - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - فِي تَفْسِيرِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْحَكَمِ يُظْلَمِ﴾ [الحج: ٥٢]: لَوْ أَنَّ رَجُلًا أَرَادَ بِالْحَادِ فِيهِ بَظْلَمَ وَهُوَ بَعْدَ أَنْ أَبَانَ، لِأَذَاقِهِ اللَّهِ مِنَ الْعَذَابِ الْأَلِيمِ .^(٣)

فتعظيم الدين وشعائره العظيمة من تقوى القلوب ومن أدلة إحسان العبد عبادة ربه تعالى فما قام في القلب من التعظيم لهذه الحرمات قام في الجوارح والأعضاء .

فدوام العبد مراقبة الله تعالى وتيقنه أن الله تعالى مطلع عليه يعتبر درجة عاليه وشريفة ينالها العبد وينبغي له أن يسعى لنيلها خاصة عند قرب من ربه تعالى بأداء العبادات فيستشعر أنها لله تعالى فيكون بعيداً عن كل ما يكون لله شريكاً في هذه العبادات وهذا من حسن عبادته لربه تعالى .

وعن أبي هريرة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ: سَبْعَةٌ يَظْلَهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ: الْإِمَامُ الْعَادِلُ، وَشَابٌ نَشَأَ بِعِبَادَةِ اللَّهِ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مَعْلُوقٌ فِي الْمَسَاجِدِ، وَرَجُلَانِ تَحَابَّا فِي اللَّهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ، وَرَجُلٌ دَعَتْهُ

(١) البخاري (١٨١٩) . ومسلم (١٣٥٠) واللفظ له .

(٢) البخاري (٦٣٠٨) .

(٣) أضواء البيان (٥ / ٥٩) .

الإحسان

امرأة ذات منصب وجمال فقال إني أخاف الله، ورجل تصدّق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شأله ما تنفق يمينه، ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه. (١)

وعن أبي هريرة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قال: كان النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بارزاً يوماً للنَّاس فأتاه رجل فقال: ما الإيمان؟ قال: الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وبلقائه وبرسله وتؤمن بالبعث. قال: ما الإسلام؟ قال: الإسلام أن تعبد الله ولا تشرك به، وتقيم الصلاة وتؤدّي الزكاة المفروضة وتصوم رمضان. قال: ما الإحسان؟ قال: أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك. (٢)

وقال أبو عثمان: قال لي أبو حفص: إذا جلست للناس فكن واعظاً لنفسك وقلبك، ولا يغرّنك اجتماعهم عليك فإنهم يراقبون ظاهرك والله رقيب على باطنك. (٣)

وقال ابن القيم - رَحِمَهُ اللَّهُ -:

ينبغي أن يراقب الإنسان نفسه قبل العمل وفي العمل، هل يحركه عليه هوى النفس أو المحرك له هو الله تعالى خاصة؟ فإن كان الله تعالى، أمضاه، وإلا تركه، وهذا هو الإخلاص.

قال الحسن: رحم الله عبداً وقف عند همّه، فإن كان لله مضي، وإن كان لغيره تأخّر.. (٤)

وقال الله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كَسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء: ١٤٢].

(١) البخاري (١٤٢٣). ومسلم (١٠٣١) واللفظ له.

(٢) البخاري (٥٠) واللفظ له. ومسلم (٩٠).

(٣) إحياء علوم الدين للغزالي (٤ / ٢٩٧).

(٤) إغاثة اللهفان لابن القيم (٣٩٢).

وقال الله تعالى: ﴿وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَتُهُمْ إِلَّا أَنْهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَى وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَرِهُونَ﴾ [التوبة: ٥٤].

عن أبي هريرة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: «إِنْ أَثْقَلَ صَلَاةُ عَلَى الْمُنَافِقِينَ صَلَاةُ الْعِشَاءِ وَصَلَاةُ الْفَجْرِ. وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِيهَا لَأَتَوْهَا وَلَوْ حَبَوَا. وَلَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ أَمُرَ بِالصَّلَاةِ فَتُقَامَ. ثُمَّ أَمُرَ رَجُلًا، فَيُصَلِّيَ بِالنَّاسِ، ثُمَّ أَنْتَظِرَ مَعِيَ بَرَجًا مَعَهُمْ حَزَمَ مِنْ حَطَبٍ إِلَى قَوْمٍ لَا يَشْهَدُونَ الصَّلَاةَ، فَأَحْرَقَ عَلَيْهِمْ بَيْوتَهُمْ بِالنَّارِ» (١).

فمحنة العبادة وانسراح القلب لها دليل على الإيمان وثقلها دليل على النفاق كما بين الله تعالى ذلك ولا تجد قلب المؤمن إلا منشرح للعبادة والخير محباً لها قد وجد نهمته وراحة باله وقرة عينه فيها ولا تجد المنافق والفاجر إلا متضجراً منها ضيقاً صدره بها متثاقلاً متكاسلاً يضيق وينفر إذا حضرت وينشرح ويفرح إذا قضيت بهم الأخرى ولا يفرح بها يود لو أن الله تعالى ما أوجبها ولا كتبها ولا قضاها عياداً بالله.

وقال الله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١].

قال الشافعي - رَحِمَهُ اللَّهُ - في مرض موته: (٢)

فلما قسا قلبي وضاعت مذاهبي جعلت الرجا مني لعفوك سلماً
تعاظمني ذنبي فلما قرنته بعفوك ربّي كان عفوك أعظماً

(١) البخاري (٦٤٤). مسلم (٦٥١) واللفظ له.

(٢) دليل الفالحين، لابن علان (٢/ ٣٦١).

وعن محمد بن عبد الملك بن هاشم، قال: سمعت ذا النون المصري يقول في دعائه: اللهم إليك تقصد رغبتني، وإيّاك أسأل حاجتي، ومنك أرجو نجاح طلبتي، وبيدك مفاتيح مسألتني، لا أسأل الخير إلا منك، ولا أرجوه من غيرك، ولا أياس من روحك بعد معرفتي بفضلك. ^(١)

فيكون من مطالب العبد عند عبادة الله تعالى أن يرجو ما عند الله تعالى من الأجر والثوبة لا كما يقول البعض من أهل الجهل والضلال نحن نعبد الله تعالى محبة فيه لا طلباً لجنّته ولا خوفاً من ناره فهذا القول باطل جملة وتفصيلاً بل نعبد الله تعالى محبة له وخوفاً منه ورجاءاً لثوابه وما عنده نسأل الله تعالى من فضله.

واحسان عبادة الله تعالى يتضمن أمور منها:

أولاً: إخلاص العبادة له تعالى وصرفها له وحده لا شريك له في جميع ما يقدم عليه العبد ويذر.

ثانياً: متابعة النبي ﷺ في كل العبادات دون زيادة فيها أو نقصان لا في كیفيتها ولا وقتها ولا كميتها ولا غير ذلك.

ثالثاً: تقديم الأهم فيها على غيرها الواجب على المستحب وما فيه مصلحة على ما فيه مفسدة والموازنة بين ذلك.

رابعاً: أدائها في وقتها فلا يقدمها ولا يؤخرها عن وقتها ولا يتلاعب بأوقاتها فإن الله رسم ذلك وبيّن أن التلاعب بالأشهر الحرم زيادة في الكفر.

خامساً: عدم الابتداع فيها بأي نوع من المخالفة إفراط أو تفريط فكلها مذمومة في الشرع.

سادساً: أن يعظمها العبد ويؤديها مستشعراً أنها قربة لله تعالى وهذا دليل

(١) حلية الأولياء، لأبي نعيم (٩ / ٣٣٣).

على صلاح القلوب بل هو لب العبادة ومن عظيم ثمارها.

سابعاً: أن يرجو من الله تعالى ثوابها ونفعها في الدنيا والأخرى وتكون له ذخراً بين يدي الله تعالى وشافعة له بدخول الجنة ونيل رحمة الله تعالى.

ثامناً: أن يستحضر الله تعالى ويراقبه عند أدائها فيحسن أدائها ويرجو من الله تعالى ثوابها ويعلم أن الله تعالى يعلم حاله.

تاسعاً: أن يؤديها بمحبة ورغبة لا بتثاقل ولا بغيره فإنها من أعمال أهل النفاق الذين لا يرجون ما عند الله تعالى.

ثالثاً: إحسان العبد إلى أنبياء الله ورسوله:

قال الله تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ [النساء: ٦٤].

وقال الله تعالى: ﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاءُ الْمُبِينُ ﴾ [١٢] ﴿ [١٤٢].

فطاعة الأنبياء والرسول من أصول الدين الذي لا ينجو العبد إلا بطاعتهم في كل صغيرة وكبيرة.

وقال الله: عَزَّجَلَّ: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ﴾ [١٥٠] ﴿ [النساء: ١٥٠].

وقال الله تعالى: ﴿ أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا ﴾ [النساء: ١٥١] ... فيجب تصديق الرسل فيما جاءوا به من الرسالات وهذا مقتضى الإيمان بهم .

وقال الله تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [٢٨] ﴿ [سبأ: ٢٨].

الإِحْسَانُ

وقال الله تعالى: ﴿ قُلْ يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾ [الأعراف: ١٥٨].

وقال الله تعالى: ﴿ تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ ﴾ [البقرة: ٢٨].

فيعتقد العبد أن الله تعالى فضل أنبياءه ورسله على بعض ولكن لا ينبغي على سبيل التنقص للنبي الآخر. قال الطبري في تفسير الآية: يقول تعالى ذكره: هؤلاء رسلي فضلت بعضهم على بعض، فكلمت بعضهم كموسى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ورفعت بعضهم درجات على بعض بالكرامة ورفعة المنزلة. فإنزال كل واحد منهم منزلته في الفضل والرفعة بحسب دلالات النصوص من جملة حقوقهم على الأمة.

وقال الله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ وَالشَّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴾ [الحديد: ١٩].

وقال الله تعالى: ﴿ قُلْ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران: ٤٨].

فالإيمان بأنبياء الله تعالى ورسله من أهم المطالب التي تجب على العبد في الدنيا وهو من الإحسان في الإيمان بأنبياء الله تعالى ورسله فمن آمن بهم جميعاً فقد نجا ومن لم يؤمن بهم جميعاً أو بأحد منهم فقد ضل وغوى وتردى.

وعن أبي هريرة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أنه قال: والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت

ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار .^(١)

فيعتقد المؤمن أنه يجب عليه الإيمان والمتابعة للنبي ﷺ - دون غيره بعد بعثته ولا يجوز أن يدان الله تعالى بغير دين الإسلام.

ويتضمن الإحسان إلى أنبياء الله تعالى أمور منها:

أولاً: تصديقهم جميعاً فيما جاءوا به ، وأنهم مرسلون من ربهم ، مبلغون عن الله ما أمرهم الله بتبليغه لمن أرسلوا إليهم وعدم التفريق بينهم في ذلك .

ثانياً: ومما يجب معرفته أنه لا يجوز لأحد من الثقلين متابعة أحد من الرسل السابقين بعد مبعث محمد ﷺ المبعوث للناس كافة ، إذ أن شريعته جاءت ناسخة لجميع شرائع الأنبياء قبله فلا دين إلا ما بعثه الله به ولا متابعة إلا لهذا النبي الكريم .

ثالثاً: موالاتهم جميعاً ومحبتهم والحذر من بغضهم وعداوتهم جميعاً أو فرداً من أفرادهم فإنه كفر .

رابعاً: اعتقاد فضلهم على غيرهم من الناس ، وأنه لا يبلغ منزلتهم أحد من الخلق مهما بلغ من الصلاح والتقوى إذ الرسالة اصطفاء من الله يختص الله بها من يشاء من خلقه ولا تنال بالاجتهاد والعمل .

خامساً: اعتقاد تفاضلهم فيما بينهم وأنهم ليسوا في درجة واحدة بل فضل الله بعضهم على بعض ولكن ليس على سبيل التنقص .

سادساً: محبتهم وتعظيمهم واعتقاد عصمتهم دون غيرهم من العباد .

سابعاً: اعتقاد أن منهم أنبياء ورسل أرسلهم الله إلى أقوامهم بشرائع وأن الله تعالى أوحى إليهم .

(١) مسلم (١٥٣) .

ثامناً: اعتقاد أنهم رحمة للعباد وأن الله أرسلهم وأنهم لم يتقولوا على الله تعالى بشيء.

تاسعاً: اعتقاد أنهم بلغوا رسالة ربهم تعالى ولم يتخلفوا عن البلاغ
عاشراً: اعتقاد أنهم بشر خلقهم الله تعالى مما خلق به البشر وأنهم يأكلون ويشربون وأنهم يمرضون ويبتلون وغيرها مما يجري على بني البشر.
الحادي عشر: الصلاة والسلام عليهم فقد أمر الله الناس بذلك وأخبر الله بإبقائه الثناء الحسن على رسله وتسليم الأمم عليهم من بعدهم.

رابعاً: إحسان العبد إلى ملائكة الله تعالى:

وقوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولَى أَجْنَحَةٍ مَّتَنًى وَثُلُثٌ وَرُبْعٌ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [١] فاطر: [١].

وقال تعالى: ﴿نَزَّلَ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ﴾ [٤] [القدر: ٤].

وعن أبي سعيد الخدري - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -، أن أسيد بن حضير، قال: بينا وهو يقرأ من الليل سورة البقرة، وفرسه مربوط عنده، إذ جالت الفرس، فسكت، فسكتت، فقرأ فجالت الفرس، فانصرف وكان ابنه يحیی قريباً منها، فأشفق أن تصيبه، ولما أخره رفع رأسه إلى السماء، فإذا مثل الظلة، فيها أمثال المصاييح، فلما أصبح حدث النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فقال: أقرأ يا ابن حضير! قال: فأشفقت يا رسول الله أن تطأ يحيي، وكان منها قريباً، فانصرفت إليه، ورفعت رأسي إلى السماء، فإذا مثل الظلة، فيها أمثال المصاييح، فخرجت حتى لا أراها، قال: ولا تدري ما ذاك؟ قال: لا، قال: تلك السكينة دنت لصوتك، ولو قرأت لأصبحت ينظر الناس إليها لا تتواري منهم. ^(١)

(١) البخاري (٥٠١٨)، مسلم (٧٩٦).

وقال الله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٩٧﴾ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَلَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ ﴿٩٨﴾﴾ [البقرة: ٩٧-٩٨].

وعن جابر بن عبد الله - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: من أكل الثوم، والبصل، والكراث، فلا يقربن مسجدنا؛ فإن الملائكة تتأذى مما يتأذى منه بنو آدم. ^(١)

وعن أبي هريرة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: إذا قام أحدكم إلى الصلاة، فلا يبصق أمامه، فإنما يناجي الله ما دام في مصلاه، ولا عن يمينه؛ فإن عن يمينه ملكاً، وليبصق عن يساره، أو تحت قدمه فيدفعها. ^(٢)

وعن ابن عباس - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قال: يا صاحب الذنب لا تأمن سوء عاقبته، ولما يتبع الذنب أعظم من الذنب إذا عملته: قلة حيائك ممن على اليمين وعلى الشمال - وأنت على الذنب، وضحكك وأنت لا تدري ما الله صانع بك أعظم من الذنب، وفرحك بالذنب إذا ظفرت به أعظم من الذنب، وحزنك على الذنب إذا فاتك أعظم من الذنب، وخوفك من الريح إذا حركت ستر بابك وأنت على الذنب ولا يضطرب فؤادك من نظر الله إليك أعظم من الذنب. ^(٣)

ويتضمن الإِحْسَانُ إِلَى المَلَائِكَةِ أمور منها:

أولاً: الإيمان بهم وأنهم من خلق الله خلقهم الله من نور على أشكال جميلة وقوية وغريبة وأن لهم أجنحة وأنهم ليسوا بإناث.

(١) البخاري (٨٥٥)، ومسلم (٥٦٤) واللفظ له.

(٢) البخاري (٤١٦).

(٣) الحلية (١/٣٢٤).

ثانياً: تعظيمهم وتوقيرهم وتبجيلهم ومحبتهم لأنهم من عباد الله تعالى الصالحين.

ثالثاً: اعتقاد عصمتهم من الخطأ والزلل والذنب كما بين الله تعالى ذلك لأنهم ليس عليهم حساب.

رابعاً: المحبة لهم والتقرب إلى الله تعالى بذلك لأنهم من عباد الله تعالى الذين خلقهم لعبادته وطاعته.

خامساً: الحياء منهم وترك الذنوب والمعاصي فإنها تؤذيهم فهم ملازمون للبعد ليل نهار لا يفارقونه أي الحفظة والكتبة.

سادساً: استشعار قربهم من العبد وأنهم مطلعون عليه.

سابعاً: وأن لهم أعمال جعلها الله تعالى لهم ووكلهم بها فمن أعمالهم الوحي والقطر وقبض الأرواح وحفظ بني آدم والدفاع عن المؤمنين وزيارة حلق العلم والدعاء للمؤمنين وغيرها كثير.

ثامناً: أن يواليهم جميعاً ولا يعادي أحداً منهم كما حصل من اليهود في بغضهم لجبريل وميكال.

خامساً: إحسان العبد إلى العلماء:

عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -:
إِنَّ مِنْ إِجْلَالِ اللَّهِ إِكْرَامَ ذِي الشَّيْبَةِ الْمُسْلِمِ، وَحَامِلِ الْقُرْآنِ غَيْرِ الْمَغَالِي فِيهِ وَالْجَافِي
عَنْهُ، وَإِكْرَامَ ذِي السُّلْطَانِ الْمَقْسُطِ .^(١)

(١) صحيح الجامع (٢١٩٩) .

قال الشافعي رَحِمَهُ اللهُ -:

لا يجمل العلم ولا يحسن إلا بثلاث: تقوى الله، وإصابة السُنَّة، والخشية. (١)
أي سادة عظموا شأن الفقهاء والعلماء إلا أفلحوا فهو لاء وراث الشريعة
وحملة أحكامها الذين يعلمونها الناس وبها يصل الواصلون إلى الله إذ لا فائدة
بالسعي والعمل على الطريق المغاير للشرع ولو عبد الله العابد خمسمائة عام
بطريقة غير شرعية فعبادته راجعة إليه ووزره عليه ولا يقيم له الله يوم القيامة
وزنا فيأياكم وإهمال حقوق العلماء وعليكم بحسن الظن فيهم جميعا وأما أهل
التقوى منهم العاملون بما علمهم الله فهم الأولياء على الحقيقة فلتكن حرمتهم
عندكم محفوظة ومصونة، هم سادات الناس وأشرف الخلق والدالون على
طريق الحق.

قال الشيخ صالح آل الشيخ - حفظه الله تعالى -:

القدح في أهل العلم فيما أخطؤوا فيه - وسيأتي مسألة مستقلة لذلك إن شاء
الله - أن القدح فيهم يرجع في الحقيقة عند العامة إلى قدح في حَمَلَةِ الشريعة
ونَقَلَةِ الشريعة وبالتالي فيضعف في النفوس محبة الشرع؛ لأنَّ أهل العلم حينئذٍ
في النفوس ليسوا على مقام رفيع وليسوا على منزلة رفيعة في النفوس.

فحينئذٍ يُشَكُّ فيما ينقلونه من الدين وفيما يحفظون به الشريعة، فتؤول الأمور
حينئذٍ إلى الأهواء والآراء فلا يكون ثمَّ مرجعية إلى أهل العلم فيما أشكل على
الناس فتتفصم عرى الإيمان.

لهذا كان ذِكْرُ العلماء بسوء هو من جنس ذكر الصحابة بسوء، ولهذا أتبع
الطحاوي ذكر الصحابة بذكر العلماء، يعني لما فرغ من ذِكْرِ الصحابة ذَكَرَ

(١) مناقب الشافعي للبيهقي (٢/١٤٨).

العلماء؛ لأنَّ القدح في الصحابة والقدح في العلماء منشؤه واحد ونهايته واحدة، فإنَّ القدح في الصحابة طعنٌ في الدين، والقدح في العلماء المستقيمين، العلماء الربانيين فيما أخطؤوا فيه أو فيما اجتهدوا فيه هذا أيضاً يرجع إلى القدح في الدين، فالباب بابٌ واحد. (١).

وعن أبي موسى - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قال : قال : رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل غيث أصاب أرضاً فسدت وكانت منها طائفة طيبة قبلت الماء وأنبت الكلاً والعشب الكثير وكان منها أجادب أمسكت الماء فنفع الله تعالى بها الناس فشربوا وسقوا وزرعوا وأصاب طائفة أخرى إنما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلاً فذلك مثل من فقه في دين الله فعلم ونفعه ما بعثني الله به وعلم ومثل من لم يرفع بذلك رأساً ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به . (٢)

وعن أبي هريرة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أن رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قال : من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً، ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئاً . (٣)

ويتضمن الإحسان إلى العلماء أمور منها:

أولاً: أن يتخير الأعلم والأصلح فإن العلم دين يدان الله تعالى به فلا يؤخذ عن أهل البدع أو عمن رق دينه فإنها هلكة.

ثانياً: أن يتأدب بآداب الدرس والطلب المشروعة في الكتاب والسنة وهدى

(١) شرح الطحاوية الشريط (٤٥).

(٢) البخاري (٧٩)، ومسلم (٥٩١٢).

(٣) مسلم (٢٦٧٤).

أصحاب رسول الله ﷺ ويحذر الإفراط في ذلك والتفريط فإنه قد طرأت على بعض الحلق أمور ما أنزل الله بها من سلطان.

ثالثاً: أن يكون نعم العون لمعلمه في الخير والعلم وما يحتاجه محسناً بما يرضي الله تعالى.

رابعاً: أن يعظمه بما يليق به فلا إفراط ولا تفريط فإنه هلكة وفساد والله المستعان.

خامساً: أن يكون معه على الحجة دون تقليد له إلا بالحق فإن من الإساءة إلى المعلم الوقوف معه على الخطأ والزلل والتقليد له بالحق والباطل فأى إساءة بعدها تعد إذا لم ينصح له.

سادساً: أن ينصره ظالماً ومظلوماً فيمنعه عن ظلمه ولا يوافقه ويعينه إذا ظلم سواء لشيخ آخر أو لطالب أو لأي مسلم بل ولا لأي مخلوق فإن هذا من الغش لمعلمه والتعاون معه على الإثم والعدوان.

سابعاً: أن يخاطبه بأحب الأسماء إليه دون تعظيم زائد مما طرأ على البعض في هذه الآونة الأخيرة من الإطراء والزيادات فإنها من الغش والإساءة وقد نهى عنه.

ثامناً: أن يقوم بخدمته إذا احتاج إلى ذلك كما خدم الصحابة رسول الله ﷺ.

تاسعاً: أن يصبر على جفوته وسوء خلقه وغضبه وحنقه لما يعترض المعلم من أمور لا يطلع عليها الطالب ولا العامي.

عاشراً: أن يسأله ويستفسره عن العلم سؤال متعلم لا متعنت.

الحادي عشر: محبته المحبة الشرعية التي توزن بالكتاب والسنة.

الثاني عشر: شكرهم على ما يقومون بهم من تعليم الناس والدفاع عن الإسلام وأهله.

الثالث عشر: البروك بين أيديهم وأخذ العلم عنهم.

الرابع عشر: عدم نشر أخطائهم وغلطاتهم التي لا تضر المسلمين وليس فيها غشاً للإسلام والمسلمين.

الخامس عشر: عدم القدح فيهم بغير حق أو فيما يسوغ الاجتهاد فيه.

السادس عشر: التعاون معهم في الدعوة إلى الله تعالى وأن ذلك يعد قربة إلى الله تعالى.

سادساً : إحسان العبد إلى نفسه:

قال الله تعالى: ﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰ إِسْحَاقَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ﴾

مُبِين ﴿١١٣﴾ [الصافات: ١١٣].

قال الله تعالى: ﴿وَمِنْ قَبْلِهِ كَتَبَ مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً وَهَذَا كِتَابٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانًا

عَرَبِيًّا لِّنُنذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَبُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ﴾ [الأحقاف: ١٢].

وقد علم الله أن الإنسان يحب ذاته فأمره أولاً بإحسان إليها قبل أن يأمره بالإحسان إلى من سواها، وأباح له الطيبات من الرزق، وحثه على الانتفاع بها في غير إسراف ولا مخيلة.

عن أبي موسى الأشعري - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عن النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال: على كلِّ

مسلم صدقة قيل: أرأيت إن لم يجد؟ قال: يعتمل بيديه فينفع نفسه ويتصدق

قال: قيل: أرأيت إن لم يستطع؟ قال: يعين ذا الحاجة الملهوف قال: قيل له:

أرأيت إن لم يستطع؟ قال: يأمر بالمعروف أو الخير قال: أرأيت إن لم يفعل؟ قال: يمسك عن الشر، فإنها صدقة. ^(١)

فمن أعظم أنواع الإساءة التسول والشحاته كما ذكر بعض أهل العلم أن السائل ما لم يكن به ضرورة قد أساء إلى ربه وإلى الناس وإلى نفسه فإساءته للربه أن شكاه إلى عباده وإساءته لنفسه أن عرضها للذل والمهانة والخضوع لغير الله تعالى وإساءته للخلق أن أهانهم أن لا يتفقده ولم يسألوا عنه ويعطوه إن منعه وقد طلبهم والله المستعان.

قال شيخ الإسلام - رَحِمَهُ اللهُ -:

وَقَدْ ثَبَتَ عَنْهُ فِي الصَّحِيحِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «الْيَدُ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنَ الْيَدِ السُّفْلَى» وَقَالَ: «الْيَدُ الْعُلْيَا هِيَ الْمُعْطِيَةُ وَالْيَدُ السُّفْلَى السَّائِلَةُ» وَهَذَا ثَابِتٌ عَنْهُ فِي الصَّحِيحِ. فَأَيُّنَ الْإِحْسَانُ إِلَى عِبَادِ اللَّهِ مِنْ إِيْذَانِهِمْ بِالسُّؤَالِ وَالشَّحَاذَةِ لَهُمْ؟ وَأَيُّنَ التَّوْحِيدُ لِلْخَالِقِ بِالرَّغْبَةِ إِلَيْهِ وَالرَّجَاءَ لَهُ وَالتَّوَكُّلَ عَلَيْهِ وَالْحُبَّ لَهُ مِنْ الْإِشْرَافِ بِهِ بِالرَّغْبَةِ إِلَى الْمَخْلُوقِ وَالرَّجَاءَ لَهُ وَالتَّوَكُّلَ عَلَيْهِ وَأَنْ يُحِبَّ كَمَا يُحِبُّ اللَّهُ، وَأَيُّنَ صِلَاحُ الْعَبْدِ فِي عُبُودِيَّةِ اللَّهِ وَالذَّلُّ لَهُ وَالْإِفْتِقَارُ إِلَيْهِ مِنْ فَسَادِهِ فِي عُبُودِيَّةِ الْمَخْلُوقِ وَالذَّلُّ لَهُ وَالْإِفْتِقَارُ إِلَيْهِ. ^(٢)

عَنْ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللهُ عَنْهَا - أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ: إِذَا نَعَسَ أَحَدُكُمْ فِي الصَّلَاةِ فَلْيَرْقُدْ حَتَّى يَذْهَبَ عَنْهُ النَّوْمُ، فَإِنْ أَحَدَكُمْ إِذَا صَلَّى وَهُوَ نَاعِسٌ لَعَلَّهُ يَذْهَبُ يَسْتَغْفِرُ، فَيَسُبُّ نَفْسَهُ. ^(٣)

عن أبي هريرة - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قال: ليس الغنى عن

(١) مسلم (١٠٠٨).

(٢) مجموع الفتاوى (١/ ١٩٥).

(٣) مسلم (٧٨٦).

كثرة العرض، ولكن الغنى غنى النفس^(١)

قال ابن القيم - رَحِمَهُ اللهُ -: ^(٢)

يا باغى الإحسان يطلب ربه	ليفوز منه بغاية الآمال
انظر إلى هدة الصحابة والذي	كانوا عليه في الزمان الخالى
واسلك طريق القوم أين تيمموا	خذ يمينة ما الدرب ذات شمال
تالله ما اختاروا لأنفسهم سوى	سبل الهدى في القول والأفعال
درجوا على نهج الرسول وهديه	وبه اقتدوا في سائر الأحوال
نعم الرفيق لطالب يبغى الهدى	فمآله في الحشر خير مآل

وإنما أتى فساد الخلق من إهمال النفس وترك تأديبها، وقلة النظر في أمر الله تعالى وجهلهم به، فلو عرفوه لاستراحوا من خدع النفس ودواهيها؛ لأن النفس إنما تطمع بمخادعة من يجهل ربه.

عن أبي الأحوص عن أبيه قال : قلت يا رسول الله : الرجل أمر به فلا يقربني ولا يصيفني فيمر بي أفأقريه ؟ قال لا أقره ، قال : ورآني رث الثياب فقال هل لك من مال ؟ قلت من كل المال قد أعطاني الله من الإبل والغنم قال: فلير عليك. ^(٣) ومعنى قوله أقره أضفه والقري هو الضيافة.

وقال الله تعالى: ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ۖ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ۗ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ ﴾

(١) البخاري (٦٤٤٦)، مسلم (١٠٥١) واللفظ له.

(٢) إغاثة اللفهان (١/٢٣٦).

(٣) سنن الترمذي (٢٠٠٦) صحيح.

زَكَّاهَا ① وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّهَا ② [الشمس: ٧-١٠].

والتزكية تطهير الظاهر والباطن من كل درن ونجاسة ولها ثلاث مراتب:
أولها: في حق الله تعالى فتطهر من الشرك والنفاق والرياء فيوحده الله تعالى
ويخلص له العمل ويعتمد عليه ويعلق هذا القلب بربه تعالى.

وثانيها: في حق رسول الله ﷺ وهدية وشريعته فيتطهر ومن
البدعة والمخالفة لما جاء به ويتبع هديه وطريقته وسنته ولا يحيد عنها ولا يقدم
الأراء ولا الرجال ولا العادات ولا التقاليد ولا لأهواء ولا غيرها بل يكون
مقتفياً للهدي النبوي الكريم.

وثالثها: في حق الخلق فيتطهر من الخلق السيء والغل والحقد والحسد
والكراهية والمكر والكذب والبهتان وشهادة الزور ورمي المحصنات والفساد
على العباد والخلق جميعاً.

وَعَنْ طَرِيفِ أَبِي تَمِيمَةَ قَالَ: شَهِدْتُ جُنْدَبَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ الْبَجَلِيَّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -
وَهُوَ يُوصِي صَفْوَانَ بْنَ مُحَرَّزٍ وَأَصْحَابَهُ، فَقَالُوا: أَوْصِنَا، فَقَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ
اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: إِنَّ أَوَّلَ مَا يُتَنَبَّأُ مِنَ الْإِنْسَانِ بَطْنُهُ، فَمَنْ اسْتَطَاعَ أَنْ
لَا يَأْكُلَ إِلَّا طَيِّبًا فَلْيَفْعَلْ. ①

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: الْمَرْءُ عَلَى دِينِ
خَلِيلِهِ فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلُ. ②

ويتضمن إحسان العبد إلى نفسه أمور منها:

أولاً: معرفة قدرها ومنزلتها ومكانتها مع الله تعالى ومع عباد الله جل وعلا

(١) البخاري (٦٧٣٣).

(٢) صحيح الجامع (٣٥٤٥)، الصحيح (٩٢٧).

وأن الله تعالى أكرمها وشرفها وما أرسل الرسل وأنزل الكتاب ومن عليها بسائر النعم إلا من أجل إكرام هذه النفس.

ثانياً: تطهيرها وتنقيتها من جميع النجاسات الظاهرة والباطنة فإنها تضرها.

ثالثاً: تأديبها بآداب الشريعة الإسلامية السمحة ولا يجاوز بها من الأدب إلا هذا.

رابعاً: عدم ظلمها بالذنوب والمعاصي والسيئات والبدع والشركيات والخرافات.

خامساً: إلزامها الحق والعدل والقسط وتقوى الله تعالى.

سادساً: ألا يذلها إلا للذي خلقها ويجعلها تتواضع لعباد الله المؤمنين دون مذلة.

سابعاً: الإنفاق عليها والمحافظة عليها من الأمراض الحسية والمعنوية.

ثامناً: الرفق بها وعدم تكليفها ما لا تطيق من أمور الدين والدنيا والله تعالى قد أكرم العبد بذلك ولم يحاسبه على ما فيه مشقتها بل عفا وغفر **تَبَارَكَ وَتَعَالَى**.

تاسعاً: أن يحفظ عليها وقتها وأن يقبل بها على ربها تعالى.

عاشراً: أن يلزمها القناعة والنظر إلى ما عند الله فإن اشغالها بغير ما عند الله تعريضها للفساد.

سابعاً : إحسان العبد إلى والديه:

قال الله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَنًا ۚ إِنَّمَا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أَفٍ وَلَا نَهْرُهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا

كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ [الإسراء: ٢٣].

وعن عبد الله بن عمرو - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قال: أقبل رجل إلى نبيِّ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: أبايعك على الهجرة والجهاد، أبتغي الأجر من الله. قال: فهل من والديك أحد حيٍّ؟ قال: نعم، بل كلاهما. قال: أفتبتغي الأجر من الله؟ قال: نعم، قال: فارجع إلى والديك فأحسن صحبتهما. ^(١)

قال الله تعالى: ﴿وَإِنْ جَهَدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾ [لقمان: ١٥].

قال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ -:

فأحق الناس بعد الخالق المنان بالشكر والإحسان والتزام البر والطاعة له والإذعان من قرن الله بالإحسان إليه بعبادته وطاعته وشكره بشكره وهما الوالدان؛ فقال الله تعالى: ﴿أَنْ أَشْكُرَ لِي وَلَوْلَايَكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ﴾ [لقمان: ١٤]. ^(٢)

قال الرزاي - رَحِمَهُ اللَّهُ -:

أجمع أكثر العلماء على أنه يجب تعظيم الوالدين والإحسان إليهما إحسانا غير مقيد بكونهما مؤمنين لقوله تعالى: ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ ^(٣).

وقال الرزاي - رَحِمَهُ اللَّهُ -:

واعلم أن الإحسان إلى الوالدين هو أن يقوم بخدمتهما وألا يرفع صوته عليهما ولا يخشن في الكلام معهما ويسعى في تحصيل مطالبهما والانفاق عليهما بقدر القدرة من البر وأن لا يشهر عليهما سلاحا ولا يقتلها. ^(٤)

(١) البخاري (٥٩٧٢)، ومسلم (٢٥٤٩) واللفظ له.

(٢) الجامع لأحكام القرآن (١٨٣/٥).

(٣) فتح القدير (٢٥٩/٣).

(٤) مفاتيح الغيب (٧٧/١٠).

ويتضمن الإحسان إلى الوالدين أمور منها:

- أولاً: حسن القول لهم والتأدب بين أيديهم.
- ثانياً: أن ينتسب إليهم ويعتز بذلك.
- ثالثاً: أن يطيعهم في كل ما يأمران به في ما لم يكن فيه ضرر وفي غير معصية الله تعالى.
- رابعاً: خدمتهما وتلبية حاجتهما وعدم إعوازه لغير لا سيما عند الكبر.
- خامساً: توقيرهما والتذلل لهما ولين الجانب وخفض الجناح لهما.
- سادساً: استئذانهما في كل عمل لا سيما عند السفر.
- سابعاً: خفض الصوت عندهما ومخاطبتهما بلين.
- ثامناً: أن يحسن صحبتتهما وإدخال الفرح والسرور عليهما.
- تاسعاً: الدعاء لهما في حياتهما وبعد موتهما.
- عاشراً: أمرهما بالمعروف ونهيهما عن المنكر برفق ولين.
- الحادي عشر: شكرهما والاعتراف لهما بالفضل عليه.
- الثاني عشر: بر أقربائهما وأصدقائهما وجميع من كان يحبهما.
- الثالث عشر: البر بهما بعد الموت من الدعاء والصدقة وغيرها.
- الرابع عشر: ألا يطيعهما في معصية الله تعالى فإنه من الإحسان إليهما.
- الخامس عشر: أن يكثر من الاستغفار لهما بعد الموت وأن يقضي عنهما الدين والكفارات وغيرها.

السادس عشر: الأمر بالإحسان إليهما عام في جميع الأحوال. وخصصت حالة بلوغ أحدهما أو كليهما الكبر بالذكر، لأنها حالة الضعف وشدة الحاجة، ومظنة الملل والضجر منهما، وضيق الصدر من تصرفاتها.

السابع عشر: ألا يتسبب في سبهما وشتمهما بأن يسب أباء وأمهات الآخرين فيسبون والديه.

ثامناً : الإحسان بين الزوجين

قال الله تعالى: ﴿لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ﴾ إلى قوله: ﴿مَتَعَاً بِالْمَعْرُوفِ حَقّاً عَلَى الْمُحْسِنِينَ﴾ (٣١) [البقرة: ٢٣٦].

وقوله الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿الطَّلَاقُ مَرَّتَانٍ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَنٍ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئاً إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ (٣٢) [البقرة: ٢٢٩].

وقال الله تعالى: ﴿وَإِنْ أَمْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ وَإِنْ تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ (١٢٨) [النساء: ١٢٨].

وعن أبي موسى - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين: رجل من أهل الكتاب آمن بنبيّه، وأدرك النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فآمن به واتبعه وصدّقه فله أجران، وعبد مملوك أدّى حقَّ الله تعالى وحقَّ سيّده، فله أجران، ورجل له أمة فغذاها فأحسن غذاها، ثم أدبها فأحسن أدبها، ثم أعتقها وتزوَّجها فله أجران. (١)

(١) البخاري (٩٧)، مسلم (١٥٤) واللفظ له .

الإحسان

وعن سليمان بن عمرو بن الأحوص قال: حدّثني أبي، أنّه شهد حجة الوداع مع رسول الله ﷺ. فحمد الله وأثنى عليه، وذكر ووعظ. فذكر في الحديث قصّة فقال: ألا واستوصوا بالنساء خيراً، فإنما هنّ عوان عندهنّ ليس تملكون منهنّ شيئاً غير ذلك، إلّا أن يأتين بفاحشة مبينة، فإنّ فعلن فاهجروهنّ في المضاجع، واضربوهنّ ضرباً غير مبرّح، فإنّ أطعنكم فلا تبغوا عليهنّ سبيلاً. ألا إنّ لكم على نسائكم حقّاً، ولنسائكم عليكم حقّاً. فأما حقّكم على نسائكم فلا يوطئن فرشكم من تكرهون، ولا يأذنّ في بيوتكم لمن تكرهون. ألا وحقّهنّ عليكم أن تحسنوا إليهنّ في كسوتهنّ وطعامهنّ. (١)

عن ابن عباس - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ: قَالَ: النَّبِيُّ ﷺ -: أُرِيتُ النَّارَ فَإِذَا أَكْثَرُ أَهْلِهَا النِّسَاءُ يَكْفُرْنَ، قِيلَ أَيْكْفُرْنَ بِاللَّهِ قَالَ يَكْفُرْنَ الْعَشِيرَ، وَيَكْفُرْنَ الْإِحْسَانَ، لَوْ أَحْسَنْتَ إِلَى إِحْدَاهُنَّ الدَّهْرَ ثُمَّ رَأَتْ مِنْكَ شَيْئًا قَالَتْ مَا رَأَيْتُ مِنْكَ خَيْرًا قَطُّ. (٢)

عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: نَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ يَطْرُقَ الْمَرْءُ أَهْلَهُ لَيْلًا أَوْ يَخُونَهُمْ وَيَلْتَمِسَ عِثْرَاتِهِمْ. (٣)

قال الحافظ رَحِمَهُ اللَّهُ - (٤):

وفي الحديث الحث على التواد والتحاب خصوصاً بين الزوجين لأن الشارع راعى ذلك بين الزوجين مع اطلاع كل منهما على ما جرت به العادة بستره حتى إن كل واحد منهما لا يخفى عنه من عيوب الآخر شيء في الغالب ومع ذلك نهى عن الطروق لئلا يطلع على ما تنفر منه نفسه عنه فيكون مراعاة ذلك

(١) الترمذي (٣٠٨٧) وحسنه العلامة الألباني.

(٢) البخاري (٢٩) واللفظ له، ومسلم برقم (٩٠٧).

(٣) مسلم (١٨٤).

(٤) الفتاح (٣٤١ / ٩).

في غير الزوجين بطريق الأولى ويؤخذ منه أن الاستحداد ونحوه مما تتزين به المرأة ليس داخلاً في النهي عن تغيير الخلقة وفيه التحريض على ترك التعرض لما يوجب سوء الظن بالمسلم.

وعن أبي موسى - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: ثَلَاثَةٌ يُؤْتُونَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ:

رجل من أهل الكتاب آمن بنبيّه، وأدرك النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فآمن به واتبعه وصدّقه فله أجران، وعبد مملوك أدّى حقَّ الله تعالى وحقَّ سيّده، فله أجران، ورجل له أمة فغذاها فأحسن غذاها، ثم أدبها فأحسن أدبها، ثم أعتقها وتزوَّجها فله أجران. ^(١)

وَعَنْ ثَوْبَانَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: أَيُّهَا امْرَأَةُ سَأَلْتُ زَوْجَهَا طَلَاقَهَا مِنْ غَيْرِ بَأْسٍ، فَحَرَامٌ عَلَيْهَا رَائِحَةُ الْجَنَّةِ. ^(٢)

وَعَنْ ابْنِ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ أَعْظَمَ الذُّنُوبَ عِنْدَ اللَّهِ رَجُلٌ تَزَوَّجَ امْرَأَةً، فَلَمَّا قَضَى حَاجَتَهُ مِنْهَا، طَلَقَهَا وَذَهَبَ بِمَهْرِهَا، وَرَجُلٌ اسْتَعْمَلَ رَجُلًا، فَذَهَبَ بِأَجْرَتِهِ وَآخِرُ يَقْتُلُ دَابَّةً عَبَثًا. ^(٣)

ويتضمن الإحسان إلى الزوج أمور منها:

أولاً: طاعته مطلقاً فيما ليس فيه معصية لله تعالى أو مفسدة على الغير.

ثانياً: توقيره واحترامه وتعظيمه بما يجلب مودته وحبّه.

ثالثاً: التجميل والتزين له وإظهار المحاسن وإخفاء المعائب وسترها.

(١) البخاري (٩٧)، ومسلم (١٥٤).

(٢) صحيح ابن حبان (٤١٨٤) وإسناده صحيح.

(٣) صحيح الجامع (١٥٦٧)، الصّحيحة (٩٩٩).

- رابعاً: الإحسان إلى أهله لا سيما والديه واحترامهم وتوقيرهم.
 خامساً: أن تكون له عوناً في شؤون دينه ودنياه.
 سادساً: أن تعطيه من المال إن كان لها مال وهو محتاج.
 سابعاً: أن تشكر له خيره ومعروفه ولا تكفره لا سيما عند الغضب والنزاعات.
 ثامناً: أن تحفظه في نفسها وماله وولده وجميع شؤونه.
 تاسعاً: أن لا تتصرف في مالها أو في أعمالها إلا بإذنه واستشارته.

ويتضمن الإحسان إلى الزوجة أمور منها:

- أولاً: الارتباط بها وخطبتها من أهلها الخطبة الشرعية المعروفة.
 ثانياً: البناء بها على هدي رسول الله ﷺ دون معاصي ومخالفات.
 ثالثاً: معاشرتها بالمعروف والإحسان.
 رابعاً: التودد والتحبب لها ومراعاة مشاعرها.
 خامساً: تعليمها ما تحتاجه من أمر دينها.
 سادساً: الصبر عليها والحلم عن خطائها والتجاوز عنه.
 سابعاً: مساعدتها في شؤون البيت إذا احتاجت لذلك.
 ثامناً: عدم المشقة عليها في العمل والعشرة وغيرها.
 تاسعاً: النفقة عليها بالمعروف والتوسعة عليه أفضل.
 عاشراً: إعطائها مهرها وصداقها كاملاً.
 الحادي عشر: عدم الإضرار بها إذا كرهها وأراد طلاقها.
 الثاني عشر: الرحمة بها في غربتها ومرضها وغير ذلك.

الثالث عشر: عدم سبها وشتمها وضربها المبرح والهجر الذي ليس له مبرر.

الرابع عشر: التوسع عليها بالطعام والشراب لا سيما عند حملها وولادتها ورضاعها.

الخامس عشر: عدم التضييق عليها بزيارة أهلها والإحسان إليهم.

السادس عشر: الإحسان إلى أهلها وزيارتهم وبذل الخير والمعروف لهم.

السابع عشر: العدل بينها وبين ضرائرها ومراعاة شعورهن جميعاً.

الثامن عشر: الغيرة عَلَيْهَا فلا يعرضها للشبهة ولا يتساهل معها فيما يؤدي الشرف والمروءة ولا يعرضها لألسنة السوء والتساهل في هذا قبيح يعد من سَفْسَافِ الْأَخْلَاقِ لما يجره من الشقاء لها وللأسرة ولزوجها لا سيما التبرج والاختلاط بالرجال والتساهل في ذلك.

التاسع عشر: أن يتفقدوها بالهدايا التي تسرها وتحبها إليه.

تاسعاً : إحسان العبد إلى أولاده وذريته:

الأطفال زينة الحياة وزهرتها، وعماد الأمة في المستقبل واساس مستقبلها، وآمال الشعوب في استعادة مجدها وكرامتها، والاطفال ريحانة القلوب وبهجة النفوس، فطالما تشوقت القلوب لرؤيتهم وانشرحت الصدور لوجودهم، واستبشرت الأرواح باستقبالهم، فسبحان من صورهم في الأرحام وجعل خلقهم اية تدل على بقاء نوع الإنسان وان اصل خلقه من طين وان الذي خلقه قادر على بعثه بعد الممات يقين وفي الذكر الحكيم: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنٰكُمْ مِّنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنَبِّئَنَّ لَكُمْ وَنُقَرَّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً﴾ [الحج: ٥]. ويعتبر الطفل انسانا يحترم في دمه وماله وعرضه

فقد سواه الله واحياه وجعله زينة للحياة. (١)

وعن أبي هريرة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قال: قَبِلَ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - الحسن بن عليٍّ وعنده الأقرع بن حابس التميمي جالسا، فقال الأقرع: إِنَّ لي عشرة من الولد ما قَبِلْتُ منهم أحدا، فنظر إليه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ثم قال: من لا يرحم لا يرحم. (٢)

وعن عائشة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - قالت: جاءني امرأة معها ابنتان تسألني، فلم تجد عندي غير تمر واحدة، فأعطيتها، فقسمتها بين ابنتيها، ثم قامت فخرجت، فدخل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فحدثته. فقال: من يلي من هذه البنات شيئا فأحسن إليهن كنَّ له سترا من النار. (٣)

وَعَنْ كَعْبِ بْنِ عُجْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: مَرَّ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - رَجُلٌ، فَرَأَى أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - مِنْ جَلَدِهِ وَنَشَاطِهِ مَا أَعْجَبَهُمْ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَوْ كَانَ هَذَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: وَمَا سَبِيلُ اللَّهِ إِلَّا مَنْ قَتَلَ؟ إِنْ كَانَ خَرَجَ يَسْعَى عَلَى وَلَدِهِ صَغَارًا، فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَإِنْ كَانَ خَرَجَ يَسْعَى عَلَى أَبَوَيْنِ شَيْخَيْنِ كَبِيرَيْنِ، فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَإِنْ كَانَ يَسْعَى عَلَى نَفْسِهِ يُعْفِهَا، فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَإِنْ كَانَ خَرَجَ يَسْعَى رِيَاءً وَتَفَاخُرًا، فَهُوَ فِي سَبِيلِ الشَّيْطَانِ. (٤)

وعن سمرة بن جندب - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عن النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أنه قال: كل غلام رهينة بعقيقته، تذبح عنه يوم سابعه، وَيُسَمَّى فِيهِ، وَيُحْلَقُ رَأْسُهُ. (٥)

(١) صيد الأفكار (٢/ ٣٦١).

(٢) البخاري (٥٩٩٧) واللفظ له ومسلم (٢٣١٨).

(٣) البخاري (٥٩٩٥) واللفظ له، ومسلم (٢٦٢٩).

(٤) صحيح الترغيب والترهيب (١٦٩٢).

(٥) رواه أحمد (٢٠٠٨٣) وصححه العلامة الألباني في صحيح سنن أبي داود، (٢٨٣٨).

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ: أَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِتَسْمِيَةِ الْمَوْلُودِ يَوْمَ سَابِعِهِ، وَوَضَعَ الْأَذَى عَنْهُ، وَالْعَقَّ. (١)

وعن ابن عمر - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ: قَالَ: رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : إِنَّ أَحَبَّ أَسْمَائِكُمْ إِلَى اللَّهِ: عَبْدُ اللَّهِ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ. (٢)

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وُلْدِي اللَّيْلَةُ غُلَامٌ، فَسَمَّيْتُهُ بِأَسْمِ أَبِي إِبْرَاهِيمَ ثُمَّ دَفَعَهُ إِلَى أُمِّ سَيْفٍ - امْرَأَةٍ قَيْنٍ يُقَالُ لَهُ: أَبُو سَيْفٍ. (٣)

وقال الله تعالى: ﴿وَالْوَلَدَاتُ يُرْضَعْنَ أَوْلَدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٣٣].

وعن أبي هريرة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : أَفْضَلُ الصَّدَقَةِ مَا تَرَكَ غَنًى، وَالْيَدُ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنَ الْيَدِ السُّفْلَى، ابْدَأْ بِمَنْ تَعُولُ، تَقُولُ الْمَرْأَةُ: إِمَّا أَنْ تُطْعَمَنِي وَإِمَّا تُطَلِّقَنِي، وَيَقُولُ الْعَبْدُ: أَطْعَمَنِي وَاسْتَعْمَلَنِي، وَيَقُولُ الْإِبْنُ: أَطْعَمَنِي، إِلَى مَنْ تَدْعُنِي. (٤)

وعن ثوبان - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - مَوْلَى رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَفْضَلُ دِينَارٍ يُنْفَقُهُ الرَّجُلُ عَلَى عِيَالِهِ، وَدِينَارٌ يُنْفَقُهُ عَلَى فَرَسِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَدِينَارٌ يُنْفَقُهُ عَلَى أَصْحَابِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، قَالَ أَبُو قَلَابَةَ: بَدَأَ بِالْعِيَالِ ثُمَّ قَالَ أَبُو قَلَابَةَ: أَيُّ رَجُلٍ أَعْظَمُ أَجْرًا مِنْ رَجُلٍ يُنْفِقُ عَلَى عِيَالٍ صِغَارٍ، يَعْفَهُمُ اللَّهُ

(١) الترمذي (٢٨٣٢) بسند صحيح.

(٢) مسلم (٢١٣٢).

(٣) مسلم (٢٣١٥).

(٤) البخاري (٥٣٥٥).

أو ينفعهم الله به ويغنيهم. (١)

وقال الله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُوًا أَنفُسُكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحریم: ٦].

وقال - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : مُرُوا أَبْنَاءَكُمْ بِالصَّلَاةِ لَسَبْعٍ، وَاضْرِبُوهُمْ عَلَى تَرْكِهَا لِعَشْرٍ، وَفَرِّقُوا بَيْنَهُمْ فِي الْمَضَاجِعِ. (٢)

وقد قال - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لعمر بن أبي سلمة عندما رآه يأكل وتطيش يده في الصفحة: يَا غُلَامُ سَمَّ اللَّهُ، وَكُلْ بِيَمِينِكَ، وَكُلْ مِمَّا يَلِيكَ (٣).

وكان علي بن الحسين يعلم ولده التوحيد فيقول له قل: آمنت بالله وكفرت بالطاغوت. (٤)

وقال ابن عمر - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - لرجل: يا هذا أحسن أدب ابنك؛ فإنك مسؤول عنه، وهو مسؤول عن برك. (٥)

وعن النعمان بن بشير - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أن أباه أتى به إلى رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فقال: إني نَحَلْتُ ابني هذا غلاماً، فقال: أَكُلَ وَلَدِكَ نَحَلْتُ مِثْلَهُ؟ قال: لا، قال: فَارْجِعْهُ. (٦)

عن إبراهيم - رَحِمَهُ اللَّهُ - قال: كانوا يستحبون أن يسووا بين أولادهم حتى في القَبْلِ. (٧)

(١) مسلم (٩٩٤).

(٢) أبو داود (٤٩٥) صحيح.

(٣) البخاري (٥٣٧٦)، مسلم (٢٠٢٢).

(٤) مصنف ابن أبي شيبة (٣٥١٥).

(٥) موسوعة ابن أبي الدنيا (٧٨/٨).

(٦) البخاري (٢٨٥٦)، مسلم (١٦٢٣).

(٧) موسوعة ابن أبي الدنيا (٨/٢٤).

وَعَنْ أَنَسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - مِنْ أَرْحَمِ النَّاسِ
بِالصَّبِيَّانِ وَالْعِيَالِ. ^(١)

وعن نافع قال: كان ابن عمر - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - إذا لقي ابنه سالماً قبَّله، ويقول:
شيخ يقبل شيخاً. ^(٢).

عن الحسن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أنه دخل منزله، وصبيان يلعبون فوق البيت، فنهاهم
رجل معه، فقال الحسن: دعهم فإن اللعب ربيعهم. ^(٣).

قال النخعي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - لابن بنان العكي: هؤلاء أولادك؟ قال: نعم. قال:
اتق الله لا يرونك حيث هناك الله تعالى فتسقط من أعينهم. ^(٤)

ترجو الصغير وقد أعيأك والده وما رجاوك بعد الوالد الولدا
وقال الفرزدق:

ترجّي ربيع أن تجيء صغارها بخير وقد أعيأ ربعا كبارها
وقيل:

أتريد طفلك صالحاً فحواه؟ وتروم تبصره كما تهواه
أقم الشريعة فيك أنت وكن لها فالطفل ينشأ مثلها أبواه

(١) صَحِيحُ الْجَامِعِ (٤٧٩٧).

(٢) موسوعة ابن أبي الدنيا (٨/ ٤٤).

(٣) موسوعة ابن أبي الدنيا (٨/ ١٣١).

(٤) تاريخ بغداد (٦/ ٥٢٢).

وقال فضيل بن عياض: رأى مالك بن دينار **رَحْمَةُ اللَّهِ** رجلاً يُسيء صلاته، فقال: ما أرحمني لعياله. فقليل له: يسيء هذا صلاته وترحم عياله؟ قال: إنه كبيرهم ومنه يتعلمون. ^(١).

فلا تظن أن التربية هي طوعية وتطويع كما أنها ليست تعليماً وتحفيظاً فقط بل هي أعظم من هذا - وهذا جانب يغفل عنه كثير من الأباء لا سيما الدعاة إلى الله، فالتربية ترجمة لما يشعر به ولدك نحوك أو هي القيم التي يراها ولدك فيك يلتقطها الطفل بسرعة شديدة وحساسية قوية ويتمسك بها طيلة حياته. افعل أمام ولدك ماتحب أن يفعله ولدك ولا تتناقض بين قولك وفعلك فإذا حققت ذلك فقد ربيت حقاً وإن لم تفعل فما ربيت وإن بذلت ما بذلت في تعليمه وتوجيهه.

القدوة أهم مسالك التربية على الإطلاق ركز على الكلمات التي يتلفظ بها أبناؤك عندما يغضبون ستجد أن أغلبها هي الكلمات التي تستخدمها أنت عندما تغضب هذا مثلاً لا غير وكم من الأشياء التي تقع من الأبناء منشأها الأباء.

والدعا للولد من أهم أسس التربية إذ الهداية والصلاح بيد الله تعالى فمن الأنبياء من كان ولده عاصياً مع أنه من أعظم المصلحين والمرين ولكن الأمر لله من قبل ومن بعد.

فيكون الدعاء له قبل مجيئه وبعد مجيئه ودليل ذلك قول الله تعالى عن زكريا: ﴿هَٰذَا لَكَ دُعَاؤُكَ رَبَّكَ يَقُولُ بِهَا لَوْلَا رَبُّ هَٰذَا لَإِنَّا لَكَاذِبُونَ ۖ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً ۚ إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ ۝٣٨ فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيحْيَىٰ مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ ۝٣٩﴾ [آل عمران : ٣٩].

(١) صفة الصفوة (٣/ ٢٠٤).

والدعاء بعد مجيئه باب واسع أن يحوطه بالدعاء في كل جوانب التربية وهو من أعظم أسباب أعانة الوالد لولده في الدنيا والأخرى ، قال الله تعالى: ﴿ إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ (٣٥) فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذَرَيْتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾ [آل عمران : ٣٥-٣٦].

سأل معاوية بن أبي سفيان - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - الأحنف بن قيس: كيف زيّك مع أهلك؟ قال: اعفني يا أمير المؤمنين. قال: عزمت عليك لتفعلن، قال: أحسن الخلق، وأظهر البشر، وأوسع النفقة فإن المرأة خلقت من ضلع أعوج. قال: فكيف زيّك إذا أردت مباذعتها؟ قال: من هذا استعفيتك، قال: نشدتك لما قلت، قال: أكلمها حتى تنشط، وألثمها حتى تطرب، فإذا كان الذي تعلم طرحت على ظهري وقاية تقيني، فإذا استقرت النطفة في قرارها قلت: اللهم اجعلها ميمونة مباركة ولا تجعلها شقيّة مشاركة، وصوّرها أحسن صورة، ثم أقوم إلى الوضوء فأفيض الماء على يدي وترا، ثم أصبّه على جسدي مسبغا، ثم أحمد الله على ما أعطاني من النعمة السابغة والحلال الطيب. قال له معاوية: لقد أحسنت الجواب...^(١)

وعن عروة بن الزبير رَحِمَهُ اللَّهُ - أنه كان يقول لبنيه:

أي بنيّ هلموا فتعلموا فإنكم توشكوا أن تكونوا كبار قوم، وإني كنت صغيراً لا يُنظر إليّ، فلما أدركت من السن ما أدركت جعل الناس يسألوني، وما أشد على امرئ أن يُسأل عن شيء من أمر دينه فيجهله.^(٢)

وعن الربيع بنت معوذ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - قالت: أرسل النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -

(١) التذكرة الحمدونية (١/٣٧٣).

(٢) موسوعة ابن أبي الدنيا (٨/١٣٣).

غداة عاشوراء إلى قرى الأنصار: من أصبح مفطراً فليتم بقية يومه، ومن أصبح صائماً فليصم، قالت: فكنا نصومه بعد، ونصوم صبياننا، ونجعل لهم اللعبة من العهن، فإذا بكى أحدهم على الطعام أعطيناه ذاك حتى يكون عند الإفطار. (١).

وَعَنْ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: دَخَلْتُ مَعَ أَبِي بَكْرٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عَلَى أَهْلِهِ أَوَّلَ مَا قَدِمَ الْمَدِينَةَ فَإِذَا عَائِشَةُ ابْنَتُهُ مُضْطَجِعَةٌ قَدْ أَصَابَتْهَا حُمَّى فَاتَّاهَا أَبُو بَكْرٍ فَقَالَ لَهَا: كَيْفَ أَنْتِ يَا بِنْتِي؟، وَقَبِلَ خَدَّهَا. (٢)

بُوبُ الْإِمَامِ الْبُخَارِيِّ - رَحِمَهُ اللَّهُ -: بَابُ إِنْكَاحِ الرَّجُلِ وَلَدَهُ الصَّغَارِ.
وَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -: زَوْجُوا أَوْلَادَكُمْ إِذَا بَلَغُوا وَلَا تَحْمِلُوا أَثَامَهُمْ. (٣)

وَقَالَ قَتَادَةُ بْنُ دَعَامَةَ السَّدُوسِيِّ - رَحِمَهُ اللَّهُ -: إِذَا بَلَغَ الْغُلَامُ فَلَمْ يَزُوجْهُ أَبُوهُ فَأَصَابَ فَاحِشَةَ أَثَمِ الْأَبِ. (٤)

وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا -: مِنْ رَزَقَهُ اللَّهُ وَلَدًا فَلْيَحْسِنْ اسْمَهُ وَتَأْدِيبَهُ فَإِذَا بَلَغَ فَلْيَزُوجْهُ. (٥)

وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ الْعَاصِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -: إِذَا عَلِمْتَ وَلَدِي الْقُرْآنَ وَحَجَّجْتَهُ وَزَوْجَتَهُ فَقَدْ قَضَيْتَ حَقَّهُ وَبَقِيَ حَقِّي عَلَيْهِ. (٦)

(١) البخاري (١٩٦٠)، مسلم (١١٣٦).

(٢) البخاري (٣٧٠٤).

(٣) مناقب عمر لابن الجوزي (١٧٩).

(٤) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب العيال (١/ ١٧٥).

(٥) المصدر السابق (١/ ٤٤٣).

(٦) المصدر السابق (١/ ٣٣١).

وقال سفيان الثوري - رَحِمَهُ اللهُ -: كان يقال حق الولد على ولده أن يحسن اسمه وأن يزوجه إذا بلغ وأن يحججه وأن يحسن اسمه. ^(١)

فالإحسان إلى الأبناء والذرية لها جوانب كثيرة منها:

أولاً: اختيار الزوجة الصالحة.

ثانياً: أن يعق عنه ويحسن اسمه.

ثالثاً: أن يحسن الرضاعة والحضانة والإنفاق عليهم من طعام وشراب وكساء وغيره.

رابعاً: أن يحسن تعليمهم وتهذيبهم بدين الله تعالى.

خامساً: العدل بين أولاده دون تمايز.

سادساً: الرفق بهم والشفقة عليهم ومحبتهم والتودد لهم.

سابعاً: الصبر على أذاهم ومشاغباتهم.

ثامناً: ملاطفتهم ومداعبتهم وعدم القسوة عليهم.

تاسعاً: أن يكون لهم قدوة حسنة يقتدون به.

عاشراً: الدعاء لهم في وجوههم وظهر الغيب.

الحادي عشر: أن يوسع عليهم من النعم التي من الله تعالى بها عليه.

الثاني عشر: تشجيعهم على فعل الخير والإحسان وبذله في وجوهه.

الثالث عشر: تقبيله ومعانقته وشمه وضمه وحنوه عليه.

الرابع عشر: تزويج من احتاج إلى ذلك.

(١) المصدر السابق (١/ ٣٣٢).

عاشراً : إحسان العبد إلى قرابته:

وإن الإحسان إلى الوالدين ابتداءً بهما لأنهما رأس الأسرة، وهما أصل تكوينها، فمنهما تتشعب، وتمتد من الأصول إلى الفروع ثم إلى الحواشي؛ ولذلك كان الإحسان واجبا لكل من يربطهم بهما رحم، وذكر الإحسان إلى ذوي القربى، فكان الميثاق الإنساني العالي الذي أخذه الله تعالى على بني إسرائيل فقال الله تعالى: ﴿وَذِي الْقُرْبَىٰ﴾ [البقرة: ٨٣]. والقربى مؤنث أقرب، والمعنى أن بعد الوالدين ذو القربى، صاحب القرابة الأقرب مرتبة الأقرب فالأقرب.

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ: رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُمَدَّ لَهُ فِي عُمُرِهِ، وَأَنْ يُزَادَ لَهُ فِي رِزْقِهِ، فَلْيَبِرَّ وَالِدَيْهِ وَلْيَصِلْ رَحْمَهُ. ^(١)

وَعَنْ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - قَالَتْ: قَالَ: رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: صَلَّةُ الرَّحِمِ، وَحُسْنُ الْخُلُقِ، وَحُسْنُ الْجَوَارِ، يَعْمُرَانِ الدِّيَارَ، وَيَزِيدَانِ فِي الْأَعْمَارِ. ^(٢)

وَعَنْ عَمْرِو بْنِ سَهْلٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ: رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: تَعَلَّمُوا مِنْ أُنْسَابِكُمْ مَا تَصِلُونَ بِهِ أَرْحَامَكُمْ، فَإِنَّ صَلَّةَ الرَّحِمِ مَحَبَّةٌ فِي الْأَهْلِ، مَثْرَاءٌ فِي الْمَالِ، مَنَسَاءَةٌ فِي الْأَثَرِ. ^(٣)

وقال الله تعالى: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ

﴿٢٢﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَرَهُمْ﴾ [محمد: ٢٢-٢٣].

وعن أبي هريرة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أن رجلاً جاء إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وقال: إن لي قرابة أصلهم ويقطعونني وأحسن إليه ويسبئون إلي وأحلم عنهم ويجهلون علي، فقال: لئن كنت قلت فكأنما تسفهم المل، ولا يزال معك من الله ظهير

(١) البخاري (٥٦٣٩)، مسلم (٢٥٥٧).

(٢) الصَّحِيحَةُ (٥١٩)، صَحِيحُ التَّرْغِيبِ وَالتَّوْبِ (٢٥٢٤).

(٣) صَحِيحُ الْجَامِعِ (٢٩٦٥)، الصَّحِيحَةُ (٢٧٦).

عليهم ما دمت على ذلك .^(١)

وَعَنْ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ: رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: - لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَاطِعٌ رَحِمٍ .^(٢)

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ: رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: - إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ الْخَلْقَ فَلَمَّا فَرَّغَ مِنْهُمْ قَامَتْ الرَّحِمُ فَأَخَذَتْ بِحَقْوِ الرَّحْمَنِ فَقَالَتْ: مَاذَا مَقَامُ الْعَائِدِ مِنَ الْقَطِيعَةِ، قَالَ: نَعَمْ، أَمَا تَرْضَيْنَ أَنْ أَصِلَ مَنْ وَصَلَكِ، وَأَقْطَعَ مَنْ قَطَعَكِ؟، قَالَتْ: بَلَى يَا رَبِّ قَالَ: فَذَلِكَ لَكَ ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: اقْرَءُوا إِن شِئْتُمْ: ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطَّعُوا أَرْحَامَكُمْ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَرَهُمْ ﴾ [محمد: ٢٢-٢٣] .^(٣)

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ: رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: - إِنَّ الرَّحِمَ شَجَنَةٌ مِنَ الرَّحْمَنِ - عَزَّجَلْ - تَحْيِيءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَهَا لِسَانًا طَلِقٌ ذَلْقُ تَقُولُ: يَا رَبِّ، إِنِّي قُطِعْتُ، يَا رَبِّ، إِنِّي ظَلَمْتُ، يَا رَبِّ، إِنِّي أَسِيءُ إِلَيْكَ، يَا رَبِّ، يَا رَبِّ، قَالَ: فَيُجِيبُهَا رَبُّهَا - عَزَّجَلْ -: أَمَا تَرْضَيْنَ أَنْ أَصِلَ مَنْ وَصَلَكِ، وَأَقْطَعَ مَنْ قَطَعَكِ؟ .^(٤)

الشَّجَنَةُ عُرُوقُ الشَّجَرِ الْمُشْتَبِكَةِ، وَالشَّجَنُ وَاحِدُ الشُّجُونِ، وَهِيَ طُرُقُ الْأَوْدِيَةِ، وَمِنْهُ قَوْلُهُمْ: الْحَدِيثُ ذُو شُجُونٍ أَيُّ: يَدْخُلُ بَعْضُهُ فِي بَعْضٍ .^(٥)

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ: رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: - إِنَّ أَعْمَالَ بَنِي آدَمَ تُعْرَضُ كُلَّ خَمِيسٍ لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ، فَلَا يَقْبَلُ عَمَلٌ قَاطِعٍ رَحِمٍ .^(٦)

(١) مسلم (٢٥٥٨).

(٢) مسلم (٢٥٥٦).

(٣) البخاري (٤٥٥٢)، مسلم (٢٥٥٤).

(٤) البخاري (٥٦٤٢).

(٥) الفتح (ج ١٧ / ص ١١٥).

(٦) صحيح الترغيب والترهيب: (٢٥٣٨).

الإحسان

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَيْسَ الْوَاصِلُ بِالْمُكَافِي وَلَكِنَّ الْوَاصِلَ الَّذِي إِذَا قُطِعَتْ رَحْمُهُ وَصَلَّهَا . (١)

وَعَنْ أَبِي بَكْرَةَ نَفِيعِ بْنِ الْحَارِثِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَا مِنْ ذَنْبٍ أَجْدَرُ أَنْ يُعَجَّلَ اللَّهُ لَصَاحِبِهِ الْعُقُوبَةَ فِي الدُّنْيَا، مَعَ مَا يَدَّخِرُ لَهُ فِي الْآخِرَةِ، مِنَ الْبَغْيِ وَقَطِيعَةِ الرَّحِمِ وَالْخِيَانَةِ وَالْكَذِبِ . (٢)

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ لَا يَنْهَكُكُمْ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾ [الممتحنة: ٨] .

وَعَنْ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ جَهَارًا غَيْرَ سِرٍّ: إِنَّ آلَ أَبِي فَلَانٍ لَيْسُوا بِأَوْلِيَائِي، إِنَّمَا وَلِيِّيَ اللَّهُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ، وَلَكِنْ لَهُمْ رَحِمٌ سَابَلُهَا بَبَلَاهَا ، يَعْنِي: أَصْلُهَا بِصِلَتِهَا.. (٣)

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: بُلُّوا أَرْحَامَكُمْ - أَي: صَلُّوا - وَلَوْ بِالسَّلَامِ . (٤)

ويتضمن إحسان العبد إلى قرابته:

أولاً: الدعاء لهم بالخير ودفع الشر عنهم.

ثانياً: التوقير والتعظيم لهم والتحدث والكلام معهم بأدب واحترام.

ثالثاً: أمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر وتذكيرهم بما ينفعهم.

رابعاً: مواساتهم وتقديم المساعدة بما يحتاجونه لهم.

(١) البخاري (٥٦٤٥).

(٢) صحيح الجامع (٥٧٠٥)، صحيح الترغيب والترهيب (٢٥٣٧).

(٣) البخاري (٥٩٩٠)، مسلم (٢١٥).

(٤) صحيح الجامع (٢٨٣٨)، والصحيح (١٧٧٧).

خامساً: السؤال عنهم وتفقد حاجاتهم.

سادساً: الوقوف بجانبهم عند المحن والبلاءات.

سابعاً: صلتهم وتعاهدهم بالزيارة.

الحادي عشر: إحسان العبد إلى رعيته:

قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [البقرة: ٣٠].

وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى -: ﴿يٰۤاٰدَمُ اِنَّا جَعَلْنٰكَ خَلِيفَةً فِى الْاَرْضِ فَاٰمُرُكَ بِالنَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوٰى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيْلِ اللّٰهِ﴾ [ص: ٢٦].

قال العلامة الماوردي - رَحِمَهُ اللهُ -:

اعلموا - أرشدكم الله - أن في وجود السلطان في الأرض حكمة لله تعالى عظيمة ونعمة على العباد جزيلة، لأن الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** جبل الخلائق على حب الانتصاف وعدم الإنصاف، ومثلهم بلا سلطان كمثل الحوت في البحر يزدرد الكبير الصغير، فمتى لم يكن لهم سلطان قاهر لم ينتظم لهم أمر ولم يستقر لهم معاش ولم يتهنوا بالحياة. ولهذا قال بعض القدماء: لو رفع السلطان من الأرض ما كان لله في أهل الأرض من حاجة. ومن الحكم التي في إقامة السلطان: إنه من حجج الله تعالى على وجوده **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، ومن علاماته على توحيده، لأنه كما لا يمكن استقامة أمر العالم واعتداله بغير مدبر ينفرد بتدبيره، كذلك لا يتوهم وجوده وتدبيره وما فيه من الحكمة ودقائق الصنعة بغير خالق خلقه وعالم ألقنه وحكيم دبره، وكما لا يستقيم سلطانان في بلد واحد لا يستقيم إلهان للعالم، والعالم بأسره في سلطان الله تعالى كالبلد الواحد في يد سلطان

الأرض. (١)

فالحاكم والوالي والأمير والأزواج والنساء وغيرهم من أصحاب الولايات العامة والخاصة يجب عليهم الإحسان إلى م كانوا تحت يده وهذا امر واسع كما تفهم من خلال ما تقدم والواقع ويجب الإحسان إليهم.

قال الإمام أبو يعلى الحنبلي - رَحْمَةُ اللَّهِ - في الأحكام السلطانية:

ويلزم الإمام من أمور الأمة عشرة أشياء:

أحدها: حفظ الدين على الأصول التي أجمع عليها سلف الأمة، فإن زاع ذو شبهة عنه، بين له الحجة، وأوضح له الصواب، وأخذه بما يلزمه من الحقوق والحدود، ليكون الدين محروسا من الخلل، والأمة ممنوعة من الزلل.

الثاني: تنفيذ الأحكام بين المتشاجرين، وقطع الخصام بينهم، حتى تظهر النصفة، فلا يتعدى ظالم، ولا يضعف مظلوم.

الثالث: حماية البيضة، والذب عن الحوزة، ليتصرف الناس في المعاش، وينتثروا في الأسفار آمنين.

الرابع: إقامة الحدود لتصان محارم الله تعالى عن الإنتهاك، وتحفظ حقوق عباده من إتلاف واستهلاك، ونصب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر للأخذ على يد المفسدين، وقطع دابر المجرمين.

الخامس: تحصين الثغور بالعدة المانعة، والقوة الدافعة، حتى لا تظفر الأعداء بغرة، ينهكون بها محرما، ويسفكون فيها دما لمسلم أو معاهد.

السادس: جهاد من عاند الإسلام بعد الدعوة، حتى يسلم أو يدخل في الذمة.

(١) سراج الملوك (٤٧).

السابع: جباية الفياء والصدقات على ما أوجه الشرع نصا واجتهادا من غير عسف.

الثامن: تقدير العطاء، وما يستحق في بيت المال من غير سرف، ولا تقصير فيه، ودفعه في وقت لا تقديم فيه ولا تأخير.

التاسع: إستكفاء الأمانة وتقليد النصحاء فيما يفوضه إليهم من الأعمال، ويكله إليهم من الأموال لتكون الأعمال مضبوطة، والأموال محفوظة.

العاشر: أن يباشر بنفسه مشاركة الأمور، وتصفح الأحوال، ليهتم بسياسة الأمة وحراسة الملة، ولا يعول على تفويض تشاغلا بلذة أو عبادة، فقد يخون الأمين ويغش الناصح، وقد قال الله تعالى: ﴿يَدَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ يَوْمَ الْحِسَابِ﴾ [ص: ٢٦] ، فلم يقتصر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ على التفويض دون المباشرة، وقد قال النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته. ^(١)

وهذه الأمور لأن كانت في الوالي العام فإن أكثرها لا تنفك عن الوالي الخاص كلاً بحسبه نسأل الله تعالى التوفيق.

وعن أبي ذر - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قال: قال: رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إخوانكم جعلهم الله فتيه تحت أيديكم فمن كان أخوة تحت يده فليطعمه من طعامه وليلبسه من لباسه ولا يكلفه ما يغلبه فإن كلفه ما يغلبه فليعنه. ^(٢)

وعن أبي مسعود الأنصاري - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قال: كنت أضرب مملوكا لي فسمعت

(١) انظر: الأحكام السلطانية للفراء (١١) والأحكام السلطانية للماوردي (١٥) والحديث في الصحيحين عن ابن عمر.

(٢) سنن الترمذي (١٩٤٥) قال الألباني: صحيح.

قائلاً من خلفي يقول: اعلم أبا مسعود اعلم أبا مسعود فالتفت فإذا أنا برسول الله ﷺ فقال: الله أقدر عليك منك عليه ، قال أبو مسعود: فما ضربت مملوكاً لي بعد ذلك اليوم. ^(١)

وعن عبد الله بن عمر - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال يا رسول الله كم أعفو عن الخادم؟ فصمت رسول الله ﷺ ثم قال يا رسول الله كم أعفو عن الخادم؟ فقال كل يوم سبعين مرة. ^(٢)

عن أم سلمة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - قالت: كان رسول الله ﷺ يقول في مرضه: الصلاة الصلاة وما ملكت أيمانكم. ^(٣)

والله ما حلي الإمام بحلية أبهى من الإحسان والإنصاف
فلسوف يلقي في القيامة فعله ما كان من كدر أتاه وصافي

ويتضمن الإحسان إلى الرعية أمور منها:

أولاً: إقامة العدل والقسط بينهم وعدم تجاوز ذلك إلى الظلم أو التفريط في العدل.

ثانياً: مشاورتهم في الأمور التي بها صلاحهم.

ثالثاً: الرفق بهم والشفقة عليه وعدم تحميلهم ما لا يجوز ولا يثقلونه.

رابعاً: توفير الأمن لهم وإحلال السكينة بينهم.

خامساً: ردع ظالمهم وتوقيف عالمهم والحلم عن سفيهم وتعليم جاهلهم.

(١) سنن الترمذي (١٩٤٨) صحيح.

(٢) سنن الترمذي (١٩٤٩) صحيح.

(٣) صحيح الجامع (٤٦١٦).

سادساً: العفة عن أموالهم وأعراضهم وأراضيهم وجميع ممتلكاتهم.

سابعاً: تيسير أمورهم وتأديتها بما يرضي الله تعالى.

ثامناً: إقامة الحدود على من يستحق ذلك دون تمييز بينهم.

تاسعاً: أن يحكمهم بكتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ.

عاشراً: حفظ مصالحهم الدينية والدنيوية.

الحادي عشر: اختيار البطانة الصالحة والأعوان الذين يكونون عوناً له على

تأدية حقوق الرعية.

الثاني عشر: معاملتهم بكل خلق حسن بما يرجى نفعه وكل شيء بحسبه.

الثالث عشر: عدم التجسس عليهم وتتبع عثراتهم.

الرابع عشر: عدم الاحتجاب عنهم وعن حاجتهم ومصالحهم.

الخامس عشر: أن ينصح لهم في دينهم ودنياهم.

الثاني عشر: إحسان العبد إلى جيرانه:

اعلم وفقنا الله وإياك لما يحبه ويرضاه أن للجار على جاره حق عظيم في الأديان كلها والشرائع والأوضاع كافة، والعرب كانوا يعظمون حق الجار ويحترمون الجوار في الجاهلية قبل الإسلام، ويعتزون ببناء الجار عليهم ويفخرون بذلك، والضعيف إذا جاور القوي صار قوياً بإذن الله، له ما لهم وعليه ما عليهم، وحين جاء الإسلام أعزه الله وأكد حق الجوار وحث عليه وجعله بعد القرابة وكاد يورثه.^(١) وقد دلت الأدلة في الكتاب والسنة على وجوب الإحسان إلى الجيران وإكرامهم وعدم إيذائهم.

(١) موارد الضمان لدروس الزمان (٣/ ٤٨٨).

الإِحْسَانُ

قال الله تعالى: ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ﴾ [النساء: ٢٦]، وقال النبي ﷺ: من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره. (١)

وقال ﷺ: ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه. (٢)
وعن أبي شريح قال: إن النبي ﷺ قال: والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، قيل: من يا رسول الله؟ قال: الذي لا يأمن جاره بوائقه. (٣)
وعن نافع بن عبد الحارث - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: - مِنْ سَعَادَةِ الْمَرْءِ الْمُسْلِمِ: الْمَسْكَنُ الْوَاسِعُ، وَالْجَارُ الصَّالِحُ، وَالْمَرْكَبُ الْهَنِيءُ. (٤)
وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: خَيْرُ الْأَصْحَابِ عِنْدَ اللَّهِ خَيْرُهُمْ لِصَاحِبِهِ، وَخَيْرُ الْجِيرَانِ عِنْدَ اللَّهِ خَيْرُهُمْ لِجَارِهِ. (٥)
وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، دُلَّنِي عَلَى عَمَلٍ إِذَا عَمَلْتُهُ دَخَلْتُ الْجَنَّةَ، قَالَ: كُنْ مُحْسِنًا قَالَ: وَكَيْفَ أَعْلَمُ أَنِّي مُحْسِنٌ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: - إِذَا سَمِعْتَ جِيرَانَكَ يَقُولُونَ: قَدْ أَحْسَنْتَ، فَقَدْ أَحْسَنْتَ، وَإِذَا سَمِعْتَهُمْ يَقُولُونَ: قَدْ أَسَأْتَ، فَقَدْ أَسَأْتَ. (٦)

(١) البخاري (٦٠١٨)، مسلم (٤٧).

(٢) البخاري (٦٠١٥)، مسلم (٢٦٢٥).

(٣) مسلم (٤٦).

(٤) صحيح الجامع (٣٠٢٩)، صحيح الترغيب والترهيب (٢٥٧٥).

(٥) الترمذي (١٩٤٤) وصححه العلامة الألباني.

(٦) صحيح الجامع (٢٧٧)، الصحيحة: (١٣٢٧).

وَعَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرِ الْجُهَنِيِّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ: رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **أَوَّلُ خَصْمَيْنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ جَارَانِ**. (١).

عن أبي ذرٍّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قال: قال: لي النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: لا تحقرن من المعروف شيئا، ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق. (٢)

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ: رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: **يَا نِسَاءَ الْمُسْلِمَاتِ، لَا تَحْقِرَنَّ جَارَةً لْجَارَتِهَا وَلَوْ فَرَسَنَ شَاةٍ**. (٣)

هَذَا النَّهْيُ عَنِ الْاِخْتِقَارِ نَهْيٌ لِلْمُعْطِيَةِ الْمُهْدِيَةِ، وَمَعْنَاهُ: لَا تَمْتَنِعْ جَارَةً مِنْ الصَّدَقَةِ وَالْمُهْدِيَةِ لْجَارَتِهَا لِاسْتِقْلَالِهَا وَاحْتِقَارِهَا الْمَوْجُودَ عِنْدَهَا، بَلْ تَجُودُ بِهَا تَيْسَّرَ، وَإِنْ كَانَ قَلِيلًا كَفَرَسَنَ شَاةٍ، وَهُوَ خَيْرٌ مِنَ الْعَدَمِ، وَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ [الزلزلة: ٧]، وَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **وَاتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ**. (٤)

وَعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ: قَالَ: رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: **إِذَا طَبَخْتُمُ اللَّحْمَ فَأَكْثِرُوا الْمَرْقَ أَوْ الْمَاءَ، فَإِنَّهُ أَوْسَعُ أَوْ أَبْلَغُ لِلْجِيرَانِ**. (٥)

وَعَنْ أَبِي ذَرٍّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ: لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: **يَا أَبَا ذَرٍّ إِنْ اشْتَرَيْتَ لَحْمًا، أَوْ طَبَخْتَ قِدْرًا، فَأَكْثِرْ مَرَقَتَهُ ثُمَّ انْظُرْ أَهْلَ بَيْتٍ مِنْ جِيرَانِكَ فَاغْرِفْ لَهُ مِنْهُ**. (٦)

(١) صحيح الجامع (٢٥٦٣)، صحيح الترغيب والترهيب (٢٥٥٧).

(٢) مسلم (٢٦٢٦).

(٣) البخاري (٢٤٢٧)، مسلم (١٠٣٠).

(٤) شرح النووي على مسلم - (٣/ ٤٨٠) ..

(٥) صحيح الجامع (٦٧٧)، الصحيح (١٣٦٨).

(٦) مسلم (٢٦٢٥).

الإحسان

وَعَنْ ابْنِ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ: لَقَدْ أَتَى عَلَيْنَا زَمَانٌ وَمَا أَحَدٌ أَحَقُّ بِدِينَارِهِ وَدِرْهَمِهِ مِنْ أَخِيهِ الْمُسْلِمِ، ثُمَّ الْآنَ الدِّينَارُ وَالْدِّرْهَمُ أَحَبُّ إِلَيَّ أَحَدَنَا مِنْ أَخِيهِ الْمُسْلِمِ، سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: كَمْ مِنْ جَارٍ مُتَعَلِّقٍ بِجَارِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَقُولُ: يَا رَبِّ، سَلْ هَذَا لَمْ أَغْلِقْ بَابَهُ دُونِي وَمَنْعَنِي فَضْلَهُ. ^(١)

وَعَنْ الْأَعْرَجِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِذَا اسْتَأْذَنَ أَحَدُكُمْ جَارَهُ أَنْ يَغْرَزَ خَشْبَهُ فِي جِدَارِهِ فَلَا يَمْنَعُهُ فَلَمَّا حَدَّثَ أَبُو هُرَيْرَةَ طَاطُتُوا رُءُوسَهُمْ، فَقَالَ: مَا لِي أَرَاكُمْ عَنْهَا مُعْرِضِينَ؟، وَاللَّهِ لَا زِمِينَ بِهَا بَيْنَ أَكْتَا فِكُمْ.. ^(٢)

وعن عثمان بن عفان - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - في خطبة له: إِنَّا وَاللَّهِ قَدْ صَحَبْنَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي السَّفَرِ وَالْحَضَرِ، وَكَانَ يَعُودُ مَرْضَانَا، وَيَتَّبِعُ جَنَائِزَنَا وَيَغْزُو مَعَنَا، وَيُوَاسِينَا بِالْقَلِيلِ وَالكَثِيرِ. ^(٣)

أَرَى دَارَ جَارِي عَنْ تَغْيِبِ حُقْبَةٍ
قَلِيلٌ سَوَالِي جَارَتِي عَنْ شُؤُونِهَا
أَلَيْسَ قَبِيحًا أَنْ يُخْبَرَ أَنِّي
عَلِيَّ حَرَامًا بَعْدَهُ إِنْ دَخَلْتُهَا
إِذَا غَابَ رَبُّ الْبَيْتِ عَنْهَا هَجَرْتُهَا
إِذَا غَابَ عَنْهَا شَاحِطَ الدَّارِ زُرْتُهَا

وقال آخر:

شَرَى جَارَتِي سِتْرًا فُضُولَ لَأَنِّي
جَعَلْتُ جُفُونِي مَا حَيْثُ لَهَا سِتْرَا

(١) الصَّحِيحَةُ (٢٦٤٦)، صَحِيحُ التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيْبِ (٢٥٦٤)، وَصَحِيحُ الْأَدَبِ الْمُفْرَدِ (٨١).

(٢) البخاري (٢٣٣١)، مسلم (١٦٠٩).

(٣) أحمد (٥٠٤) بسند صحيح.

وَمَا جَارَتِي إِلَّا كَأُمِّي وَإِنِّي
لَأَحْفَظُهَا سِرًّا وَآخِظُهَا جَهْرًا
بَعَثْتُ إِلَيْهَا أَنْعَمِي وَتَنَعَّمِي
فَلَسْتُ مُحِلًّا مِنْكَ وَجْهًا وَلَا شَعْرًا

وقال آخر:

دَارِ جَارَ السُّوءِ بِالصَّبْرِ وَإِنْ
لَمْ تَجِدْ صَبْرًا فَمَا أَحْلَى النُّقْلَ

وقال آخر:

لِلْجَارِ حَقٌّ إِذَا أَدَّيْتَ وَاجِبُهُ
جَازَاكَ رَبُّكَ بِالْإِحْسَانِ إِحْسَانًا
فَأَوَّلُ بِالْخَيْرِ خَيْرًا وَآثِنٌ بِهِ
وَإِنْ أَتَى سَبَّهُ جَازَيْتَ غُفْرَانًا

ويتضمن الإحسان إلى الجيران أمور منها:

أولاً: تفقد الجيران والسؤال عنهم وعن أحوالهم.
ثانياً: البشاشة في وجوههم والاستبشار برؤيتهم والفرح بلقائهم.
ثالثاً: الدعاء لهم في مواطن الإجابة بكل ما هو خير وتأليف القلوب وغيرها.
رابعاً: الهدية والبذل لهم والعطاء والمعاهدة بالقليل والكثير وعلى ما ييسر
الله تعالى .

خامساً: حفظ أسرارهم والتغاضي عن عيوبهم.
سادساً: أن يؤمن الأذى والشر من جانبه فإن عاش جاره بجواره خائفاً منه
ولو لم يتضرر ويحصل له أذى فإنه ليس من الإحسان.

سابعاً: حفظ حرمتهم وعدم التطلع والتكشف إلى محارمهم ونسائهم.
 ثامناً: صيانة أموالهم ومكاسبهم وعدم الاعتداء عليهم بأي شيء من الظلم.
 تاسعاً: أن يتعاهدوهم بالزيارة لهم التي تولد المحبة في أفراحهم وأتراحهم ويسأل عنهم إذا فقدهم.

عاشراً: أن يخفي عنهم ما يدخله إلى بيته حتى لا يؤثر على مشاعرهم.
 الحادي عشر: طلاقة الوجه والبشاشة في وجوههم عند لقائهم.
 الثاني عشر: الانتفاع بالمرافق المشتركة بين الجيران وعدم المنع للجار من تلك المنفعة.

الثالث عشر: الإصلاح بين المتخاصمين منهم.

الثالث عشر: إحسان العبد إلى المخالفين له:

المخالفة على ثلاثة أقسام مخالفة عامة كما حصل من الكفار والمنافقين فلهم معاملة خاصة يجب فهمها وضبط حدودها قال الله تعالى: ﴿فِيمَا نَقَضِهِمْ مِيثَقَهُمْ لَعْنَهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا نَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَأَعْفُ عَنْهُمْ وَأَصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [المائدة: ١٣].

وقال الله تعالى: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾ [العنكبوت: ٤٦].

قال الشوكاني - رَحِمَهُ اللَّهُ -:

أي: بالطريق التي هي أحسن طرق المجادلة ولأنها أمر سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بالمجادلة

الحُسْنَةُ وكان خصمه مبطلا وغرضه فاسدا. ^(١)

فنقوم بالدعوة إلى الله بصفة الإحسان فتتحلى بأحسن الصفات وندعو الناس إلى أحسن الصفات، ولا نسأل الناس أجراً كالشمس طبعها النور، وتعطي الناس النور بلا أجر.

وقال الله تعالى: ﴿وَدَكْثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِّنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْتَفُوا وَاصْطَفُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرٍ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ١٠٩].

وقال الله تعالى: ﴿لَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقِنَّاكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكم مِّنْ دِينِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [المتحنة: ٨].

قال القرطبي - رَحِمَهُ اللَّهُ -: هذه الآية رخصة من الله تعالى في صلة الذين لم يعادوا المؤمنين ^(٢)، ولم يقاتلوهم، أن يبروهم ويقسطوا إليهم، أي يعطونهم قسطاً من أموالهم على وجه الصلة.

وقال ابن كثير - رَحِمَهُ اللَّهُ -: لا ينهاكم عن الإحسان إلى الكفرة الذين لا يقاتلونكم في الدين، وتحسنوا إليهم. ^(٣)

يؤخذ من مجموع ما قيل في تفسير الآية، أن صلة الكافر وبره والإحسان إليه جائز، شرط أن يكون مسالماً غير محارب، وصلة غير المسلم والإحسان إليه من مكارم الأخلاق، وقد قال النبي ﷺ: **إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأَتَمَّ مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ** ^(٤) فعرفنا أن ذلك حسن في حق المسلمين والمشركين جميعاً.

(١) فتح القدير (٣/ ٢٨٧).

(٢) تفسير القرطبي (١٨/ ٥٩).

(٣) تفسير ابن كثير (٨/ ١١٨).

(٤) الصحيحة (٤٥).

وتتأكد هذه الصلة إذا كانت لرحم، فقد جاء في صحيح البخاري، أن النبي ﷺ أذن لأسماء بنت أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أن تصل أمها وهي مشركة.

وقال البخاري^(١): باب صلة الوالد المشرك، وروى بسنده عن أسماء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: أتتني أُمِّي رَاغِبَةً فِي عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَسَأَلَتِ النَّبِيَّ ﷺ أَصْلَهَا؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ ابْنُ عِيْنَةَ: فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿لَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ﴾ [الممتحنة: ٨].

وقال البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ^(٢) -: باب صلة الأخ المشرك، وروى بسنده عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: رَأَى عُمَرُ حَلَةَ سِرَاءَ تَبَاعَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ابْتَغِ هَذِهِ، وَالْبَسْهَا يَوْمَ الْجُمُعَةِ، وَإِذَا جَاءَكَ الْوُفُودُ، قَالَ: إِنَّمَا يَلْبَسُ هَذِهِ مَنْ لَا خَلَقَ لَهُ. فَأَتَى النَّبِيَّ ﷺ مِنْهَا بِحُلٍّ، فَأَرْسَلَ إِلَى عُمَرَ بِحَلَةٍ، فَقَالَ: كَيْفَ أَلْبَسُهَا؟ وَقَدْ قُلْتُ فِيهَا مَا قُلْتَ؟! قَالَ: إِنِّي لَمْ أُعْطِهَا لِتَلْبَسُهَا، وَلَكِنْ لِتَتَّبِعَهَا أَوْ تَكْسُوَهَا. فَأَرْسَلَ بِهَا عُمَرُ إِلَى أَخٍ لَهُ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ قَبْلَ أَنْ يَسْلَمَ.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٦].

وعن أسامة بن زيد - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ... وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ وَأَصْحَابُهُ يَعْفُونَ عَنِ الْمُشْرِكِينَ وَأَهْلَ الْكِتَابِ كَمَا أَمَرَهُمُ اللَّهُ وَيَصْطَبِرُونَ عَلَى الْأَذَى. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلَسْتُمْ عَلَى الَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا﴾ [آل عمران: ١٨٦] الآية.

(١) البخاري (٥٩٧٨).

(٢) البخاري (٥٩٨١).

وقال الله تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا﴾ [البقرة: ١٠٩]. الآية، وكان النبي ﷺ يتأول العفو ما أمره الله به حتى أذن الله فيهم. (١)

وهناك مخالفة خاصة في أمور الدين وهي مخالفة أهل البدع.

وهناك مخالفة أخص وهي مخالفة أهل المعاصي.

وهناك مخالفة أهل الحق فيما يجوز فيه المخالفة. ولكل واحد تعامل معروف في دين الله تعالى لا ينبغي مجاوزته والتعدي عليه فأت كل ذي حق حقه.

فإن النصيحة إحسان إلى من تنصحه بصورة الرِّحْمَةِ لَهُ وَالشَّفَقَةِ عَلَيْهِ وَالْغَيْرَةِ لَهُ وَعَلَيْهِ فَهُوَ إِحْسَانٌ مَّحْضٌ يَصْدُرُ عَنْ رَحْمَةٍ وَرَقَةٍ وَمُرَادُ النَّاصِحِ بِهَا وَجْهُ اللَّهِ وَرِضَاهُ وَالْإِحْسَانُ إِلَى خَلْقِهِ فَيَتَلَطَّفُ فِي بَذْلِهَا غَايَةَ التَّلَطُّفِ وَيَحْتَمِلُ أَذَى الْمَنْصُوحِ وَلَا تَمْتَنَهُ وَيَعَامِلُهُ مُعَامَلَةَ الطَّبِيبِ الْعَالِمِ الْمَشْفُوقِ الْمَرِيضِ الْمَشْبَعِ مَرَضًا وَهُوَ يَحْتَمِلُ سُوءَ خَلْقِهِ وَشِرَاسَتَهُ وَنَفَرَتَهُ وَيَتَلَطَّفُ فِي وُصُولِ الدَّوَاءِ إِلَيْهِ بِكُلِّ مُمْكِنٍ فَهَذَا شَأْنُ النَّاصِحِ.

قال ابن رجب: إنَّ النَّاصِحَ لَيْسَ لَهُ غَرَضٌ فِي إِشَاعَةِ عَيُوبٍ مِّنْ يَنْصَحُ لَهُ، وَإِنَّمَا غَرَضُهُ إِزَالَةُ الْمَفْسَدَةِ الَّتِي وَقَعَ فِيهَا، وَلِذَلِكَ فَإِنَّهُ يَنْبَغِي أَنْ تَكُونَ سِرًّا فِيهَا بَيْنَ الْأَمْرِ وَالْمَأْمُورِ، وَأَمَّا الْإِشَاعَةُ وَإِظْهَارُ الْعَيُوبِ فَهُوَ مِمَّا حَرَّمَهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ، وَمِنْ حَبِّ إِشَاعَةِ الْفَاحِشَةِ فِي الْمُؤْمِنِينَ. (٢)

قال عباد بن عباد الخوَّاص الشَّامِيُّ أَبُو عَتَبَةَ: وَلَا تَعْيِيُوا بِالْبَدْعِ تَزِينًا بَعِيْبَهَا فَإِنَّ فُسَادَ أَهْلِ الْبَدْعِ لَيْسَ بِزَائِدٍ فِي صِلَاحِكُمْ، وَلَا تَعْيِيْوْهَا بَغْيًا عَلَى أَهْلِهَا. فَإِنَّ الْبَغْيَ مِنْ فُسَادِ أَنْفُسِكُمْ، وَلَيْسَ يَنْبَغِي لِلْمُطَبِّبِ أَنْ يَدَاوِيَ الْمَرَضَى بِمَا

(١) البخاري (٤٥٦٦).

(٢) الفرق بين النصيحة والتعيير (٣٩).

يبرئهم ويمرضه، فإنه إذا مرض اشتغل بمرضه عن مداواتهم، ولكن ينبغي أن يلتمس لنفسه الصّحة ليقوى بها على علاج المرضى، فليكن أمركم فيما تنكرون على إخوانكم نظراً منكم لأنفسكم، ونصيحة منكم لربكم، وشفقة منكم على إخوانكم. ^(١)

ويتضمن الإحسان إلى المخالف أمور منها:

- أولاً: إنزال الحكم المناسب على المخالف دون إفراط أو تفريط.
- ثانياً: عدم الحمل على المخالف هوى نفس أو بغض وشنآن بل القصد هو الحق موافقة أو مخالفة.
- ثالثاً: تغليب جانب العفو عن المخالف والإحسان إليه.
- رابعاً: ترك ما لا ينفع العمل مع المخالف من المجادلة بالباطل أو بما لا ينفع من هجر إذا لم ينفع أو زجر.
- خامساً: العمل على ما ينفع المخالف ويألف قلبه ويحبه للحق والهدى على حسب المخالفة.
- سادساً: دعوته ونصحه برفق ولين ومجادلة بالتي هي أحسن.
- سابعاً: تأديبه للمصلحة بالهجر أو بالضرب أو بما فيه النفع لا سيما إذا خشي ضرر وفساده.
- ثامناً: إقامة الحجة عليه ودلالته إلى الخير ودعوته إلى الحق والصواب وعدم تركه.
- تاسعاً: دعوته إلى الحق والسنة.
- عاشراً: هجرهم وتعزيزهم وإقامة الحق عليهم.

(١) الدارمي (١ / ١٦٦ - ١٦٧).

الحادي عشر: الوفاء بعهدهم وشروطهم ومواثيقهم.

الثاني عشر: عدم البغي عليهم في الرد أو الزيادة عليهم أو الافتراء.

الرابع عشر: إحسان العبد إلى الموافقين :

عن أبي هريرة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قال: قال: رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: من عاد مريضاً أو زار أخاً في الله ناداه مناد أن طلبت وطاب ممشاك وتبوات من الجنة منزلاً. ^(١)
وعن أبي ذرٍّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قال: قال: لي النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لا تحقرن من المعروف شيئاً، ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق ^(٢)

وعن ابن عمر - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قال: قال: رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: من استعاذ بالله فأعذوه، ومن سألكم بالله فأعطوه، ومن استجار بالله فأجبروه، ومن أتى إليكم معروفا فكافئوه، فإن لم تجدوا فادعوا له، حتى تعلموا أن قد كافأتموه ^(٣)

عَنْ الزُّبَيْرِ بْنِ الْعَوَّامِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ: رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - :
وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَا تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا أَفَلَا
أَدْلُكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ؟، أَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ . ^(٤)

فِيهِ الْحَثُّ الْعَظِيمُ عَلَى إِفْشَاءِ السَّلَامِ، وَبَذْلِهِ لِلْمُسْلِمِينَ كُلِّهِمْ؛ مَنْ عَرَفَتْ
وَمَنْ لَمْ تَعْرِفْ، وَالسَّلَامُ أَوَّلُ أَسْبَابِ التَّالْفِ، وَمِفْتَاحُ اسْتِجْلَابِ الْمَوَدَّةِ، وَفِي
إِفْشَائِهِ تَمَكُّنُ أُلْفَةِ الْمُسْلِمِينَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ، وَإِظْهَارُ شَعَارِهِمُ الْمُمَيِّزِ لَهُمْ مِنْ
غَيْرِهِمْ مِنْ أَهْلِ الْمَلَلِ، مَعَ مَا فِيهِ مِنْ رِيَاضَةِ النَّفْسِ، وَلِزُومِ التَّوَاضُّعِ، وَإِعْظَامِ
حُرْمَاتِ الْمُسْلِمِينَ.

(١) سنن الترمذي (٢٠٠٨) حسنه العلامة الألباني

(٢) مسلم (٢٦٢٦).

(٣) صحيح سنن النسائي (٢٤٠٧) وهو في الصحيحة (٢٥٤).

(٤) صحيح الجامع (٧٠٨١) صحيح الترغيب والترهيب (٢٦٩٤).

الإحسان

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ حَرُمٌ عَلَى النَّارِ، وَحُرِّمَتِ النَّارُ عَلَيْهِ: إِيْمَانٌ بِاللَّهِ، وَحُبٌّ فِي اللَّهِ، وَأَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ فَيُحْرَقَ، أَحَبُّ إِلَيْهِ مَنْ أَنْ يَرْجَعَ فِي الْكُفْرِ. ^(١)

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَجِدَ طَعْمَ الْإِيْمَانِ، فَلْيُحِبِّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا اللَّهُ - عَزَّوَجَلَّ. ^(٢)

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: إِنَّ اللَّهَ - عَزَّوَجَلَّ - يَقُولُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: أَيْنَ الْمُتَحَابُّونَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ؟ الْيَوْمَ أَظْلَهُمْ فِي ظِلِّي يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلِّي. ^(٣)

بنفسي أخ برُّ شددت به أزري فالفيتة حراً على العسر واليسر

أغيب فلي منه ثناءً ومدحة وأحضر منه أحسن القول والبشر

وَعَنْ ابْنِ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ: لَقَدْ أَتَى عَلَيْنَا زَمَانٌ، وَمَا أَحَدٌ أَحَقُّ بِدِينَارِهِ وَدِرْهَمِهِ مِنْ أَخِيهِ الْمُسْلِمِ، ثُمَّ الْآنَ الدِّينَارُ وَالْدِّرْهَمُ أَحَبُّ إِلَيَّ أَحَدِنَا مِنْ أَخِيهِ الْمُسْلِمِ. ^(٤)

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: مَا تَوَادَّ اثْنَانِ فِي اللَّهِ أَوْ فِي الْإِسْلَامِ، فَيُفَرِّقُ بَيْنَهُمَا، إِلَّا بَذَنَ يُحْدِثُهُ أَحَدُهُمَا. ^(٥)

وَعَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: إِذَا أَحْبَبْتَ أَخًا فَلَا تُمَارِهِ وَلَا تُشَارَّهُ وَلَا

(١) أحمد (١٢١٤٣) وقال الشيخ شعيب الأرنؤوط: إسناده حسن.

(٢) صحيح الجامع (٥٩٥٨)، والصحيح (٢٣٠٠).

(٣) مسلم (٢٥٦٦).

(٤) الصَّحِيحَةُ (٢٦٤٦)، صَحِيحُ التَّرْغِيبِ وَالتَّوْبِ (٢٥٦٤).

(٥) الصَّحِيحَةُ (٦٣٧).

تَسْأَلُ عَنْهُ، فَعَسَى أَنْ تُوَافِيَ لَهُ عَدُوًّا، فَيُخْبِرَكَ بِمَا لَيْسَ فِيهِ، فَيُفَرِّقَ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ. ^(١)

أَعِينُ أَخِي أَوْ صَاحِبِي فِي بَلَائِهِ أَقُومُ إِذَا عَضَّ الزَّمَانُ وَأَقْعُدُ
وَمَنْ يُفَرِّدُ الْإِخْوَانَ فِيمَا يَنْوِبُهُمْ تَنْبُهُ اللَّيَالِي مَرَّةً وَهُوَ مُفَرَّدُ

والإحسان إلى الإخوان ومواساتهم بالمال له ثلاث مراتب:

الأولى: أن تنزل أخاك المسلم منزلة عبدك فتقوم بحاجته من مالك، وتعطيه ابتداءً، ولا توجه إلى السؤال.

الثانية: أن تنزله منزلة نفسك، وترضى بمشاركته إياك في مالك.

الثالثة: وهي أعلاها أن تؤثره على نفسك، وتقدم حاجته على حاجتك، وهذه مرتبة الصديقين، ومنتهى درجات المتحايين.

فإن لم تصادف نفسك في مرتبة من هذه الرتب مع أخيك، فاعلم أن عقد الأخوة لم ينعقد بعد في الباطن، وإنما الجاري بينكما مخالطة رسمية لا وقع لها في العقل والدين. ^(٢)

ويتضمن ذلك أمور منها:

أولاً: المحبة لهم والرحمة والألفة.

ثانياً: البذل والعطاء والتعاون بكل أشكاله.

ثالثاً: الابتعاد عن كل ما يفسد الأخوة من الأقوال والأعمال والأمراض القلبية.

رابعاً: النصح بمحبة ورفق ولين وتذكير بالله تعالى.

(١) صحيح الأدب المفرد (٤٢٤).

(٢) موسوعة فقه القلوب (١/ ٧٧٣).

- خامساً: الذلة عليهم والسكينة لهم والتواضع بينهم.
- سادساً: السؤال عنهم وتفقد أحوالهم.
- سابعاً: الحفاظ على الأخوة بينهم وتغليب جانب المصلحة العامة للأمة.
- ثامناً: البعد عما يسبب التنازع بينهم والاختلاف والفرقة.
- تاسعاً: بذل كل الحقوق الواجبة والمستحبة بينهم واحتساب الأجر عند الله تعالى.
- عاشراً: الصبر على جاهلهم وتوقير عالمهم والحلم عن مخطئهم.
- الحادي عشر: التشاور بينهم بما فيه النفع للأمة والمجتمع.
- الثاني عشر: عدم المشقة عليهم ومطالبتهم بما لا يقدرُونَ عليه.
- الثالث عشر: التغاضي والتغافل عن زلاتهم التي لا تضر المجتمع والجماعة.
- الرابع عشر: أن تكون الأخوة على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ.
- الخامس عشر: أن يتقرب بالأخوة إلى الله تعالى وأن تكون عبادة.
- السادس عشر: نشر أسباب الأخوة والموافقة من سلام والإخبار عن حبه في الله تعالى.
- السابع عشر: عدم إضمار ما في القلب من الأمراض والأحقاد وغيرها.
- الثامن عشر: الصدق في المعاملة وعدم الغش والخديعة.
- التاسع عشر: ألا يمنع عنه خيره ومعروفه إذا كان يقدر على ذلك.
- العشرون: البعد عن المناظرات والمجادلات والمهارات التي تزرع العداوات والنفور القلبي.

الخامس عشر: إحسان العبد إلى اليتامى والفقراء والمساكين والمحتاجين:

قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا
الْكَيْلَ وَالْيِزَانَ بِالْقِسْطِ لَا تَكْلِفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدُوا وَلَوْ
كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَيَعْهَدُ اللَّهُ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾﴾
[الأنعام: ١٥٢].

الإحسان إلى اليتامى أمر موصى به من الله تعالى ؛ لأن اليتيم ضعيف، وإن كان كثير المال وهو ذو حاجة وإن كان غنياً، والإحسان إليه أن يقوم القائم عليه بتربيته، وألا يقهره ولا يذله، وأن يضمه إلى عياله.

فإنه إن لم يُحِط بالعطف والرعاية والمحبة تربي على النفرة من الجماعة فيكون الشذاذ والكارهون للمجتمعات؛ ولذلك كانت النصوص الكثيرة الداعية إلى إكرام اليتيم، فاليتامى إكرامهم فيه تقوية للأمة بإنشاء نشء على الخلق القويم.

وقال الله تعالى: ﴿وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكَوْا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٩﴾﴾ [النساء: ٩].

وقال الله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُ مِنْ خَيْرٍ فَلِلَّوَالِدَيْنِ
وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ ﴿٢١٥﴾﴾ [البقرة: ٢١٥].

قال ابن القيم - رَحِمَهُ اللَّهُ - :

كان هُديهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يدعو إلى الإحسان والصدقة والمعروف، ولذلك كان صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أشرح الخلق صدراً، وأطيبهم نفساً، وأنعمهم قلباً. فإن للصدقة وفعل المعروف تأثيراً عجبياً في شرح الصدر، وانضاف ذلك إلى ما خصَّه الله به من شرح صدره بالنبوة والرسالة، وخصائصها وتوابعها، وشرح

صدره حساً وإخراج حظ الشيطان منه. (١)

وقال ابن القيم - رَحِمَهُ اللهُ -:

ترك إطعام المسكين الذي هو من مراتب الإحسان للعبيد فلا إخلاص للخالق ولا إحسان للمخلوق كما قال تعالى: ﴿الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ﴾ (٦) وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ (٧) وقال: ﴿وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَى وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَرِهُونَ﴾ (٥٤) وهذا ضد ما وصف به أصحاب اليمين بقوله ﴿وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ (٣) وقال ﴿نَتَجَافَى جُنُوبَهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ (١٦) وقرن سبحانه وتعالى بين هذين الأصلين في غير موضع في كتابه. (٢)

وعن أبي هريرة - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: السَّاعِي عَلَى الْأَرْمَلَةِ وَالْمُسْكِينِ، كَالْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ - وَأَحْسِبُهُ قَالَ - وَكَالْقَائِمِ لَا يَفُتْرُ، وَكَالصَّائِمِ لَا يَفْطُرُ. (٣)

وعن مالك بن الحارث - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ ضَمَّ يَتِيمًا بَيْنَ أَبَوَيْنِ مُسْلِمَيْنِ إِلَى طَعَامِهِ وَشَرَابِهِ حَتَّى يَسْتَعْنِيَ، وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ الْبَتَّةَ. (٤)

وعن أبي بكر بن حفص قَالَ: كَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - لَا يَأْكُلُ طَعَامًا إِلَّا وَعَلَى خِوَانِهِ يَتِيمٌ. (٥)

(١) زاد المعاد (٢/ ٢٣).

(٢) التبيان في أقسام القرآن (١٠٧).

(٣) مسلم (٢٩٨٢).

(٤) الصحيحة (٢٨٨٢)، صحيح الترغيب والترهيب (٢٥٤٣).

(٥) صحيح الأدب المفرد: (١٠٢).

إن رعاية اليتيم من واجبات الدين، وإن إهمال شأنه وإذلاله وقهره ما ينبغي للإنسان وأكل ماله يغضب الديان، ويوجب الحرمان.

قال الله تعالى: ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ۝٩﴾ وقال سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ۝١٠﴾ [النساء: ١٠].

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: الساعي على الأرملة والمسكين، كالمجاهد في سبيل الله، أو كالذي يصوم النهار، ويقوم الليل. ^(١)

عباد الله: إن الشفقة والرأفة على خلق الله وخصوصاً اليتيم والمسكين والأرملة أثر من آثار الرحمة التي يجعلها الله في قلوب بعض عباده، فقل لي أيها الأخ ما الذي عندك منها فإن كنت رحيماً بعباد الله فلك البشرى والهناء بهذا الخلق الكريم الذي هو سبب لسعادتك في يوم الحسرة والندامة، ذلك أن الرحيم يعامله المولى جل وعلا برحمته قال تعالى: ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَنُ ۝٦٠﴾ [الرحمن: ٦٠]. فالراحمون يرحمهم الله.

وقال صلى الله عليه وسلم: من لا يرحم الناس لا يرحمه الله. وقال صلى الله عليه وسلم: من لا يرحم لا يرحم. وإن كنت قاسياً عوملت بالقسوة ﴿جَزَاءُ وَفَاءً ۝٦١﴾ [النبا: ٢٦]، ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَمٍ لِلْعَبِيدِ ۝٤٦﴾ [فصلت: ٤٦] والله سبحانه وتعالى لا يغفل عن أعمال عباده، وتظهر دلائل رحمتك في معاملتك لليتيم والمسكين والأرملة، وفي معاملتك مع أهلِكَ، فإنهم يعيشون طول حياتهم عندك أن كنت رحيماً أو قاسياً. ^(٢)

(١) البخاري (٥٦٦٠)، مسلم (٢٩٨٢).

(٢) مواد الضمان لدروس الزمان (٣/ ٤٨٢).

وَعَنْ مُصْعَبِ بْنِ سَعْدٍ، قَالَ: رَأَى سَعْدُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ لَهُ فَضْلاً عَلَى مَنْ دُونَهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: - هَلْ تُنْصِرُونَ وَتُرْزَقُونَ إِلَّا بِضِعْفَائِكُمْ. ^(١)

ويتضمن الإحسان إلى اليتيم والأرمل والمساكين والمحتاج

أمور منها:

أولاً: الرحمة لهما والسؤال عنهما والعطف عليهما ومواساتهما بما يقدر عليه ولو بالكلمة.

ثانياً: عدم نهرهما والإساءة إليهما بأي نوع من أنواع الإساءة.

ثالثاً: الصدقة لهما والزكاة تؤدي لهما إذا كانا من أهل الحاجة.

رابعاً: احتساب الأجر عند الله وعدم طلب المكافأة منهما.

خامساً: تعليمهم ما ينفعهم من أمور الدين والدنيا.

سادساً: حفظ حقوقهم وتأديتها وعدم أخذها أو هضمها لأنهم ضعفاء.

سابعاً: الإنفاق عليهم بما يسد رمقهم وحاجتهم.

ثامناً: تثمير أموالهم وعدم تركها للصدقة تأكلها.

تاسعاً: تعاهدهم بالكلام الطيب والمسح على رؤوسهم ومخالطتهم والقرب منهم.

عاشراً: إعطائهم حقوقهم من الميراث والغنime والفيء وغيرها.

السادس عشر: إحسان العبد إلى الحيوان

عن شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: ثَتَانِ حَفَظْتُهُمَا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ قَالَ: إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الْإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا

(١) البخاري (٢٨٩٦).

القتلة. وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبح، وليحد أحدكم شفرته فليرح ذبيحته. ^(١)

قال ابن رجب - رَحِمَهُ اللهُ -:

والإحسانُ في قتل ما يجوزُ قتلُهُ من النَّاسِ والدوابِّ: إزهاقُ نفسه على أسرع الوجوه وأسهلها وأوحاها من غير زيادةٍ في التعذيب، فإنه إيلاٌ لا حاجة إليه. وهذا النوعُ هو الذي ذكره النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - في هذا الحديث، ولعله ذكره على سبيل المثال، أو لحاجته إلى بيانه في تلك الحال، فقال: إذا قتلتم فأحسنوا القتلة، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة والقتلة والذبحة بالكسر، أي: الهيئة.

والمعنى: أحسنوا هيئة الذبح، وهيئة القتل.

وهذا يدلُّ على وجوب الإسراع في إزهاق النفوس التي يُباح إزهاقها على أسهل الوجوه.

وقد حكى ابنُ حزم الإجماع على وجوب الإحسان في الذبيحة، وأسهل وجوه قتل آدمي ضربُهُ بالسيف على العنق، قال الله تعالى في حق الكفار: ﴿فَإِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ﴾ [محمد: ٤]. ^(٢)

وعن أنس - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قال: قال: رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إذا حكمتكم فاعدلوا وإذا قتلتم فأحسنوا فإن الله محسن يحب المحسنين. ^(٣)

وعن أبي الزبير قال: سمعت جابر بن عبد الله - رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا - سئل عن ركوب الهدي فقال: سمعت النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: اركبها بالمعروف إذا ألجئت

(١) مسلم (١٩٥٥).

(٢) جامع العلوم والحكم (١/٣٨٢).

(٣) صحيح الجامع (٤٩٤).

إليها حتى تجد ظهرا (١)

وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: عُذِّبَتْ امْرَأَةٌ فِي هَرَّةٍ حَبَسَتْهَا حَتَّى مَاتَتْ جَوْعًا، فَدَخَلَتْ فِيهَا النَّارَ قَالَ: فَقَالَ: وَاللَّهِ أَعْلَمُ: لَا أَنْتِ أَطْعَمْتَهَا وَلَا سَقَيْتَهَا حِينَ حَبَسْتِهَا، وَلَا أَنْتِ أَرْسَلْتَهَا، فَأَكَلَتْ مِنْ خَشَاشِ الْأَرْضِ. (٢)

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: بَيْنَا رَجُلٌ بِطَرِيقٍ، اشْتَدَّ عَلَيْهِ الْعَطَشُ، فَوَجَدَ بئرًا، فَنَزَلَ فِيهَا، فَشَرِبَ ثُمَّ خَرَجَ، فَإِذَا كَلْبٌ يَلْهَثٌ، يَأْكُلُ الثَّرَى مِنَ الْعَطَشِ، فَقَالَ الرَّجُلُ: لَقَدْ بَلَغَ هَذَا الْكَلْبُ مِنَ الْعَطَشِ مِثْلَ الَّذِي كَانَ بَلَغَ مِنِّي، فَنَزَلَ الْبئرَ فَمَلَأَ خُفَّهُ مَاءً، فَسَقَى الْكَلْبَ، فَشَكَرَ اللَّهُ لَهُ فَغَفَرَ لَهُ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَإِنَّ لَنَا فِي الْبَهَائِمِ لِأَجْرًا؟ فَقَالَ: فِي كُلِّ ذَاتِ كَبِدٍ رَطْبَةٌ أَجْرٌ. (٣)

وعن سهل بن حنظلة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مر ببعير قد لحق ظهره ببطنه فقال: اتقوا الله في هذه البهائم المعجمة اركبوها صالحة وكلوها صالحة. (٤)

قال أبو بكر ابن خزيمة في خبر معاذ بن أنس الجهني عن أبيه: فيه دلالة على أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إنما أباح الحمل عليها في السير طلباً لقضاء الحاجة إذا كانت الدابة المركوبة محتملة للحمل عليها لأنه قال: اركبوها سالمة وابتدعوها سالمة وكذلك في خبر سهل: اركبوها صالحة وكلوها صالحة فإذا كان الأغلب من الدواب المركوبة أنها إذا حمل عليها في المسير عطبت لم يكن لراكبها الحمل عليها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد اشترط أن تتركب سالمة ويشبه أن

(١) مسلم (١٣٢٤).

(٢) البخاري (٢٣٦٥)، مسلم (٢٢٣٦).

(٣) البخاري (٢٤٦٦)، مسلم (٢٣٣٤).

(٤) الصحيحة (٢٣).

يكون معنى قوله اركبوها سالمة أي ركوبا تسلم منه ولا تعطب والله أعلم. ^(١)
فاتقوا الله تعالى وكونوا من المحسنين واعلموا أن العبد لو أحسن الإحسان
كله وكانت له دجاجة فأساء إليها لم يكن محسناً.

وعن عبد الله بن مسعود - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قال: كنّا مع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
في سفر، فانطلق لحاجته فرأينا حمرة ^(٢) معها فرخان فأخذنا فرخيها فجاءت
الحمرة فجعلت تفرّش جاء النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فقال: من فجع هذه بولدها؟
ردّوا ولدها إليها ورأى قرية نمل قد حرّقناها، فقال: من حرّق هذه؟ . قلنا:
نحن، قال: إنه لا ينبغي أن يعذب بالنار إلا ربّ النار. ^(٣)

وعن عائشة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - قالت: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: خمسٌ من
الدّوابّ كلّها فواسقٌ يقتلن في الحلّ والحرم وفي الصّلاة أيضاً: الحية، والغراب
الأبقع والفأرة، والكلب العقور والحداة والعقرب. ^(٤)

وعن ابن عمر - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: إنّ
أعظم الذّنوب عند الله رجلٌ تزوّج امرأة، فلما قضى حاجته منها، طلقها وذهب
بمهرها، ورجلٌ استعمل رجلاً، فذهب بأجرته وأخرى يقتل دابةً عبثاً. ^(٥)

وعن أبي أمامة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: من رحِمَ
ولو ذبيحة عصفور، رحّمه الله يوم القيامة. ^(٦)

قال العلامة الألباني: تلك هي بعض الآثار التي وقفت عليها حتى الآن،

(١) صحيح ابن خزيمة (١٤٣/٤).

(٢) طائر صغير يشبه العصفور.

(٣) سنن أبي داود (٥٢٦٨) وصححه الألباني.

(٤) البخاري (١٧٣٢)، مسلم (١١٩٨).

(٥) صحيح الجامع (١٥٦٧)، الصحيح (٩٩٩).

(٦) صحيح الجامع (٦٢٦١)، والصحيح (٢٧).

وهي تدل على مبلغ تأثر المسلمين الأولين بتوجيهات النبي ﷺ في الرفق بالحيوان، وهي في الحقيقة قل من جل ونقطة من بحر، وفي ذلك بيان واضح أن الإسلام هو الذى وضع للناس مبدأ (الرفق بالحيوان)، خلافا لما يظنه بعض الجاهل بالإسلام أنه من وضع الكفار الأوربيين، بل ذلك من الآداب التي تلقوها عن المسلمين الأولين، ثم توسعوا فيها، ونظموها تنظيما دقيقا، وتبنتها دولهم حتى صار الرفق بالحيوان من مزاياهم اليوم، حتى توهم الجاهل أنه من خصوصياتهم! وغرهم في ذلك أنه لا يكاد يرى هذا النظام مطبقا في دولة من دول الإسلام، وكانوا هم أحق بها وأهلها! (١)

ويتضمن الإحسان إلى الحيوان أمور منها:

أولاً: الرحمة بها وعدم تحميلها مالا تطيق ولا يشق عليها من العمل وغيره.

ثانياً: إطعامها بما يكفيها وعدم إجاعتها والإضرار بها.

ثالثاً: إحسان ذبحها وقتلها وعدم تخويفها واتخاذها غرضاً ترمى به وإرعاها بأي شيء كان.

رابعاً: عدم التحريش بينها في القتال واللهو اللعب.

خامساً: عدم ضربها والمشقة عليها بما لا تقدر عليه.

سادساً: أداء زكاتها والصدقة المستحبة فيها.

سابعاً: اتخاذها في سبيل الله تعالى والإحسان إلى الناس بها.

ثامناً: تقديمها قربان إلى الله تعالى في الأضاحي والعقيقة وإكرام الضيف وغيرها.

(١) السلسلة الصحيحة (١/٦٩).

تاسعاً: عدم لعنها وسبها وشتمها.

عاشراً: عدم أخذ أولادها أو بيضها أو قتلها لغير حاجة أو منفعة.

السابع عشر: إحسان العبد عمله:

وقال الله تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ
الْفَعُولُ ۝﴾ [الملك : ٢] .

قال العلامة الشنقيطي - رَحِمَهُ اللهُ -:

ولم يَقُلْ: أكثرُ عملاً، فَدَلَّتْ هذه الآياتُ القرآنيةُ أَنَّا خُلِقْنَا لِنُخْتَبَرَ وَنُبْتَلَى فِي شَيْءٍ هُوَ إِحْسَانُ الْعَمَلِ، وَلَا شَكَّ أَنَّ الْعَاقِلَ يَقُولُ: إِذَا كَانَ رَبِّي (جَلَّ وَعَلَا) خَلَقَ الْخَلَائِقَ وَالسَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَالْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ؛ لِأَجْلِ الْإِبْتِلَاءِ فِي إِحْسَانِ الْعَمَلِ، يَا لَيْتَنِي عَرَفْتُ الطَّرِيقَ إِلَى إِحْسَانِ الْعَمَلِ لِأَنْجَحَ بِهَذَا الْاِخْتِبَارِ. ^(١)

قال الفضيل: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾. قال: أخلصه وأصوبه، الأشعث: ما أخلصه وأصوبه؟ قال: إِنَّ الْعَمَلَ إِذَا كَانَ خَالِصاً وَلَمْ يَكُنْ صَوَاباً لَمْ يَقْبَلْ، وَإِذَا كَانَ صَوَاباً وَلَمْ يَكُنْ خَالِصاً لَمْ يَقْبَلْ حَتَّى يَكُونَ خَالِصاً صَوَاباً، وَالْخَالِصُ: إِذَا كَانَ لِلَّهِ، وَالصَّوَابُ: إِذَا كَانَ عَلَى السُّنَّةِ.

فجمع شرطي العبادة الإخلاص والمتابعة.

وسواء كان هذا العمل بينه وبين ربه بعبادة الله تعالى وتوحيده وامتنال أمره أو كان بينه وبين عباده ذكر أو أنثى صغير أو كبير قريب أو بعيد حبيب أو عدو من أعمال المعاملات فإنه العبد مأمور أن يحسن عمله وأن يتعامل الأمر الحسن.

وعن عائشة - رَضِيَ اللهُ عَنْهَا - قالت: قال: رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ اللَّهَ يَحِبُّ

(١) العذب النمير في مجالس الشنقيطي في التفسير (١/ ٣٩٤).

إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه .^(١)

فالمسلم مطالب بإتقان ما أوكل إليه من عمل وأن يؤديه وفقاً لما يرضي الله تعالى، ولا يجوز له أن يهمل عمله.

فيجب على العبد إتقان العمل سواء بينه وبين ربه من العبادات أو بينه وبين العباد من المعاملات في شتى جوانبها فهو مطالب بإتقان العمل وإلا تعرض للإثم عياداً بالله تعالى.

وقال الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾ [النساء: ١٢٥].

وعن الحسن قال: ليس الإيثار بالتَّحَلِّي ولا بالتَّمَنِّي، ولكن ما وقر في القلوب وصدّقه الأعمال، من قال حسناً، وعمل غير صالح، ردّه الله عليه.^(٢)
وعن أبي هريرة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: خَيْرُ الْكَسْبِ، كَسْبُ يَدِ الْعَامِلِ إِذَا نَصَحَ.^(٣)

وعن عبد الله بن عمر - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِذَا نَصَحَ الْعَبْدُ لِسَيِّدِهِ وَأَحْسَنَ عِبَادَةَ اللَّهِ فَلَهُ أَجْرُهُ مَرَّتَيْنِ.^(٤)

وعن أبي عثمان النهدي قَالَ: سَمِعْتُ سَلْمَانَ الْفَارِسِيَّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - يَقُولُ: لَا تُكُونَنَّ إِنْ أَسْتَطَعْتَ أَوَّلَ مَنْ يَدْخُلُ السُّوقَ، وَلَا آخِرَ مَنْ يُخْرَجُ مِنْهَا، فَإِنَّهَا مَعْرَكَةُ الشَّيْطَانِ، وَبِهَا يَنْصَبُ رَأْيَتُهُ.^(٥)

(١) السلسلة الصحيحة (١١١٣).

(٢) اقتضاء العلم العمل للخطيب البغدادي (٤٣).

(٣) صحيح الجامع (٣٢٨٣).

(٤) البخاري (٢٥٥٠). ومسلم (١٦٦٤) واللفظ له.

(٥) مسلم (٢٤٥١).

وَعَنْ صَخْرِ الْغَامِديِّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: اللَّهُمَّ بَارِكْ لَأَمْتِي فِي بُكُورِهَا، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - إِذَا بَعَثَ سَرِيَّةً أَوْ جَيْشًا، بَعَثَهُمْ أَوَّلَ النَّهَارِ قَالَ عُمَارَةُ بْنُ حَدِيدٍ الْبَجَلِيُّ: وَكَانَ صَخْرُ رَجُلًا تَاجِرًا، وَكَانَ إِذَا بَعَثَ تِجَارَةً، بَعَثَهُمْ أَوَّلَ النَّهَارِ، فَاتَّرَى وَكَثُرَ مَالُهُ ^(١).

وَعَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ثَلَاثَةٌ يُؤْتُونَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ: رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمَنَ بِنَبِيِّهِ ثُمَّ آمَنَ بِي، فَلَهُ أَجْرَانِ، وَالْعَبْدُ الْمَمْلُوكُ الَّذِي يُحْسِنُ عِبَادَةَ رَبِّهِ، وَيُؤَدِّي إِلَى سَيِّدِهِ الَّذِي لَهُ عَلَيْهِ مِنَ الْحَقِّ وَالنَّصِيحَةِ وَالطَّاعَةِ، لَهُ أَجْرَانِ وَالرَّجُلُ تَكُونُ لَهُ الْأَمَّةُ، فَيَعْلَمُهَا فَيُحْسِنُ تَعْلِيمَهَا، وَيُؤَدِّبُهَا فَيُحْسِنُ أَدَبَهَا، ثُمَّ يُعْتِقُهَا فَيَتَزَوَّجُهَا، فَلَهُ أَجْرَانِ. ^(٢)

وقال الحسن البصري: العامل على غير علم كالسالك على غير طريق، والعامل على غير علم يفسد أكثر مما يصلح، فاطلبوا العلم طلبا لا تضرّوا بالعبادة، واطلبوا العبادة طلبا لا تضرّوا بالعلم، فإنّ قوما طلبوا العبادة وتركوا العلم حتّى خرجوا بأسيا فهم على أمة محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولو طلبوا العلم لم يدهم على ما فعلوا. ^(٣)

واحسان العبد إلى عمله يتضمن أمور منها:

أولها: إخلاص العلم لله تعالى وحده لا شريك له.

ثانيها: موافقة العمل للكتاب والسنة وعدم مجاوزة ذلك بإفراط أو تفريط.

ثالثها: تقديم الأهم في سائر العمل.

(١) صحيح الجامع (١٣٠٠)، صحيح الترغيب والترهيب (١٦٩٣).

(٢) البخاري (٢٨٤٩)، مسلم (١٥٤).

(٣) جامع بيان العلم لابن عبد البر (١/ ١٣٦) ..

- رابعها: اغتنام العمل العظيم أجراً ومثوبة عند الله تعالى.
- خامسها: أداء كل عمل في وقته المفضل والمستحب له.
- سادسها: أن يؤديه بصفة الإحسان، فيؤديه بأحسن هيئة، ويقوم به أمام ربه كأنه يراه، فإن لم يكن يراه فإن ربه يراه.
- سابعها: تعظيم العمل واستشعار أنه شعيرة من شعائر الله تعالى العظمى.
- ثامنها: الدعوة إلى الله تعالى بالعمل فإنه أقرب الطرق إلى دعوة المدعوين.
- تاسعها: تنوع العمل الصالح وتعويد النفس على التنوع حتى لا تمل.
- عاشرها: أن يوفي الشروط التي تلازم العمل من وصف أو وقت أو كيفية فإن قصر فيها فما أحسن العمل.
- الحادي عشر: أن يلازم النصح في عمله الديني أو الدنيوي.
- الثاني عشر: أن لا يوغل في عمل الدنيا.
- الثالث عشر: أن يغتني أوقات البركة في عمله.
- الرابع عشر: أن لا يعمل إلا بعلم وإلا ترك.

الثامن عشر: إحسان العبد إلى المال:

قال الله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَمَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٢].

وقال الله تعالى: ﴿اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَعٌ﴾ [الرعد: ٢٦].

المال نعمته عظيمة، وزينته كبيرة، وخيراته واسعة كثيرة، وحليته جذابة جميلة، ومنافعه عذبة وفيرة، وقد جعله الحق **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** وسيطاً لنيل المآرب والجاه في هذه الحياة، فبالمال تشتري المآكل اللذيذة، والمشارب العذبة، والقصور الفخمة، والملابس الثمينة، وتنكح الغانيات من النساء، وتشتري الأنعام، وتصنع السيارات والطائرات الفائقة، وبالمال تستخدم الرجال، وتبنى المدارس، وتشق الطرق، ويدنو البعيد من المقاصد، ويسهل الصعب من الأعمال، ويرتفع الوضع، ويعز الذليل، ويقوى الضعيف، وبه تشيد الممالك. ^(١)

والمال مال الله، والرزق الذي في خزائن الأغنياء هو رزق الله، وهذه حقيقة لا يجادل فيها إلا جاهل بأسباب الرزق القريبة والبعيدة.

فالذي خلق الإنسان خلقه وساق رزقه إليه، فإذا أعطى الواحد شيئاً، فإنها يعطي من مال الله، وإذا أسلف حسنة فإنها هي قرض الله يضاعفه له أضعافاً كثيرة، وليس الفقير الآخذ إلا أداة وسبباً لينال المعطي الواهب أضعاف ما أعطى من مال الله. والأغنياء خزانة.

والمال نعمة من نعم الله تعالى التي أحسن بها إلينا وجعل بها قوام حياتنا كما قال الله تعالى: ﴿ **أَلَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَكُمْ قِيَمًا** ﴾ [النساء: ٥]. فلا قوام للعبد بل ولا حياة له إلا بالمال وهذه النعمة بحاجة إلى أن نحسن إليها ونحسن استخدامها لأننا سنحاسب عليها يوم القيامة.

فمن وجوه الإحسان إلى المال أن لا تركز عليه وتجعله هم في الدنيا ومطلبك بل تقدم مطالب الله تعالى على مطلب المال.

(١) صيد الأفكار (١/ ٣١٩).

وقال الله تعالى: ﴿وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: ١٩٥].

فسمى الله تعالى الركون إلى المال وعدم النفقة في سبيل الله تعالى هلكة. وعن أسلمَ أبي عمرانَ قال: غزونا من المدينة نريد القسطنطينية ، وعلى الجماعة عبد الرحمن بن خالد بن الوليد، والروم ملصقو ظهورهم بحائط المدينة، فحمل رجل على العدو، فقال الناس: مَهْ!! مَهْ!! لا إله إلا الله! يلقي بيديه إلى التهلكة! فقال أبو أيوب: إنما نزلت هذه الآية فينا معشر الأنصار: لما نصر الله نبيه، وأظهر الإسلام؛ قلنا: هلّمْ نُقِمْ في أموالنا ونُصَلِّحْها، فأنزل الله تعالى: ﴿وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا﴾ [البقرة: ١٩٥]. فالإلقاء بالأيدي إلى التهلكة: أن نقيم في أموالنا ونُصَلِّحْها، وَنَدَعَ الجهادَ.

قال أبو عمران : فلم يزل أبو أيوب يجاهد في سبيل الله؛ حتى دُفِنَ بالقسطنطينية. ^(١)

فالإحسان إلى المال أمر مطلوب لأن الله قد أحسن إلى العبد ورزقه من فضلة وأكرمه ربه ، قال تعالى عن قارون: ﴿وَأَحْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾ [القصص: ٧٧] ، ومن وجوه الإحسان أن يعامل الناس بهاله ويتجاوز عن المحتاج ويرحم المسكين ويعفو عن المعسر ويكون فضله على العباد بهاله عظيم. فعن حذيفة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : تَلَقَّتِ الْمَلَائِكَةُ رُوحَ رَجُلٍ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، فَقَالُوا: أَعْمَلْتَ مِنَ الْخَيْرِ شَيْئًا؟ قَالَ: لَا. قَالُوا: تَذَكَّرَ. قَالَ: كُنْتُ أَدَايِنَ النَّاسِ فَأَمَرَ فِتْيَانِي أَنْ يَنْظُرُوا الْمَعْسَرَ وَيَتَجَوَّزُوا عَنِ الْمَوْسَرِ. قَالَ: قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ - : تَجَوَّزُوا عَنْهُ. ^(٢)

(١) أبو داود (٢٢٦٩) صححه العلامة الألباني.

(٢) البخاري (٢٠٧٧)، ومسلم (١٥٦٠) واللفظ له.

وليحذر كل الحذر أن يكون مع المال في لهو ولعب وأن يتمتع بهذا المال في الحرام ويضعه في غير موضعه الذي أباح الله تعالى له بل ولو كان من باب المباح الذي يتوسع به كثير من الناس فإن العبد يذم على هذا ويلام عليه.

عن خولة الأنصارية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: سمعت النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: إن رجالا يتخوضون في مال الله بغير حق فلهم النار يوم القيامة. ^(١)

الحديث فيه دلالة على أنه يحرم على من لم يستحق شيئاً من مال الله تعالى ، ألا يكون من المصارف التي عين - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - أن يأخذه ويتملكه، وأن ذلك من المعاصي الموجبة للنار، ويدخل في هذا النوع من كان بيده مال الله تعالى من إمام أو وال، وصرفه في غير مصارفه اتباعاً لتشهييه واختياره. ^(٢)

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ: رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا، وَإِنَّ اللَّهَ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ، فَقَالَ: ﴿يَتَأْتِيهَا الرُّسُلُ كُلُّهَا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ ^(٥١) [المؤمنون: ٥١]، وَقَالَ: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُّهَا مِنَ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ [البقرة: ١٧٢]، ثُمَّ ذَكَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الرَّجُلَ، يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ، يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ: يَا رَبِّ، يَا رَبِّ، وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ، وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ، وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ، وَغُذِيَ بِالْحَرَامِ، فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ. ^(٣)

وعن الحسن البصري - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -: إن الله أدب عباده فأحسن أدبهم، فقال: ﴿لِنُفِقَ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ﴾ [الطلاق: ٧]، ما عاب الله قوما وسَّع عليهم الدنيا فتنعموا وأطاعوا، ولا عذر قوما زواها عنهم فعصوه. ^(٤)

(١) البخاري (٣١١٨).

(٢) البدر التمام شرح بلوغ المرام (١٠/ ٢٩٤).

(٣) مسلم (١٠١٥).

(٤) التفسير الوسيط (١/ ١١٤٥).

وَعَنْ طَرِيفِ أَبِي تَمِيمَةَ قَالَ: شَهِدْتُ جُنْدَبَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ الْبَجَلِيَّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - وَهُوَ يُوصِي صَفْوَانَ بْنَ مُحَرَّزٍ وَأَصْحَابَهُ، فَقَالُوا: أَوْصِنَا فَقَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَقُولُ: إِنَّ أَوَّلَ مَا يُتَنُّ مِنَ الْإِنْسَانِ بَطْنُهُ، فَمَنْ اسْتَطَاعَ أَنْ لَا يَأْكُلَ إِلَّا طَيِّبًا فَلْيَفْعَلْ. ^(١)

قال العلامة العثيمين: فأما المال فان ينفق ويتصدق ويزكى وأفضل أنواع الإحسان بالمال الزكاة، لأن الزكاة أحد أركان الإسلام، ومبانيه العظام، ولا يتم إسلام المرء إلا بها، وهي أحب النفقات إلى الله عَزَّوَجَلَّ، يلي ذلك، ما يجب على الإنسان من نفقة لزوجته، وأمه، وأبيه، وذريته، وإخوانه، وبني إخوته، وأخواته، وأعمامه، وعماته، وخالاته إلى آخر هذا، ثم الصدقة على المساكين وغيرهم، ممن هم أهل للصدقة كطلاب العلم مثلاً. ^(٢)

وما المالُ والأهلون إلا ودائعٌ ولا بدَّ يوماً أن تُردَّ الودائعُ

فالإحسان إلى المال يتضمن أمور منها:

أولاً: تحري الكسب الحلال الطيب فيه وتجنب الحرام والمشتبه فيه.

ثانياً: عدم سؤال الناس وتكفهم.

ثالثاً: عدم التطلع للمال والشراسة لما في أيدي الناس.

رابعاً: إظهار نعمة الله تعالى على العبد.

خامساً: إنفاق المال فيما أباح الله تعالى وأذن به.

سادساً: عدم الإسراف في المال بغير حق.

(١) البخاري (٦٧٣٣).

(٢) شرح الأصول الثلاثة (١١٨).

سابعاً: استشعار أن المال نعمة من الله وأنه ملك لله تعالى خول العبد فيه في الدنيا.
ثامناً: أداء حق الله تعالى فيه من زكاة وحق العباد من صدقة وصلة وإحسان
إلى الناس.

التاسع عشر: الإحسان إلى الطلاب:

قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ، فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَأَشْرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبُئْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾ (١٨٧)
[آل عمران: ١٨٧].

وقال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أَُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّعِينُونَ﴾ (١٥٩) [البقرة: ١٥٩].

عن أبي هريرة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: الدنيا ملعونة، ملعون ما فيها، إلا ذكر الله، وما والاه، أو عالماً أو متعلماً. (١)

وعن عقبة بن عامر - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قال: خرج رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ونحن في الصَّفَّة. فقال: أيكم يحب أن يغدو كل يوم إلى بطحان أو إلى العقيق فيأتي منه بناقتين كوماوين في غير إثم ولا قطع رحم؟ فقلنا: يا رسول الله نحب ذلك. قال: أفلا يغدو أحدكم إلى المسجد فيعلم أو يقرأ آيتين من كتاب الله - عَزَّوَجَلَّ - خير له من ناقتين. وثلاث خير له من ثلاث. وأربع خير له من أربع. ومن أعدادهن من الإبل. (٢)

وعن عثمان بن عفان - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: خيركم من تعلم القرآن وعلمه. (٣)

(١) الترمذي (٢٣٢٢) وصححه الألباني.

(٢) مسلم (٨٠٣).

(٣) البخاري (٥٠٢٧).

وعن أبي هريرة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ومن سلك طريقا يلتمس فيه علما سهّل الله له به طريقا إلى الجنة. وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله، يتلون كتاب الله، ويتدارسونه بينهم، إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة وحفّتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده. ومن بطأ به عمله، لم يسرع به نسبه. ^(١)

وعن مكحول رَحِمَهُ اللَّهُ - قال: من ذهب إلى علم يتعلمه، فهو في طريق الجنة حتى يرجع. ^(٢)

وعن عبد الله بن مسعود - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قال: علّمني رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وكفّي بين كفّيه - التّشّهّد. كما علّمني السّورة من القرآن: التّحيّات لله والصلوات والطّيبات، السّلام عليك أيّها النّبيّ ورحمة الله وبركاته. السّلام علينا وعلى عباد الله الصّالحين. أشهد ألاّ إله إلّا الله وأشهد أنّ محمّدا عبده ورسوله وهو بين ظهرانيّنا، فلمّا قبض قلنا: السّلام، يعني على النّبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. ^(٣)

وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قال: أخذ رسولُ الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بِمَنْكِبِي فقال: كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ، أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ. ^(٤)

وقال محمد بن يزيد النّحويّ: أتيت الخليل، فوجدته جالسا على طنفسة صغيرة، فوسّع لي وكرهت أن أضيق عليه. فانقبضت، فأخذ بعضدي وقربني إلى نفسه، وقال: إنه لا يضيق سمّ الخياط بمتحابّين، ولا تسع الدنيا متباغضين. ^(٥)

وقال أبو الدرداء - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -: اطلبوا العلم فإن عجزتم فأحبّوا أهله، فإن

(١) مسلم (٢٦٩٩).

(٢) الحلية (تهذيبه) (١٨١ / ٢).

(٣) البخاري (٦٢٦٥) واللفظ له، مسلم (٤٠٢).

(٤) البخاري (٢٤٥٣).

(٥) العقد الفريد (١٦٧ / ٢).

لم تحبّوهم، فلا تبغضوهم. ^(١)

وعن الفضيل بن عياض **رَحِمَهُ اللَّهُ** - قال: إن الله **عَزَّجَلَّ** يحب العالم المتواضع ويبغض العالم الجبار ومن تواضع لله تعالى ورثه الحكمة. ^(٢)

وعن أبي يوسف **رَحِمَهُ اللَّهُ** قال: يا قوم أريدوا بعلمكم الله فإنني لم أجلس مجلساً قط أنوي فيه أن أتواضع إلا لم أقم حتى أعلوهم ولم أجلس مجلساً قط أنوي فيه أن أعلوهم إلا لم أقم حتى أفترض. ^(٣)

قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَاليَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ۝١١﴾ [الأحزاب: ٢١].

وقال الله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَّتْهُمْ أَقْتَدَهُ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِن هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ۝٩٠﴾ [الأنعام: ٩٠].

وعن مالك بن الحويرث - **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** - قال: أتينا النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** - ونحن شعبة متقاربون، فأقمنا عنده عشرين ليلة، فظنّ أنا اشتقنا أهلنا، وسألنا عمّن تركنا في أهلنا فأخبرنا، وكان رقيقاً رحيماً، فقال: ارجعوا إلى أهليكم فعلموهم ومروهم وصلّوا كما رأيتموني أصلي، وإذا حضرت الصلاة فليؤدّن لكم أحدكم، ثم ليؤمّمكم أكبركم. ^(٤)

وجاء في تاريخ الخطيب بالسند إلى الربيع بن سليمان قال: رأيت البويطي على بغل في عنقه غل، وفي رجله قيد، وبين الغل والقيد سلسلة حديد فيها طوبة وزنها أربعون رطلاً، وهو يقول: إنما خلق الله الخلق بكن، فإذا كانت

(١) صفة الصفوة (١/ ٢٩٨).

(٢) الفقيه والمتفقه (٨٩٥).

(٣) الفقيه والمتفقه (٦٦٢).

(٤) البخاري (٦٠٠٨) واللفظ له، ومسلم (٦٧٤).

كن مخلوقة فكانت مخلوقا خلق مخلوقا، فوالله لأموتن في حديدي هذا حتى يأتي من بعدي قوم يعلمون أنه قد مات في هذا الشأن قوم في حديدهم، ولئن أدخلت إليه لأصدقنه - يعني الواصل - قال الربيع: وكتب إلي من السجن أنه لا يأتي علي أوقات ما أحس بالحديد أنه على بدني حتى تمسه يدي، فإذا قرأت كتابي هذا فأحسن خلقك مع أهل حلقتك واستوص بالغرباء خاصة خيرا فكثيرا ما كنت أسمع الشافعي يتمثل بهذا البيت:

أهين لهم نفسي لكي يكرمونها ولا تكرم النفس التي لا تهينها^(١)

قال سفیان بن عیینة: كان يستحب للعالم إذا علم أن لا يعنف، وإذا علم أن لا يأنف^(٢).

وعن الحسن، قال: إذا لم يعدل المعلم بين الصبيان كتب من الظلمة.^(٣)

وعن حبيب بن أبي ثابت **رَحِمَهُ اللَّهُ** قال: إن من السُّنَّة إذا حدث الرجل القوم أن يقبل عليهم جميعاً، ولا يخص أحداً دون أحد.^(٤)

عن ابن عباس - **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا** - قال: إِنَّ النَّبِيَّ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** - دخل الخلاء فوضعت له وضوآ.

قال: من وضع هذا؟ فأخبر. فقال: اللهم فقَّهه في الدين. وفي لفظ آخر، قال: ضمَّني. وقال: اللهم علِّمه الكتاب.^(٥)

(٥) تاريخ بغداد (١٤ / ٣٠٢).

(٦) الفقيه والمتفقه (٩٨١).

(٧) النفقة على العيال (٣٥١).

(٨) الحلية (تهذيبه) (٢ / ١٤٢).

(٩) البخاري (١٤٣) والجزء الأخير في (٧٥) واللفظ له. ومسلم (٢٤٧٧).

وعن أبي بن كعب - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قال: قال رسول الله ﷺ - : يا أبا المنذر؟ أتدري أي آية من كتاب الله معك أعظم؟ قال: قلت: الله ورسوله أعلم. قال: يا أبا المنذر! أتدري أي آية من كتاب الله معك أعظم؟ قلت: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ [البقرة: ٢٥٥] ، قال: فضرب في صدري وقال: ليهنك العلم أبا المنذر. ^(١)

وعن أبي هريرة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أنه قال: قيل يا رسول الله، من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة؟ قال رسول الله ﷺ: لقد ظننت يا أبا هريرة ألا يسألني عن هذا الحديث أحد أول منك، لما رأيت من حرصك على الحديث: أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة: من قال لا إله إلا الله خالصا من قلبه، أو نفسه. ^(٢)

وعن عمر بن الخطاب - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أن نافع بن عبد الحارث الخزاعي لقيه بعسفان، وكان عمر يستعمله على مكة، فقال: من استعملت على أهل الوادي؟ فقال: ابن أبزى. قال: ومن ابن أبزى؟ قال مولى من موالينا. قال: فاستخلفت عليهم مولى. قال: إنه قارئ لكتاب الله - عَزَّوَجَلَّ - وإنه عالم بالفرائض. قال عمر: أما إن نبيكم ﷺ - قد قال إن الله يرفع بهذا الكتاب أقواما ويضع به آخرين. ^(٣)

وعن أبي سعيد الخدري - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قال: جاءت امرأة إلى رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله، ذهب الرجال بحديثك، فاجعل لنا من نفسك يوما نأتيك فيه تعلمنا مما علمك الله. فقال: اجتمعن يوم كذا وكذا في مكان كذا وكذا ، فاجتمعن فأتاهن رسول الله ﷺ - فعلمهن مما علمه الله. ثم قال: ما منكن امرأة تقدم بين يديها من ولدها ثلاثة إلا كان لها

(١) مسلم (٨١٠).

(٢) البخاري (٩٩).

(٣) مسلم (٨١٧).

حجاباً من النار فقالت امرأة منهم: يا رسول الله، اثنين؟ قال: فأعادتها مرتين. ثم قال: واثنين واثنين واثنين^(١)

وعن عبد الله بن عباس أنه حدثه أنه ركب خلف رسول الله - ﷺ - يوماً، فقال له رسول الله - ﷺ - : يا غلام، إني معلمك كلمات: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، وإذا سألت فلتسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعوا على أن ينفعوك لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رُفِعَتِ الأَقْلَامُ وَجَفَتِ الصُّحُفُ ..^(٢)

وعن عُمَرَ بْنِ أَبِي سَلَمَةَ يَقُولُ: كُنْتُ غُلَامًا فِي حَجَرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ - وَكَانَتْ يَدِي تَطِيشُ فِي الصَّحْفَةِ، فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - : يَا غُلَامُ، سَمِّ اللَّهَ، وَكُلْ بِيَمِينِكَ، وَكُلْ مِمَّا يَلِيكَ فَمَا زَالَتْ تِلْكَ طِعْمَتِي بَعْدُ.^(٣)

ويتضمن إحسان المعلم إلى طلابه أمور منها:

أولاً: أن يتغني بذلك وجه الله تعالى في تعليم الطلاب من العلوم الدينية والأخروية يريد بذلك نفع الأمة.

ثانياً: أن يتواضع مع طلابه ويقرب منهم ويعلم أنهم طريقه لتكثير حسناته في الميزان.

ثالثاً: أن يكون لهم قدوة حسنة في كل أبواب الخير.

رابعاً: أن يكون بهم رحيماً شقيقاً عطوفاً حليماً غير فظ ولا غليظ ولا عنيف.

(١) البخاري (٧٣١٠) واللفظ له وبعضه في (١٠١)، مسلم (٢٦٣٣).

(٢) أحمد (٢٦٦٩) صحيح الجامع: (٧٩٥٧)، والمشكاة: (٥٣٠٢).

(٣) البخاري (٥٣٧٦)، مسلم (٢٠٢٢).

- خامساً: أن يسعى جاهداً في بيان العلم وتوصيله وتفهيمة لهم.
- سادساً: الصبر عليهم في تشغيهم وتعليمهم وتأديبهم.
- سابعاً: أن يتفقدهم ويسأل عنهم ويساعدتهم فيما لا يعلموه وما يحتاجوه.
- ثامناً: أن يزرع المخطئ منهم بطريقة التلميح لا التصريح رحمة وتأليفاً لقلوبهم.
- تاسعاً: أن يتدرج معهم في التعليم فيعلمهم صغار العلم قبل كباره.
- عاشراً: ألا يفضل بعضهم على بعض إذا تساوا في الرتب والمكانة فإن ذلك يورث العداوة بينهم والبغض لمعلمهم.
- الحادي عشر: البشر والبشاشة في وجوههم والذكر والثناء الحسن لهم وعند غيابهم.
- الثاني عشر: الدعاء لهم بالخير.
- الثالث عشر: توجيههم إلى الدعوة والإعانة لهم.
- الرابع عشر: تشجيعهم على الطلب والنجابة والفهم والفرح بذلك.
- الخامس عشر: أن يخلف في مكانه من كان أهلاً لذلك.
- السادس عشر: ألا يشق عليهم في العمل بالعلم.
- السابع عشر: أن يكرمهم بالقول والفعل.
- الثامن عشر: أن يعلم كل طالب ما يحتاج إليه وما يناسبه من الرجال والنساء والصبيان.

العشرون: الإحسان إلى العلم:

قال الله تعالى: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (٣١) قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ [البقرة: ٣١-٣٢].

وقال الله تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [آل عمران : ١٦٤] .

وعن حميد بن عبد الرحمن قال: سمعت معاوية - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - خطيباً يقول: سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يقول من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين، وإنما أنا قاسم، والله يعطي، ولن تزال هذه الأمة قائمة على أمر الله لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله .^(١)

وقال علي بن أبي طالب - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - لرجل من أصحابه: يا كميل العلم خير من المال، العلم يحرسك وأنت تحرس المال، والعلم حاكم والمال محكوم عليه، والمال تنقصه التَّفَقُّة، والعلم يزكو بالإنفاق.^(٢)

وَعَنْ شَرِيكَ بْنِ نَهْيِكَ الْخَوْلَانِيِّ قَالَ: قَالَ لِي أَبُو الدَّرْدَاءِ: مَنْ فَقِهَ الرَّجُلِ مَمَشَاهُ وَمُدْخَلُهُ وَمُخْرَجُهُ مَعَ أَهْلِ الْعِلْمِ.^(٣)

قال بعضهم:

وَلَمَّا رَأَيْتُ النَّاسَ لَا عَهْدَ عِنْدَهُمْ صَدَفْتُ وَرَبَّ الْخَلْقِ صُحْبَةَ النَّاسِ
وَصِرْتُ جَلِيسُ الْكُتُبِ مَا عِشْتُ فِيهِمْ وَأَعْمَلْتُ حُسْنَ الصَّبْرِ عَنْهُمْ مَعَ الْيَأْسِ

فالعلم هاد. وهو تركة الأنبياء وتراثهم. وأهله عصبتهم ووراثتهم، وهو حياة القلوب، ونور البصائر، وشفاء الصدور، ورياض العقول، ولذة

(١) البخاري (٧١) واللفظ له ومسلم (١٠٣٧).

(٢) كما في الإحياء (١ / ١٧، ١٨).

(٣) جامع بيان العلم وفضله (٨٢١).

الأرواح، وأنس المستوحشين، ودليل المتحيرين، وهو الميزان الذي به توزن الأقوال والأعمال والأحوال. وهو الحاكم المفرق بين الشك واليقين، والغني والرشاد، والهدى والضلال. به يعرف الله ويعبد، ويذكر ويوحّد، ويمجد ويمجّد، وبه اهتدى إليه السالكون.

ومن طريقه وصل إليه الواصلون. ومنه دخل عليه القاصدون. وبه تعرف الشرائع والأحكام، ويتميّز الحلال والحرام. وبه توصل الأرحام، وبه تعرف مرضي الحبيب، وبمعرفتها ومتابعتها يوصل إليه من قريب. وهو إمام، والعمل مأموم. وهو قائد، والعمل تابع. وهو الصّاحب في الغربة، والمحدث في الخلوة، والأنيس في الوحشة، والكاشف عن الشبهة، والغني الذي لا فقر على من ظفر بكنزه. والكنف الذي لا ضيعة على من أوى إلى حرزه. مذاكرته تسبيح، والبحث عنه جهاد. وطلبه قربة. وبذله صدقة. ومدارسته تعدل بالصيام والقيام. والحاجة إليه أعظم منها إلى الشراب والطعام. ^(١)

قال بعضهم:

تعلّم فليس المرء يولد عالماً وليس أخو علم كمن هو جاهل
ولآخر:

تعلّم فليس المرء يخلق عالماً وما عالم أمرا كمن هو جاهله
ولآخر:

ولم أر فرعا طال إلا بأصله ولم أر بدء العلم إلا تعلّم

(١) مدارج السالكين (٢/ ٤٦٩ - ٤٧٠).

وقال آخر:

العلم يحيى قلوب الميتين كما تحيا البلاد إذا ما مسها المطر
والعلم يجلو العمى عن قلب صاحبه كما يجلي سواد الظلمة القمر^(١)

وعن عبد الله بن مسعود - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - ، قَالَ: لَا تَعْلَمُوا الْعِلْمَ لثَلَاثٍ: لْتُمَارُوا بِهِ السُّفَهَاءَ، أَوْ لْتَجَادِلُوا بِهِ الْفُقَهَاءَ، أَوْ تَصْرُفُوا بِهِ وُجُوهَ النَّاسِ إِلَيْكُمْ وَابْتَغُوا بِقَوْلِكُمْ وَفِعْلِكُمْ مَا عِنْدَ اللَّهِ فَإِنَّهُ يَتَّبِعِي، وَيَذْهَبُ مَا سِوَاهُ. ^(٢)

وقال بعضهم: من طلب العلم لوجه الله لم يزل معانا، ومن طلبه لغير الله لم يزل مهانا ^(٣)

وصح عن الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ - أنه قال: وددت أن الخلق تعلموا مني هذا العلم على أن لا ينسب إلي حرف منه. ^(٤)
قال بعضهم:

وليس غبطة إلا في اثنتين هما الإحسان في المال أو في العلم والحكم

وعن أبي يوسف - رَحِمَهُ اللَّهُ - قال: يا قوم أريدوا بعلمكم الله، فإني لم أجلس مجلساً قط أنوي فيه أن أعلوهم، إلا لم أقم حتى أفتضح. ^(٥)
وعن جعفر بن حيّان، قال: ملاك هذه الأعمال النيات، فَإِنَّ الرَّجُلَ يَبْلُغُ

(١) العقد الفريد (٢/ ٨٠-٨١).

(٢) الفقيه والمتفقه (٢/ ١٧٥).

(٣) المدخل لابن الحاج (٢/ ١٢٣).

(٤) الحلية (٩/ ١١٨).

(٥) الفقيه والمتفقه (٢/ ٤٩).

بَنِيَّتِهِ مَا لَا يَبْلُغُ بِعَمَلِهِ. ^(١)

وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْأَشْعَثِ: سَأَلْتُ الْفَضِيلَ بْنَ عِيَّاضٍ - رَحِمَهُ اللَّهُ - عَنِ التَّوَاضُّعِ، فَقَالَ: أَنْ تَخْضَعَ لِلْحَقِّ وَتَنْقَادَ لَهُ مِمَّنْ سَمِعْتَهُ وَلَوْ كَانَ أَجْهَلَ النَّاسِ لَزِمَكَ أَنْ تَقْبَلَهُ مِنْهُ. ^(٢)

وعن بعض السلف قال: حق على العالم أن يتواضع لله، في سره وعلايته ويحترس من نفسه ويقف عما أشكل عليه.

قَالَ أَبُو مُزَاحِمٍ مُوسَى بْنُ عُبَيْدٍ اللَّهِ الْخَاقَانِيُّ ^(٣):

عَلَّمَ الْعِلْمَ مَنْ أَتَاكَ لِعِلْمٍ وَاعْتَنَمَ مَا حَيَّتَ مِنْهُ الدُّعَاءَ
وَلْيَكُنْ عِنْدَكَ الْفَقِيرُ إِذَا مَا طَلَبَ الْعِلْمَ وَالْغَنِيُّ سَوَاءَ

عن جابر بن عبد الله - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ: لَا تَعْلَمُوا الْعِلْمَ لَتَبَاهُوا بِهِ الْعُلَمَاءَ، وَلَا لَتَهَارُوا بِهِ السُّفَهَاءُ، وَلَا تَخَيَّرُوا بِهِ الْمَجَالِسَ، فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَالْتَارِ النَّارَ. ^(٤)

وقال لقمان لابنه: يَا بَنِيَّ لَا تَعْلَمْ الْعِلْمَ لَتَبَاهِيَ بِهِ الْعُلَمَاءُ أَوْ لَتَهَارِيَ بِهِ السُّفَهَاءُ، أَوْ تَرَائِيَ بِهِ فِي الْمَجَالِسِ، وَلَا تَتْرِكَ الْعِلْمَ زَهْدًا فِيهِ وَرَغْبَةً فِي الْجَهَالَةِ. ^(٥)

قَالَ مَالِكٌ - رَحِمَهُ اللَّهُ -: الْمَرَاءُ فِي الْعِلْمِ يَقْسِي الْقَلْبَ، وَيُورِثُ الضَّغْنَ. ^(٦)

(١) الفقيه والمتفقه (٢/ ١٧٢).

(٢) جامع بيان العلم وفضله (٩٥٢).

(٣) جامع بيان العلم وفضله (٧٧٦).

(٤) ابن ماجه (٢٥٤) وصححه العلامة الألباني.

(٥) الدارمي (٣٧٧).

(٦) فضل علم السلف على الخلف، لابن رجب الحنبلي (١٤٢).

الإحسان

قال الخطيب - رَحِمَهُ اللَّهُ -: يَنْبَغِي لِلْمُجَادِلِ، أَنْ يُقَدِّمَ عَلَى جَدَالِهِ تَقْوَى اللَّهِ تَعَالَى، لِقَوْلِهِ سُبْحَانَهُ: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: ١٦] ، وَلِقَوْلِهِ: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ [النحل: ١٢٨]. (١)

وَقَالَ الشَّافِعِيُّ - رَحِمَهُ اللَّهُ -: مَا كَلَّمْتُ أَحَدًا قَطُّ إِلَّا أَحْبَبْتُ أَنْ يُوفَّقَ وَيُسَدَّدَ وَيُعَانَ، وَيَكُونَ عَلَيْهِ رِعَايَةٌ مِنَ اللَّهِ وَحِفْظٌ، وَمَا كَلَّمْتُ أَحَدًا قَطُّ إِلَّا وَلَمْ أَبَالِ بَيْنَ اللَّهِ الْحَقِّ عَلَى لِسَانِي أَوْ لِسَانِهِ وَيَبْنِي أَمْرَهُ عَلَى النَّصِيحَةِ لِدِينِ اللَّهِ، وَلِلَّذِي يُجَادِلُهُ، لِأَنَّهُ أَخُوهُ فِي الدِّينِ، مَعَ أَنَّ النَّصِيحَةَ وَاجِبَةٌ لِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ. (٢)

قال مالك بن أنس للمهدي وقد استدعاه لولديه يعلمهما: العلم أولى أن يوقر ويؤتى، وفي رواية: العلم يزار ولا يزور ويؤتى ولا يأتي. وفي رواية: أدركت أهل العلم يؤتون ولا يأتون. (٣)

وقال مالك: دخلت على هارون الرشيد فقال يا أبا عبد الله: ينبغي أن تختلف إلينا حتى يسمع صبياننا منك الموطأ، قال: فقلت أعزك الله أن هذا العلم منكم خرج، فإن أنتم أعزتموه عز، وإن أذلتموه ذل والعلم يؤتى ولا يأتي فقال: صدقت اخرجوا إلى المسجد حتى تسمعوا من سمع الناس. (٤)

عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيْبِ - رَحِمَهُ اللَّهُ - قَالَ: لَا خَيْرَ فِيمَنْ لَمْ يَجْمَعْ الْمَالَ يَكْفُ بِهِ وَجْهَهُ وَيُؤَدِّي أَمَانَتَهُ. (٥)

عن أبي هريرة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: مَنْ تَعَلَّمَ

(١) الفقيه والمتفقه (٢/ ٤٧).

(٢) الفقيه والمتفقه (٢/ ٤٩).

(٣) المجالسة وجواهر العلم (٨/ ٣٢١).

(٤) جامع بيان العلم وفضله (١١٠٣).

(٥) جامع بيان العلم وفضله (١٣١٢).

علماً مما يتغنى به وجه الله - **عَزَّوَجَلَّ** - لا يتعلمه إلا ليصيب به عرضاً من الدنيا لم يجد عرف الجنة يوم القيامة . (١)

قال ذو النون المصري: كان الرجل من أهل العلم يزداد بعلمه بغضاً للدنيا وتركاً لها، فاليوم يزداد الرجل بعلمه للدنيا حباً وطلباً، وكان الرجل ينفق ماله على العلم، واليوم يكتسب الرجل بعلمه مالاً، وكان يرى على طالب العلم زيادة صلاح في باطنه وظاهره فاليوم يرى على كثير من أهل العلم فساد الباطن والظاهر. (٢)

وقال محمد بن واسع: لأن تطلب الدنيا بأقبح مما تطلب به الآخرة، خير من أن تطلبها بأحسن مما تطلب به الآخرة. (٣)

وعن أبي هريرة - **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** - قال: يقولون: إنَّ أبا هريرة قد أكثر، والله الموعود، ويقولون: ما بال المهاجرين والأنصار لا يتحدثون مثل أحاديثه؟ وسأخبركم عن ذلك: إنَّ إخواني من الأنصار كان يشغلهم عمل أراضيتهم، وإنَّ إخواني من المهاجرين كان يشغلهم الصِّفْق بالأسواق. وكنت ألزم رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** على ملء بطني. فأشهد إذا غابوا.

وأحفظ إذا نسوا، ولقد قال رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** يوماً: أيكم يبسط ثوبه فيأخذ من حديثي هذا، ثم يجمعه إلى صدره، فإنه لم ينس شيئاً سمعه فبسطت بردة عليّ حتّى فرغ من حديثه. ثم جمعتها إلى صدري، فما نسيت بعد ذلك اليوم شيئاً حدّثني به. ولولا آيتان أنزلهما الله في كتابه ما حدّثت شيئاً أبداً ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ** ﴾ إلى آخر الايتين. (٤)

(١) أبو داود (٣٦٦٤) وصححه العلامة الألباني.

(٢) المدخل لابن الحاج (١٢٦ / ٢).

(٣) العقد الفريد (٩٣ / ٢).

(٤) البخاري (١١٨) واللفظ له ومسلم (٢٤٩٢).

قِيلَ لِابْنِ الْمُبَارَكِ، إِلَى مَتَى تَطْلُبُ الْعِلْمَ؟ قَالَ: حَتَّى الْمَمَاتِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ. ^(١)

قال فضيل بن غزوان - رَحِمَهُ اللَّهُ -: كُنَّا نَجْلِسُ أَنَا وَابْنُ شَبْرَمَةَ وَالْحَارِثُ الْعَكْلِيُّ وَالْمَغِيرَةُ وَالْقَعْقَاعُ بْنُ يَزِيدَ بِاللَّيْلِ نَتَذَكَّرُ الْفَقْهَ، فَرَبَّمَا لَمْ نَقُمْ حَتَّى نَسْمَعَ النَّدَاءَ لَصَلَاةِ الْفَجْرِ. ^(٢)

عَنْ مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ قَالَ: لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ يَكُونُ عِنْدَهُ الْعِلْمُ أَنْ يَتْرِكَ التَّعَلَّمَ. ^(٣)

وعن أبي برزة الأسلمي - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: لَا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يَسْأَلَ عَنْ عَمَلِهِ فِيمَ أَفْنَاهُ؟ وَعَنْ عِلْمِهِ فِيمَ فَعَلَ؟ وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ؟ وَفِيمَ أَنْفَقَهُ؟ وَعَنْ جِسْمِهِ فِيمَ أَبْلَاهُ؟. ^(٤)

قال الفضيل بن عياض - رَحِمَهُ اللَّهُ -: مَنْ أُوتِيَ عِلْمًا. لَا يَزِدَادُ فِيهِ خَوْفًا وَحُزْنًا وَبُكَاءَ خَلْقٍ بَأَنَ لَا يَكُونُ أُوتِيَ عِلْمًا ثُمَّ قَرَأَ ﴿ أَفَمِنْ هَذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ ﴾ ^(٥٩) وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ ^(٦٠) [النجم: ٥٩-٦٠] ^(٥).

وقال عبد الله بن مسعود - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -: لَيْسَ الْعِلْمُ بِكَثْرَةِ الرِّوَايَةِ وَلَكِنَّ الْعِلْمَ الْخَشْيَةَ. ^(٦)

وعن مالك بن مغول: عَنْ الشَّعْبِيِّ - رَحِمَهُ اللَّهُ - وَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: أَيُّهَا الْعَالِمُ فَقَالَ: الْعَالِمُ مَنْ يَخَافُ اللَّهَ! ^(٧).

(١) جامع بيان العلم وفضله (٥٨٦).

(٢) العلم لزهير بن حرب (٢٧).

(٣) جامع بيان العلم وفضله (٥٧٩).

(٤) الترمذي (٢٤١٧) وصححه العلامة الألباني.

(٥) الشعب (٨ / ٤٢٧).

(٦) صفة الصفوة (١ / ١٩٠).

(٧) الحلية (تهذيبه) (٢ / ١١١).

وقال مالك بن أنس - رَحِمَهُ اللَّهُ -: ليس العلم بكثرة الرواية، وإنما هو نور يضعه الله في القلب. (١).

وعن أبي ذرٍّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أنه قال: قال لي رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: يا أباذرٍّ، لأن تغدو فتعلم آية من كتاب الله خير لك من أن تصلي مائة ركعة، ولأن تغدو فتعلم بابا من العلم عمل به أو لم يعمل خير من أن تصلي ألف ركعة. (٢)

وقيل لأبي عمرو بن العلاء: هل يحسن بالشيخ أن يتعلم؟ قال: إن كان يحسن به أن يعيش فإنه يحسن به أن يتعلم. (٣)

قَالَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْأَشْعَثِ: سَأَلْتُ الْفُضَيْلَ بْنَ عِيَّاضٍ - رَحِمَهُ اللَّهُ - عَنِ التَّوَّاضُعِ، فَقَالَ: أَنْ تَخْضَعَ لِلْحَقِّ وَتَنْقَادَ لَهُ مِمَّنْ سَمِعْتَهُ وَلَوْ كَانَ أَجْهَلَ النَّاسِ لَزِمَكَ أَنْ تَقْبَلَهُ مِنْهُ؟ (٤)

وقال الله تعالى: ﴿رَبَّنَا وَأَبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٩].

عَنْ سَلْمَانَ قَالَ: عِلْمٌ لَا يُقَالُ بِهِ كَكَنْزٍ لَا يُنْفَقُ مِنْهُ. (٥)

وعن أبي هريرة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: من سئل عن علم ثم كتبه أجم يوم القيامة بلجام من نار. (٦)

وعن أبي رفاعه العدوي - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قال: انتهيت إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو

(١) صفة الصفوة (٢/ ٥٠٤).

(٢) ابن ماجه (٢١٩) وصححه العلامة الألباني.

(٣) العقد الفريد (٢/ ٧٩).

(٤) جامع بيان العلم وفضله (٩٦٤).

(٥) العلم لزهير بن حرب (١٢).

(٦) الترمذي (٢٦٤٩) وصححه العلامة الألباني.

يخطب، قال: فقلت: يا رسول الله! رجل غريب جاء يسأل عن دينه، لا يدري ما دينه. قال: فأقبل عليّ رسول الله ﷺ، وترك خطبته حتى انتهى إليّ فأتي بكرسيّ حسبت قوائمه حديدا. قال: فقعده عليه رسول الله ﷺ، وجعل يعلمني ممّا علّمه الله، ثمّ أتى خطبته فأتمّ آخرها. (١)

وقال علي - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -: لا يؤخذ على الجاهل عهد بطلب العلم حتى أخذ على العلماء عهد ببذل العلم للجهال، لأنّ العلم كان قبل الجهل به. (٢)

وَعَنْ جَعْفَرِ بْنِ بُرْقَانَ قَالَ: كَتَبَ إِلَيْنَا عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ: أَمَّا بَعْدُ مَرْ أَهْلَ الْعِلْمِ وَالْفَقْهَ مَنْ جُنْدِكَ فَلْيَنْشُرُوا مَا عَلَّمَهُمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي مَجَالِسِهِمْ وَمَسَاجِدِهِمْ، وَالسَّلَامُ. (٣)

وقال ابن مسعود - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -: إِنِّي لَأَحْسِبُ الرَّجُلَ يَنْسَى الْعِلْمَ كَانَ يَعْلَمُهُ بِالْخَطِيئَةِ يَعْمَلُهَا. (٤)

عن عمر بن الخطاب - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّ نَافِعَ بْنَ عَبْدِ الْحَارِثِ الْخَزَاعِيَّ لَقِيَهُ بَعْسَفَانَ، وَكَانَ عُمَرُ يَسْتَعْمِلُهُ عَلَى مَكَّةَ، فَقَالَ: مَنْ اسْتَعْمَلْتَ عَلَى أَهْلِ الْوَادِي؟ فَقَالَ: ابْنُ أَبْزَى. قَالَ: وَمَنْ ابْنُ أَبْزَى؟ قَالَ مَوْلَى مِنْ مَوَالِينَا. قَالَ: فَاسْتَخْلَفْتَ عَلَيْهِمْ مَوْلَى. قَالَ: إِنَّهُ قَارِئٌ لِكِتَابِ اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - وَإِنَّهُ عَالِمٌ بِالْفَرَائِضِ. قَالَ عُمَرُ: أَمَّا إِنَّ نَبِيَّكُمْ ﷺ قَدْ قَالَ إِنَّ اللَّهَ يَرْفَعُ بِهَذَا الْكِتَابِ أَقْوَامًا وَيُضَعُّ بِهِ آخَرِينَ. (٥)

(١) مسلم (٨٧٦).

(٢) جامع بيان العلم وفضله (١/ ١٢٣).

(٣) جامع بيان العلم وفضله (٧٨٨).

(٤) العلم لزهير بن حرب (٣١).

(٥) مسلم (٨١٧).

وقال ابن مسعود - **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** - : لا يزال النَّاسُ بخير ما أتاهم العلم من أصحاب رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** - ومن أكابرهم، فإذا جاء العلم من قبل أصاغرهم فذلك حين هلكوا. ^(١)

وقال معاذ بن جبل - **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** - لما حضرته الوفاة: إِنَّ العلم والإيمان مكانهما، من التمسهما وجدهما. قال ذلك ثلاث مرّات، والتمسوا العلم عند أربعة رهط: عند عويمر أبي الدرداء، وعند سلمان الفارسي، وعند عبد الله بن مسعود، وعند عبد الله بن سلام. فَإِنِّي سمعت رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** يقول: إِنَّه عاشر عشرة في الجنة. ^(٢)

قال ابن عباس - **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا** - : أتدرون ما ذهاب العلم من الأرض؟ قال: قلنا: لا، قال: أن يذهب العلماء. ^(٣)

وقال محمد بن سيرين **رَحِمَهُ اللَّهُ** - : إِنَّ هذا العلم دينٌ فانظروا عَمَّنْ تأخذون دينكم. ^(٤)

وعن الحسن البصري - **رَحِمَهُ اللَّهُ** - ، قال: قد كان الرَّجُل يطلب العلم فلا يلبث أن يرى ذلك في تخشعه، وهديه، ولسانه، وبصره، ويديه. ^(٥)

وقال مالك - **رَحِمَهُ اللَّهُ** - : إذا علمت علماً فلير عليك أثره وسمته وسكنته ووقاره وحلمه، وقال: إِنَّ العلماء لم يكونوا يهذرون الكلام هكذا، ومن النَّاس من يتكلم كلام شهر في ساعة واحدة. ^(٦)

(١) جامع بيان العلم وفضله (١ / ١٥٩).

(٢) الحاكم (١ / ٩٨).

(٣) العلم لزهير بن حرب (١٦).

(٤) رواه مسلم في مقدمته.

(٥) الآداب الشرعية (٢ / ٤٥).

(٦) المدخل لابن الحاج (٢ / ١٢٤).

الإحسان

عَنْ شَرِيكَ بْنِ نَهْيِكَ الْخَوْلَانِيِّ، قَالَ: قَالَ لِي أَبُو الدَّرْدَاءِ: مَنْ فَقِهَ الرَّجُلِ مَمَشَاهُ وَمُدْخَلُهُ وَمَخْرَجُهُ مَعَ أَهْلِ الْعِلْمِ. ^(١)

وعن الحسن البصري **رَحِمَهُ اللَّهُ** قال: قد كان الرجل يطلب العلم فلا يلبث أن يرى ذلك في تخشعه وهديه وفي لسانه وبصره ويده. ^(٢).

وفي حكمة لقمان - **عَلَيْهِ السَّلَامُ** -: إن العالم الحكيم يدعو الناس إلى علمه بالصَّمت والوقار، وإن العالم الآخرق يطرُد الناس عن علمه بالهذر والإكثار. ^(٣).

عن أبي معاوية قال: أكلت مع الرشيد **رَحِمَهُ اللَّهُ** - طعاماً يوماً من الأيام فصب على يدي رجل لا أعرفه، فقال هارون: يا أبا معاوية تدري مَنْ يصب عليك؟ قلت: لا، قال: أنا، قلت: أنت يا أمير المؤمنين، قال: نعم إجلالاً للعلم. ^(٤).

وقال معن بن عيسى: كان مالك بن أنس **رَحِمَهُ اللَّهُ** - إذا أراد أن يحدث بحديث رسول الله - **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** - اغتسل وتبخر وتطيّب، وإذا رفع أحدٌ صوته عنده قال: اغضض من صوتك، فإن الله - **عَزَّجَلَّ** - يقول: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ﴾ [الحجرات: ١٢]، فمن رفع صوته عند حديث رسول الله - **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** - فكأنها رفع صوته فوق صوت رسول الله - **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** - . ^(٥).

وقال يحيى بن معاذ - **رَحِمَهُ اللَّهُ** -: لا تطلب العلم رياءً، ولا تتركه حياءً. ^(٦)

(١) جامع بيان العم وفضله (٨٢٩).

(٢) الزهد للإمام أحمد (٤٤٥).

(٣) عيون الأخبار (٢/ ٥٢٠).

(٤) المنتظم (٨/ ٣٢٢، ٣٢٣).

(٥) صفة الصفوة (٢/ ٥٠٤).

(٦) الحلية (تهذيبه) (٣/ ٢٥٩).

عن ابن عمر - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قال: لا يكون الرجل من العلم بمكان حتى لا يحسد من فوقه، ولا يحقر من دونه، ولا يبتغي بالعلم ثمناً. ^(١).

وعن سفيان الثوري رَحِمَهُ اللَّهُ قال: تعلموا العلم فإذا علَّمتموه فأكظموا عليه، ولا تخلطوه بضحك ولا لعب فتمجه القلوب. ^(٢).

وقال الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ: إذا تصدر الحدث، فاته علم كثير. ^(٣).

وقال الصعلوكي رَحِمَهُ اللَّهُ: مَنْ تَصَدَّرَ قَبْلَ أَوَانِهِ، فَقَدْ تَصَدَّى لِهَوَانِهِ. ^(٤).
وَلَقَدْ أَحْسَنَ ابْنُ الْمُبَارَكِ رَحِمَهُ اللَّهُ حَيْثُ يَقُولُ ^(٥):

أَيُّهَا الطَّالِبُ عَلِمًا ائْتِ حَمَّادَ بْنَ زَيْدٍ
فَاقْتَبِسْ حِلْمًا وَعِلْمًا ثُمَّ قَيِّدْهُ بِقَيْدِ

وَقَالَ ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ ^(٦):

لَنَا جُلَسَاءُ مَا نَمَلُّ حَدِيثَهُمْ أَلْبَاءُ مَأْمُونُونَ غَيْبًا وَمَشْهَدًا
يُفِيدُونَنَا مِنْ عِلْمِهِمْ عِلْمَ مَا مَضَى وَعَقْلًا وَتَأْدِيبًا وَرَأْيًا مُسَدَّدًا
بَلَا فِتْنَةٍ تُخْشَى وَلَا سُوءِ عِشْرَةٍ وَلَا يُتَّقَى مِنْهُمْ لِسَانًا وَلَا يَدًا

(١) الحلية (تهذيبه) ١ / ٢١٨ الحلية (تهذيبه) (١ / ٢١٨).

(٢) الحلية (تهذيبه) (٢ / ٣٦٤).

(٣) صفة الصفوة (٢ / ٥٥٣).

(٤) السير (تهذيبه) (٣ / ١٣٣٧).

(٥) جامع بيان العلم وفضله (٨١٨).

(٦) جامع بيان العلم وفضله (٢٤١٥).

فَإِنْ قُلْتَ أَمْوَاتٌ فَلَا أَنْتَ كَاذِبٌ وَإِنْ قُلْتَ أَحْيَاءُ فَلَسْتَ مُفَنِّدًا

ويتضمن الإحسان إلى العلم أمور منها:

أولاً: أن يقصد بتعلمه وجه الله تعالى ولا يقصد به توصلاً لعرض من الدنيا.

ثانياً: أن يحذر أن يتعاطم بالعلم على الناس بل يلين ويتواضع لهم.

ثالثاً: أن يحذر من المجادلة والمهارة والمناظرة فيما لا يكون نافعاً.

رابعاً: أن يصون العلم ويقوم له بما جعله الله تعالى له من العزة والشرف فلا يذله بذهابه ومشيه إلى غير أهله من أبناء الدنيا من غير ضرورة أو حاجة.

خامساً: ألا يتأكل بعلمه ويجعله سبيلاً للملذات الدنيا.

سادساً: وينبغي أن يكون حريصاً على التعلم مواظباً عليه في جميع أوقاته ليلاً ونهاراً حضراً وسفراً ولا يذهب من أوقاته شيئاً في غير العلم إلا بقدر الضرورة لأكل ونوم.

سابعاً: دوام مراقبة الله تعالى في السر والعلن والمحافظة على آدابه وخوفه من الله في جميع أفعاله وأقواله فإنه أمين على ما أودع من العلوم.

ثامناً: أن ينتزه عن دنيء المكاسب ورذيلها طبعاً وعن مكروهاها عادة وشرعاً وكذلك يتجنب مواضع التهم وإن بعدت.

تاسعاً: أن يديم الحرص على الازدياد من طلب العلم والاشتغال به وألا يستتكف أن يستفيد ما لا يعلمه ممن هو دونه.

عاشراً: أن يعلمه ويذله للناس.

الحادي عشر: أن يعمل به.

الثاني عشر: أن يتعد عن الذنوب والخطايا.

الثالث عشر: ألا يخلف إلا من كان حاملاً للعلم أهلاً لذلك.

الرابع عشر: من الإحسان إلى العلم أن يأخذه من أهله.

الخامس عشر: أن يظهر أثر العلم عليه.

السادس عشر: أن يعظم العلم تعظيماً يليق به من جميع جوانبه وعلى كل حالاته وفي كل أوقاته.

السابع عشر: أن يتعد عن غوائله فإنها قاتلة ومفسدة له أيها إفساد.

الثامن عشر: من الإحسان إلى العلم حفظاً وكتابته.

الحادي والعشرون عشر: إحسان العبد إلى عامله وخادمه.

قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [الأنعام: ١٦٥].

وعن أبي هريرة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قال: والذي نفسي بيده، لولا الجهاد في سبيل الله، والحج، وبر أمي، لأحببت أن أموت وأنا مملوك..^(١)

وعن ابن عمر - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قال: قال: رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: إن أعظم الذنوب عند الله رجل تزوج امرأة، فلم يرض حاجته منها، طلقها وذهب بمهرها، ورجل استعمل رجلاً، فذهب بأجرته وأخر يقتل دابة عبث..^(٢)

وعن بريدة الأسلمي - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: من خبب خادماً على أهلها فليس منّا.^(٣)

(١) البخاري (٢٤١٠)، مسلم (١٦٦٥).

(٢) صحيح الجامع (١٥٦٧)، الصحيح (٩٩٩).

(٣) صحيح الجامع (٥٤٣٦)، الصحيح (٣٢٤).

الإحسان

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: كَانَ آخِرُ كَلَامِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - حِينَ حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ الصَّلَاةُ الصَّلَاةُ، اتَّقُوا اللَّهَ فِيهَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ . (١)

وقال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَبْنُونَ الْكُنُبَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَنَكَبْتُهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا وَءَاتُوهُمْ مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ﴾ [النور: ٣٣] .

سأل سيرين أنسا المكاتبة، وكان كثير المال، فأبى، فانطلق إلى عمر - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - فقال: كاتبه، فأبى فضربه بالدرّة، وبتلو عمر: ﴿فَنَكَبْتُهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا﴾، فكاتبه. (٢)

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: إِذَا صَنَعَ لِأَحَدِكُمْ خَادِمَهُ طَعَامَهُ ثُمَّ جَاءَهُ بِهِ فَلْيُجْلِسْهُ فَلْيَأْكُلْ مَعَهُ، فَإِنْ أَبَى .

وفي رواية: فَإِنْ كَانَ الطَّعَامُ مَشْفُوعًا قَلِيلًا فَلْيُنَاوِلْهُ لُقْمَةً أَوْ لُقْمَتَيْنِ، أَوْ أَكَلَهُ أَوْ أَكَلْتَيْنِ، فَإِنَّهُ قَدْ أَغْنَى عَنْكُمْ عَنَاءَ حَرِّهِ وَدُخَانِهِ وَمَشَقَّتِهِ وَعِلَاجِهِ . (٣)

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: لِلْمَمْلُوكِ طَعَامُهُ وَكَسْوَتُهُ، وَلَا يَكْلَفُ مِنَ الْعَمَلِ إِلَّا مَا يُطِيقُ . (٤)

عَنْ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - قَالَتْ: مَا ضَرَبَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - شَيْئًا قَطُّ بِيَدِهِ، وَلَا امْرَأَةً، وَلَا خَادِمًا، إِلَّا أَنْ يُجَاهِدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ . (٥)

وَعَنْ يَزِيدَ بْنِ جَارِيَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ: أَرْقَاءُكُمْ، أَرْقَاءُكُمْ، أَرْقَاءُكُمْ، أَطْعَمُوهُمْ مِمَّا تَأْكُلُونَ، وَاكْسُوهُمْ

(١) الصحيحة (٨٦٨)، والإرواء (٢١٧٨) .

(٢) البخاري (٥٣٦) .

(٣) البخاري (٢٤١٨، ٥١٤٤)، مسلم (١٦٦٣) .

(٤) مسلم (١٦٦٢) .

(٥) مسلم (٢٣٢٨) .

مَّا تَلْبَسُونَ، فَإِنْ جَاءُوا بِذَنْبٍ لَا تُرِيدُونَ أَنْ تَغْفِرُوهُ، فَبِيعُوا عِبَادَ اللَّهِ، وَلَا تُعَذِّبُوهُمْ. ^(١)

وعن أنس - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: خَدَمْتُ النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - عَشْرَ سِنِينَ، فَمَا قَالَ لِي: أَفٌ، وَلَا: لَمْ صَنَعْتَ؟، وَلَا: أَلَا صَنَعْتَ؟. ^(٢)

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : مَا اسْتَكْبَرَ مَنْ أَكَلَ مَعَهُ خَادِمُهُ، وَرَكِبَ الْحِمَارَ بِالْأَسْوَاقِ، وَاعْتَقَلَ الشَّاةَ فَحَلَبَهَا. ^(٣)

عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ الْأَنْصَارِيِّ قَالَ: كُنْتُ أَضْرِبُ غُلَامًا لِي، فَسَمِعْتُ مَنْ خَلْفِي صَوْتًا: أَعْلَمُ، أَبَا مَسْعُودٍ، اللَّهُ أَقْدَرُ عَلَيْكَ مِنْكَ عَلَيْهِ، فَالْتَفْتُ فَإِذَا هُوَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هُوَ حُرٌّ لَوْجِهَ اللَّهِ، فَقَالَ: أَمَا لَوْ لَمْ تَفْعَلْ لَلْفَحْنِكَ النَّارُ، أَوْ لَمَسَّتْكَ النَّارُ. ^(٤)

وَعَنْ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - قَالَتْ: قَعَدَ رَجُلٌ بَيْنَ يَدَيِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنْ لِي مَمْلُوكِينَ يَكْذِبُونَنِي وَيَخُونُونَنِي وَيَعْصُونَنِي وَأَشْتُمُهُمْ، وَأَضْرِبُهُمْ، فَكَيْفَ أَنَا مِنْهُمْ؟، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : يُحَسِّبُ مَا خَانُوكَ وَعَصَوْكَ وَكَذَبُوكَ، وَعِقَابُكَ إِيَّاهُمْ، فَإِنْ كَانَ عِقَابُكَ إِيَّاهُمْ بِقَدْرِ ذُنُوبِهِمْ، كَانَ كَفَافًا، لَا لَكَ وَلَا عَلَيْكَ وَإِنْ كَانَ عِقَابُكَ إِيَّاهُمْ دُونَ ذُنُوبِهِمْ، كَانَ فَضْلًا لَكَ، وَإِنْ كَانَ عِقَابُكَ إِيَّاهُمْ فَوْقَ ذُنُوبِهِمْ، اقْتَصَصَ لَهُمْ مِنْكَ الْفَضْلُ، قَالَتْ: فَتَنْحَى الرَّجُلُ فَجَعَلَ يَبْكِي وَيَهْتَفُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : أَمَا تَقْرَأُ كِتَابَ اللَّهِ: ﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالُ

(١) صَحِيحُ الْجَامِع (٩٠٥)، الصَّحِيحَةُ (٧٤٠).

(٢) البخاري (٢٣٣٦).

(٣) صَحِيحُ الْجَامِع (٥٥٢٧) والصَّحِيحَةُ (٢٢١٨) ..

(٤) مسلم (١٦٥٩).

حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَسِيبِينَ ﴿٤٧﴾ [الأنبياء: ٤٧]، فَقَالَ الرَّجُلُ: **وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا أَجِدُ لِي وَلِهَؤُلَاءِ شَيْئًا خَيْرًا مِنْ مُفَارَقَتِهِمْ، أَشْهَدُكُمْ أَنَّهُمْ أَحْرَارٌ كُلُّهُمْ..** (١).

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** - قَالَ: قَالَ: رَسُولُ اللَّهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** -: الْمَمْلُوكُ أَخُوكَ، فَإِذَا صَنَعَ لَكَ طَعَامًا، فَأَجْلِسْهُ مَعَكَ، فَإِنَّ أَبِي فَأَطْعِمُهُ فِي يَدِهِ وَلَا تَضْرِبُوا وُجُوهَهُمْ. (٢)

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** -: أَعْطُوا الْعَامِلَ مِنْ عَمَلِهِ، فَإِنَّ عَامِلَ اللَّهِ لَا يَخِيبُ. (٣)

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** عَنِ النَّبِيِّ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** - قَالَ: قَالَ اللَّهُ: ثَلَاثَةٌ أَنَا خَصْمُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: رَجُلٌ أَعْطَى بِي ثُمَّ غَدَرَ، وَرَجُلٌ بَاعَ حُرًّا فَأَكَلَ ثَمَنَهُ، وَرَجُلٌ اسْتَأْجَرَ أَجِيرًا فَاسْتَوْفَى مِنْهُ وَلَمْ يُعْطِ أَجْرَهُ. (٤)

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** -: أَعْطُوا الْأَجِيرَ أَجْرَهُ، قَبْلَ أَنْ يَجِفَّ عَرْقُهُ. (٥)

وَعَنْ الْمَعْرُورِ بْنِ سُوَيْدٍ قَالَ: لَقِيتُ أَبَا ذَرٍّ - **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** - بِالرَّبَذَةِ فَرَأَيْتُ عَلَيْهِ بُرْدًا، وَعَلَى غُلَامِهِ بُرْدًا، فَقُلْتُ لَهُ: يَا أَبَا ذَرٍّ، لَوْ كُنْتَ أَخَذْتَ الَّذِي عَلَى غُلَامِكَ فَجَعَلْتَهُ مَعَ هَذَا، فَكَانَتْ حُلَّةً وَكَسَوْتَ غُلَامَكَ ثَوْبًا غَيْرَهُ فَقَالَ: إِنَّهُ كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَ رَجُلٍ مِنْ إِخْوَانِي كَلَامٌ، وَكَانَتْ أُمُّهُ أَعْجَمِيَّةً فَعَيَّرَتْهُ بِأُمِّهِ فَشَكَانِي إِلَى النَّبِيِّ

(١) صحيح الجامع (٨٠٣٩)، صحيح الترغيب والترهيب (٢٢٩٠)

(٢) الصحيح (٢٥٢٧).

(٣) صحيح الأدب المفرد (١٤١).

(٤) البخاري (٢٢٢٧)

(٥) ابن ماجه (٢٤٤٣) [قال الألباني]: صحيح

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَقَالَ لِي رَسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : أَسَابَيْتَ فَلَانًا؟ فَقُلْتُ: نَعَمْ قَالَ: أَفَلَنْتَ بِأَمِّهِ؟ فَقُلْتُ: نَعَمْ، فَقَالَ: إِنَّكَ أَمْرُؤُ فَيْكَ جَاهِلِيَّةٌ فَقُلْتُ: عَلَى حِينِ سَاعَتِي هَذِهِ مِنْ كِبَرِ السَّنِّ؟ قَالَ: نَعَمْ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَنْ سَبَّ الرَّجَالَ، سَبُّوا أَبَاهُ وَأُمَّهُ قَالَ: إِنَّهُمْ إِخْوَانُكُمْ، فَضَلَّكُمْ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَجَعَلَهُمُ اللَّهُ فِتْنَةً تَحْتَ أَيْدِيكُمْ فَمَنْ جَعَلَ اللَّهُ أَخَاهُ تَحْتَ يَدِهِ، فَلْيُطْعِمْهُ مِمَّا يَأْكُلُ، وَلْيَلْبِسْهُ مِمَّا يَلْبَسُ، وَلَا يَكْلِفْهُ مِنَ الْعَمَلِ مَا يَغْلِبُهُ، فَإِنْ كَلَّفَهُ مَا يَغْلِبُهُ فَلْيُعِنْهُ عَلَيْهِ وَمَنْ لَمْ يَلِئْكُمْ مِنْهُمْ فَبِيعُوهُ، وَلَا تُعَذِّبُوا خَلْقَ اللَّهِ. (١).

وعن أَنَسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - : دَخَلَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - عَلَى أُمِّ سُلَيْمٍ، فَاتَتْهُ بِتَمْرٍ وَسَمْنٍ، قَالَ: أَعِيدُوا سَمْنَكُمْ فِي سِقَائِهِ، وَتَمْرَكُمْ فِي وَعَائِهِ؛ فَإِنِّي صَائِمٌ. ثُمَّ قَامَ إِلَى نَاحِيَةٍ مِنَ الْبَيْتِ فَصَلَّى غَيْرَ الْمَكْتُوبَةِ، فَدَعَا لَأُمِّ سُلَيْمٍ وَأَهْلِ بَيْتِهَا. فَقَالَتْ أُمُّ سُلَيْمٍ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! إِنَّ لِي خُوصِيصَةً قَالَ: مَا هِيَ؟ قَالَتْ: خَادِمُكَ أَنَسٌ. فَمَا تَرَكَ خَيْرَ آخِرَةٍ وَلَا دُنْيَا إِلَّا دَعَا لِي بِهِ اللَّهُمَّ ارْزُقْهُ مَالًا وَوَلَدًا، وَبَارِكْ لَهُ. فَإِنِّي لَمَنْ أَكْثَرَ الْأَنْصَارِ مَالًا، وَحَدَّثَنِي ابْنَتِي أُمَيَّةُ أَنَّهُ دَفِنَ لِصُلْبِي مَقْدَمَ حَجَّاجِ الْبَصْرَةِ بَضْعَ وَعِشْرُونَ وَمِائَةً.. (٢).

ويتضمن الإحسان إلى العمال والخدم أمور منها:

- أولاً: إكرامهم وترك إهانتهم.
- ثانياً: إكثار العفو عنهم ومعاملتهم بالعفو.
- ثالثاً: مكاتبتهم إن كانوا عبيداً.
- رابعاً: إطعامهم وكسوتهم مما يطعم ويكسوهم.

(١) البخاري (٥٧٠٣)، مسلم (١٦٦١).

(٢) البخاري (٩٣٣).

- خامساً: احترامهم وعدم السخرية منهم والتنقص لهم.
- سادساً: عدم ضربهم وإيذائهم.
- سابعاً: إعطائهم أجورهم وعدم مماطلتهم أو تأخيرهم إلا لضرورة.
- ثامناً: عدم تكليفهم ما لا يطيقونه ولا يحملونه.
- تاسعاً: معاملتهم بالحسنى والحلم وكنم الغيظ.
- عاشراً: تأمين الحياة الكريمة لهم وإعانتهم.
- الحادي عشر: إرشادهم بالحسنى والتوجيه الحسن وتعليمهم بالرفق واللين.
- الثاني عشر: الدعاء له.

الثاني والعشرون: إحسان العبد إلى الطريق؛

قال الله تعالى: ﴿ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِّنْ خَلْفٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ﴾ [المائدة: ٣٣] .

عن معاوية بن قرة قال : كنت مع معقل المزني فأماط أذى عن الطريق فرأيت شيئاً فبادرته فقال ما حملك على ما صنعت يا بن أخى قال رأيتك تصنع شيئاً فصنعت ما أحسنت يا بن أخى سمعت النبي ﷺ يقول: من أماط أذى عن طريق المسلمين كتب له حسنة ومن قبلت له حسنة دخل الجنة . (١)

وعن أبي هريرة - رضى الله عنه - قال: قال: رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ -: «الْإِيمَانُ بَضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً أَوْ بَضْعٌ وَسَبْعُونَ بَابًا أَرْفَعُهَا وَأَعْلَاهَا قَوْلُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ . » (٢)

(١) الأدب المفرد (٥٩٣).

(٢) البخاري (٩)، مسلم (٣٥).

وعن الشعبي قال: ما جلس الربيع بن خثيم مجلساً على ظهر الطريق قال: أخاف أن يظلم رجل فلا أنصره، أو يعتدي رجل على آخر فأكلف عليه الشهادة أو يسلم على فلا أرد السلام أيقع عن حاملة حملها فلا أحمل عليها^(١)

وعن عبد الله بن الزبير قال: المجالس حلق الشيطان: إن يروا حقاً لا يقومون به وإن يروا باطلاً فلا يدفعونه^(٢)

وعن أبي الدرداء قال: صومعة الرجل بيته يحفظ لسانه وبصره وإياك ومجالس السوق فإنها تلغي وتلهي.^(٣)

وَعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: مَنْ أَخْرَجَ مِنْ طَرِيقِ الْمُسْلِمِينَ شَيْئًا يُؤْذِيهِمْ، كَتَبَ اللَّهُ لَهُ بِهِ حَسَنَةً، وَمَنْ كُتِبَ لَهُ عِنْدَهُ حَسَنَةٌ، أَدْخَلَهُ بِهَا الْجَنَّةَ .^(٤)

عَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ أَسِيدٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: مَنْ أَذَى الْمُسْلِمِينَ فِي طَرَفِهِمْ، وَجَبَتْ عَلَيْهِ لَعْنَتُهُمْ .^(٥)

قال ابن حجر - رَحِمَهُ اللَّهُ - :

جمعت آداب من رام الجلوس على الطَّرِيق من قول خير الخلق إنسانا

أفش السَّلام وأحسن في الكلام وشمت عاطسا وسلاما ردد إحسانا

(١) الزهد لابن المبارك (٢١).

(٢) رواه ابن المبارك في الزهد (١٤).

(٣) شرح السُّنَّة للبعوي (٣٠٨ / ١٢).

(٤) الصَّحِيحَة (٢٣٠٦).

(٥) صَحِيح الْجَامِع: (٥٩٢٣)، والصَّحِيحَة: (٢٢٩٤).

(٦) فتح الباري (١١ / ١٣).

في الحمل عاون ومظلوماً عن وأغث لفان اهد سبيلا واهد حيرانا
بالعرف مروانه عن نكر وكفّ أذى وغضّ طرفا وأكثر ذكر مولانا^(١)

وعن بريدة - **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** - قال: قال: رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** - : يا علي لا تتبع
النظرة النظرة فإن لك الولي وليست لك الآخرة .^(١)

وَعَنْ الطُّفَيْلِ بْنِ أَبِي بْنِ كَعْبٍ قَالَ: كُنْتُ آتِي عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ - **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا** -
فَأَغْدُو مَعَهُ إِلَى السُّوقِ، قَالَ: فَإِذَا غَدَوْنَا إِلَى السُّوقِ، لَمْ يَمَرَّ ابْنُ عُمَرَ عَلَى سَقَّاطٍ
وَلَا صَاحِبِ بَيْعَةٍ وَلَا مِسْكِينٍ، وَلَا أَحَدٍ إِلَّا سَلَّمَ عَلَيْهِ.^(٢)

عن البراء - **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** - قال: مرَّ النبي - **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** - على مجلس الأنصار، فقال:
إِنْ أَبَيْتُمْ إِلَّا أَنْ تَجْلِسُوا؛ فَاهْدُوا السَّبِيلَ، وَرَدُّوا السَّلَامَ، وَأَعِينُوا الْمَلْهُوفَ.^(٣)

وقال الله تعالى: ﴿ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ
فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خَلْفٍ أَوْ
يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ﴾ [المائدة: ٣٣] .

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** - أَنَّ النَّبِيَّ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** قَالَ: إِذَا اخْتَلَفْتُمْ فِي
الطَّرِيقِ، جَعَلَ عَرَضُهُ سَبْعَ أَذْرُعٍ .^(٤)

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** - عَنِ النَّبِيِّ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، قَالَ: لَقَدْ رَأَيْتُ رَجُلًا
يَتَقَلَّبُ فِي الْجَنَّةِ، فِي شَجَرَةٍ قَطَعَهَا مِنْ ظَهْرِ الطَّرِيقِ، كَانَتْ تُؤْذِي النَّاسَ .^(٥)

(١) سنن الترمذي (٢٧٧٧) صحيح الجامع: (٧٩٥٣)، صحيح الترغيب والترهيب: (١٩٠٣).

(٢) صحيح الأدب المفرد: (٧٧٤)، وهداية الرواة: (٤٥٨٧).

(٣) الصحيحة (٢٥٠١).

(٤) مسلم (١٦١٣).

(٥) مسلم (١٩١٤).

وَعَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: - اتَّقُوا الْمَلَأِينَ الثَّلَاثَةَ: الْبِرَازَ فِي الْمَوَارِدِ، وَقَارِعَةَ الطَّرِيقِ، وَالظِّلَّ. (١)

البراز: المبرزة في الحَرْبِ، والبراز أيضًا كناية الغائط، والبراز بالفتح: الفضاء الواسع. (٢)

والموارد: المجاري، والطُّرُقُ إِلَى الْمَاءِ، وَاحِدُهَا: مَوْرِدٌ، يُقَالُ: وَرَدَتْ الْمَاءَ إِذَا حَضَرَتْهُ لِتَشْرَبَ. (٣)

المراد هنا بالظل، الظل الذي اتخذته الناس مقيلا ومَنزلا ينزلونه، وليس كل ظلٍّ يحرم قضاء الحاجة تحته، فقد قضى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - حاجته تحت حائش من النخل وهو لا محالة له ظل.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: - اتَّقُوا اللَّعَّانِينَ، قَالُوا: وَمَا اللَّعَّانَانِ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: الَّذِي يَتَخَلَّى فِي طَرِيقِ النَّاسِ أَوْ فِي ظِلِّهِمْ. (٤)

وعن بُريدة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - يقول: سمعتُ رسولَ الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يقول: في الإنسان ثلاثُ مئةٍ وستونَ مَفْصَلًا، فعليه أن يتصدَّقَ عن كلِّ مَفْصَلٍ مِنْهُ بِصَدَقَةٍ قَالُوا: وَمَنْ يُطِيقُ ذَلِكَ يَا نَبِيَّ اللَّهِ؟ قَالَ: النَّخَاعَةُ فِي الْمَسْجِدِ تَدْفِنُهَا، وَالشَّيْءُ تُنَحِّيهِ عَنِ الطَّرِيقِ، فَإِنْ لَمْ تَجِدْ فَرَكْعَتَا الضُّحَى تَجْزُئُكَ. (٥)

وعن أبي ذر - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ: رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: عرضت

(١) صحيح الجامع: (١١٣)، وصحيح الترغيب والترهيب (١٤٦).

(٢) فتح الباري (ج ١ ص ٢٣٧).

(٣) عون المعبود (١/ ٣١).

(٤) مسلم (٢٦٩).

(٥) أبو داود (٥٢٤٢) وصححه الألباني

على أعمال أمتي حسننها وسيئها فوجدت في محاسن أعمالها أن الأذى يباط عن الطريق ووجدت في مساوئ أعمالها النخاعة في المسجد لا تدفن. ^(١)

عن أبي هريرة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: بينما رجل، يمشي بطريق، وجد غصن شوك على الطريق، فأخّره. فشكر الله له، فغفر له. ^(٢)

وعن عائشة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - زَوْجَ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَتْ لَمْ أَعْقِلْ أَبَوَيَّ إِلَّا وَهُمَا يَدِينَانِ الدِّينَ، وَلَمْ يَمُرَّ عَلَيْنَا يَوْمٌ إِلَّا يَأْتِينَا فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - طَرَفِي النَّهَارِ بُكْرَةً وَعَشِيَّةً، ثُمَّ بَدَأَ لِأَبِي بَكْرٍ فَأَبْتَنِي مَسْجِدًا بِفَنَاءِ دَارِهِ، فَكَانَ يُصَلِّي فِيهِ وَيَقْرَأُ الْقُرْآنَ، فَيَقِفُ عَلَيْهِ نِسَاءُ الْمُشْرِكِينَ، وَأَبْنَاؤُهُمْ يَعْجَبُونَ مِنْهُ وَيَنْظُرُونَ إِلَيْهِ، وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ رَجُلًا بَكَاءً لَا يَمْلِكُ عَيْنُهُ إِذَا قَرَأَ الْقُرْآنَ، فَافْزَعَ ذَلِكَ أَشْرَافَ قُرَيْشٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ. ^(٣)

قال البخاري: باب الْمَسْجِدِ يَكُونُ فِي الطَّرِيقِ مِنْ غَيْرِ ضَرَرٍ بِالنَّاسِ.

قال أبو طالب المكي: وفيه أيضاً مما أحدثوه البيع والشراء على الطريق وكان الورعون لا يشترون شيئاً ممن قعد على الطريق للبيع وكذلك إخراج الرواشن من البيوت وتقديم العضائد بين يدي الحوانيت إلى الطريق مكروهة... ومما كرهه السلف، طرح السنور والدابة على المزابل والطرقات، فيتأذى المسلمون بروائح ذلك وكان شريح وغيره إذا مات لهم سنور دفنوه في دورهم، ومثله إخراج الميازيب وصبها في الطرقات. كان أحمد بن حنبل وأهل الورع يجعلون ميازيبهم إلى داخل بيوتهم. ^(٤)

(١) الأدب المفرد (٢٣٠).

(٢) البخاري (٢٤٧٢)، مسلم (١٩١٤).

(٣) البخاري (٤٧٦).

(٤) قوت القلوب (١/ ٢٧٨).

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِذَا سَافَرْتُمْ فِي الْخُضْبِ، فَأَعْطُوا الْإِبِلَ حَظَّهَا مِنَ الْأَرْضِ، وَإِذَا سَافَرْتُمْ فِي السَّنَةِ، فَأَسْرِعُوا عَلَيْهَا السَّيْرَ، وَإِذَا عَرَسْتُمْ بِاللَّيْلِ، فَاجْتَنِبُوا الطَّرِيقَ، فَإِنَّهَا مَأْوَى الْهُوَامِّ بِاللَّيْلِ ^(١).

عَنْ أَبِي أُسَيْدٍ السَّاعِدِيِّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ وَهُوَ خَارِجٌ مِنَ الْمَسْجِدِ فَاخْتَلَطَ الرَّجَالُ مَعَ النِّسَاءِ فِي الطَّرِيقِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لِلنِّسَاءِ: اسْتَأْخِرْنَ، فَإِنَّهُ لَيْسَ لَكُنَّ أَنْ تَحْقُقَنَّ الطَّرِيقَ ^(٢) عَلَيْكُنَّ بِحَافَاتِ الطَّرِيقِ فَكَانَتِ الْمَرْأَةُ تَلْتَصِقُ بِالْجِدَارِ، حَتَّى إِنْ ثَوَّبَهَا لَيَتَعَلَّقُ بِالْجِدَارِ مِنْ لُصُوقِهَا بِهِ.. ^(٣)

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: - لَيْسَ لِلنِّسَاءِ وَسَطُ الطَّرِيقِ . ^(٤)

وَقَالَ ابْنُ حَبَانَ: قَوْلُهُ لَيْسَ لِلنِّسَاءِ وَسَطُ الطَّرِيقِ : لَفْظَةٌ إِخْبَارٌ مُرَادُهَا الزَّجْرُ عَنْ شَيْءٍ مُضْمَرٍ فِيهِ، وَهُوَ مُمَاسَّةُ النِّسَاءِ الرَّجَالَ فِي الْمَشْيِ، إِذْ وَسَطُ الطَّرِيقِ الْغَالِبُ عَلَى الرَّجَالِ سُلُوكُهُ، وَالْوَاجِبُ عَلَى النِّسَاءِ أَنْ يَتَخَلَّلْنَ الْجَوَانِبَ حَذَرَ مَا يَتَوَقَّعُ مِنْ مُمَاسَّتِهِمْ إِيَّاهُنَّ.

وَعَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: - لَعَنَ اللَّهُ مَنْ لَعَنَ وَالِدَهُ، وَلَعَنَ اللَّهُ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللَّهِ، وَلَعَنَ اللَّهُ مَنْ آوَى مُحَدَّثًا، وَلَعَنَ اللَّهُ مَنْ غَيَّرَ مَنَارَ الْأَرْضِ . ^(٥)

(١) مسلم (١٩٢٦).

(٢) قَالَ فِي النَّهْيَةِ: هُوَ أَنْ يَرْكَبْنَ حَقَّهَا، وَهُوَ وَسَطُهَا، وَالْمَعْنَى أَنَّ لَيْسَ لَهُنَّ أَنْ يَذْهَبْنَ فِي وَسَطِ الطَّرِيقِ. عون المعبود - (١١ / ٣٠٥).

(٣) صحيح الجامع: (٩٢٩)، وهداية الرواة: (٤٦٥٥).

(٤) ابن حبان (٥٦٠١) صحيح الجامع: (٥٤٢٥) الصَّحِيحَةُ: (٨٥٦).

(٥) مسلم (١٩٧٨).

الإحسان

عن أبي موسى عن النبي - **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** - قال: على كلِّ مسلم صدقةٌ ، فقالوا: يا نبيَّ الله! فمن لم يجد؟ قال: يعملُ بيده، فيَنفَعُ نَفْسَهُ ويتصدَّقُ ، قالوا: فإن لم يجد؟ قال: يُعِينُ ذا الحاجة الملهوف قالوا: فإن لم يجد؟ قال: فليعملْ بالمعروف، وليُمسِكْ عن الشرِّ؛ فإنها له صدقةٌ .^(١)

عن أنس - **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** - قال: قال رسولُ الله - **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** - : انْصُرْ أَخَاكَ ظالماً أو مَظْلوماً . قالوا: يا رسولَ الله! هذا ننصره مظلوماً، فكيف ننصره ظالماً؟! قال: تأخذُ فوقَ يديه . وفي طريق: تحجزُه أو تمنعه من الظلم، فإن ذلك نصره .^(٢)

وعن ابن مسعود - **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** - قال: قال رسولُ الله - **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** - : أمرُ بَعْدَ مَنْ عَادَ الله أَنْ يُضْرَبَ فِي قَبْرِهِ مائةَ جَلْدَةٍ، فَلَمْ يَزَلْ يَسْأَلُ وَيَدْعُو، حَتَّى صَارَتْ جَلْدَةً وَاحِدَةً، فَجُلِدَ جَلْدَةً وَاحِدَةً فَامْتَلَأَ قَبْرُهُ عَلَيْهِ نَارًا، فَلَمَّا ارْتَفَعَ عَنْهُ قَالَ: عَلَامَ جَلَدْتُمُونِي؟، قالوا: إِنَّكَ صَلَّيْتَ صَلَاةَ بَغِيرِ طُهورٍ وَمَرَرْتَ عَلَى مَظْلُومٍ فَلَمْ تَنْصُرْهُ .^(٣)

وعن أبي هريرة - **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** - عن رسولِ الله - **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** - أنه قال: من قَعَدَ مقعداً لم يذكر الله فيه كانت عليه من الله تِرةٌ، ومن اضطجع مضجعاً لا يذكرُ الله فيه كانت عليه من الله تِرةٌ .^(٤)

عن أبي هريرة - **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** - عن النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** - قال: ما جلس قوم مجلساً لم يذكروا الله فيه ولم يصلوا على نبيهم إلا كان عليهم ترة فإن شاء عذبهم وإن شاء غفر لهم .^(٥)

(١) البخاري (٦٩١) مسلم (١٠٠٨) .

(٢) البخاري (١١١٨) .

(٣) صحيح التَّرمِيزِ والتَّهْيِيبِ: (٢٢٣٤) الصَّحِيحَةُ: (٢٧٧٤) .

(٤) البخاري (٤٨٥٦) .

(٥) سنن الترمذي (٣٣٨٠) صححه العلامة الألباني .

عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عن النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قال: لَعَنَ اللَّهُ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللَّهِ، وَلَعَنَ اللَّهُ مَنْ غَيَّرَ تُحُومَ الْأَرْضِ، وَلَعَنَ اللَّهُ مَنْ كَمَّه أَعْمَى عَنِ السَّبِيلِ. ^(١)

وعن أبي ذر - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قال قال: رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: تبسمك في وجه أخيك لك صدقة وأمرك بالمعروف ونهيك عن المنكر صدقة وإرشادك الرجل في أرض الضلال لك صدقة وبصرك للرجل الرديء البصر لك صدقة وإماطتك الحجر والشوكة والعظم عن الطريق لك صدقة وإفراغك من دلوك في دلو أخيك لك صدقة. ^(٢)

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - نَهَى عَنِ الْأَفْنِيَةِ وَالصُّعْدَاتِ أَنْ يُجْلَسَ فِيهَا، فَقَالَ الْمُسْلِمُونَ: لَا نَسْتَطِيعُهُ، لَا نُطِيقُهُ، قَالَ: أَمَّا لَا، فَأَعْطُوا حَقَّهَا، قَالُوا: وَمَا حَقُّهَا؟ قَالَ: غَضُّ الْبَصَرِ، وَإِرْشَادُ ابْنِ السَّبِيلِ، وَتَشْمِيتُ الْعَاطِسِ إِذَا حَمَدَ اللَّهَ، وَرَدُّ التَّحِيَّةِ. ^(٣)

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - نَهَى عَنِ الْمَجَالِسِ بِالصُّعْدَاتِ فَقَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ لَيْشَقُّ عَلَيْنَا الْجُلُوسُ فِي بُيُوتِنَا قَالَ: فَإِنْ جَلَسْتُمْ فَأَعْطُوا الْمَجَالِسَ حَقَّهَا قَالُوا: وَمَا حَقُّهَا يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: إِذْ لَالُ السَّائِلِ وَرَدُّ السَّلَامِ وَغَضُّ الْأَبْصَارِ وَالْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ. ^(٤)

ويتضمن الإحسان في الطريق أمور منها:

أولاً: غَضُّ الْبَصَرِ وكف الأذى ورد السلام والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

(١) السلسلة الصحيحة (٣٤٦٢).

(٢) سنن الترمذي (١٩٥٦) والسلسلة الصحيحة (٥٧٢).

(٣) الأدب المفرد (١٠١٤) صحيحه الألباني.

(٤) الأدب المفرد (١١٤٩) والصحيحة (١٥٦١).

ثانياً: عدم قطعها والتضييق على المشاة فيها.

ثالثاً: عدم البناء فيها وتضييقها أو أخذ منها ولو شبراً بغير حق فإن هذا ظلم واعتداء على حق عام للمسلمين جميعاً.

رابعاً: عدم التغوط فيها ورمي المخالفات والنجاسات وفتح البلايع والمستقذرات فيها.

خامساً: إمالة جميع أنواع الأذى منها الحسي والمعنوي.

سادساً: عدم النوم في الطريق والجلوس فيها إلا الحاجة.

سابعاً: ليس للمرأة وسط الطريق بل للرجال.

ثامناً: حفظ منارها وعدم تغييره.

تاسعاً: إعانة الملهوف وذا الحاجة.

عاشراً: نصرة المظلوم.

الحادي عشر: كثرة ذكر الله تعالى.

الثاني عشر: هداية الأعمى والحران.

الثالث والعشرون: إحسان العبد إلى الميت:

الميت الذي ترك الدنيا وأقبل على الله تعالى فريداً وحيداً لا يملك لنفسه ضرراً ولا نفعاً إلا أن يتغمده الله برحمته وعفوه وإلا فالعطب والهلاك ولكن الله جعل لمن يكون من بعده من العباد من يصله إحسانه وخيره وهذا أصله كما نعلم من باب فضل الله على العبد وإحسانه إليه بعد الموت سواء كان هذا ولداً أو والداً أو قريباً أو بعيداً.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّقُ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فَمَنْ زُحِرَ عَنِ النَّكَارِ وَأَدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ [آل عمران : ١٨٥] .

وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِلشَّرِّ مِن قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِن مِّنْ فَهْمٍ لِّلْخَالِدُونَ﴾ [٣٤] كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبِّئُكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ [٣٥] [الأنبياء : ٥٣] .

قال ابن القيم - رَحِمَهُ اللَّهُ - :

الإحسان إلى الميت أن لا يطول عهده به فيهجره ويتناساه كما إذا ترك زيارة الحي مدة طويلة تناساه فإذا زار الحي فرح بزيارته وسر بذلك فالميت أولى لأنه قد صار في دار قد هجر أهلها إخوانهم وأهلهم ومعارفهم فإذا زاره وأهدى إليه هدية : من دعاء أو صدقة أو أهدى قرابة ازداد بذلك سروره وفرحه كما يسر الحي بمن يزوره ويهدي له ولهذا شرع النبي ﷺ للزائرين أن يدعوا لأهل القبور بالمغفرة والرحمة وسؤال العافية فقط ولم يشرع أن يدعوهم ولا أن يدعوا بهم ولا يصلي عندهم. ^(١)

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : أَكْثَرُوْا مِن شَهَادَةٍ أَن لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ قَبْلَ أَنْ يُحَالَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهَا، وَلَقِّنُوهَا مَوْتَكُمْ. ^(٢)

وعن أم سلمة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - قالت: دخل رسول الله ﷺ على أبي سلمة وقد شق بصره فأغمضه ثم قال : إن الروح إذا قبض تبعه البصر فضج ناس من أهله فقال: لا تدعوا على أنفسكم إلا بخير فإن الملائكة يؤمنون على ما تقولون . ثم قال : اللهم اغفر لأبي سلمة وارفع درجته في المهديين واخلفه في

(١) إغاثة الهفان (١/ ٢١٨) .

(٢) صحيح الجامع: (١٢١٢)، الصحيح: (٤٦٧) .

عقبه في الغابرين واغفر لنا وله يا رب العالمين وأفسح له في قبره ونور له فيه .^(١)

وَعَنْ شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - :
إِذَا حَضَرْتُمْ مَوْتَاكُمْ فَأَغْمِضُوا الْبَصَرَ، فَإِنَّ الْبَصَرَ يَتَّبِعُ الرُّوحَ، وَقُولُوا خَيْرًا،
فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ تُوَمِّنُ عَلَى مَا قَالَ أَهْلُ الْبَيْتِ .^(٢)

وعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: جَاءَ أَبُو بَكْرٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عَلَى فَرَسٍ مِنْ مَسْكَنِهِ بِالسُّنْحِ
حَتَّى نَزَلَ فَدَخَلَ الْمَسْجِدَ، فَلَمْ يُكَلِّمِ النَّاسَ حَتَّى دَخَلَ عَلَى عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا -
وَرَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - مُسَجًى بِرِدْ حَبْرَةٍ، فَكَشَفَ عَنْ وَجْهِهِ فَقَالَ: إِنَّا
لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، مَاتَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - .^(٣)

وَعَنْ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - قَالَتْ: سُجِّي رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - حِينَ
مَاتَ بِثَوْبِ حَبْرَةٍ .^(٤)

وَعَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - :
أَيُّمَا مُسْلِمٍ شَهِدَ لَهُ أَرْبَعَةٌ بِخَيْرٍ، أَدْخَلَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ فَقُلْنَا: وَثَلَاثَةٌ؟ قَالَ: وَثَلَاثَةٌ
فَقُلْنَا: وَاثْنَانِ؟ قَالَ: وَاثْنَانِ قَالَ: وَلَمْ نَسْأَلِ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - عَنْ
الْوَاحِدِ .^(٥)

وَعَنْ أَبِي زُهَيْرٍ الثَّقَفِيِّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - :
يُوشِكُ أَنْ تَعْرِفُوا أَهْلَ الْجَنَّةِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ فَقَالُوا: بِمَ ذَلِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ:
بِالْتَّنَاءِ الْحَسَنِ، وَالتَّنَاءِ السَّيِّئِ، أَنْتُمْ شُهَدَاءُ اللَّهِ بِعُضُكُمُ عَلَى بَعْضٍ .^(٦)

(١) مسلم (٩٢٠) .

(٢) ابن ماجه (١٤٥٥) والصحيحه (١٠٩٢) .

(٣) البخاري (٤١٨٧) .

(٤) البخاري (٥٤٧٧)، مسلم (٩٤٢) .

(٥) البخاري (١٣٠٢) .

(٦) ابن ماجه (٤٢٢١) صحيح . وصحيح موارد الظمان: (١٧٢٩) .

وَعَنْ عَلِيٍّ بْنِ رَبِيعَةَ الْأَسَدِيِّ قَالَ: أَوَّلُ مَنْ نِيحَ عَلَيْهِ بِالْكُوفَةِ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ يُقَالُ لَهُ: قَرْظَةُ بْنُ كَعْبٍ، فَجَاءَ الْمَغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - فَصَعَدَ الْمَنْبَرَ، فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، وَقَالَ: مَا بَالُ النَّوْحِ فِي الْإِسْلَامِ؟، أَمَا إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَقُولُ: مَنْ نِيحَ عَلَيْهِ، فَإِنَّهُ يُعَذَّبُ بِمَا نِيحَ عَلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ. (١)

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: لَمَّا طَعَنَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عَوَّلَتْ عَلَيْهِ حَفْصَةُ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - فَقَالَ لَهَا عُمَرُ: يَا حَفْصَةُ، أَمَا سَمِعْتَ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَقُولُ: إِنَّ الْمُعَوَّلَ عَلَيْهِ يُعَذَّبُ؟ فَقَالَتْ: بَلَى. (٢)

وَعَنْ أَبِي بُرْدَةَ بْنِ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: وَجَعَ أَبُو مُوسَى وَجَعًا، فَغَشِيَ عَلَيْهِ وَرَأْسُهُ فِي حَجَرٍ امْرَأَةً مِنْ أَهْلِهِ، فَصَاحَتْ فَلَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَرُدَّ عَلَيْهَا شَيْئًا، فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ: أَنَا بَرِيءٌ مِمَّنْ بَرِئَ مِنْهُ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بَرِئَ مِنَ الصَّالِقَةِ وَالْحَالِقَةِ، وَالشَّاقَةِ. (٣)

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَطَمَ الْخُدُودَ، وَشَقَّ الْجُيُوبَ، وَدَعَا بِدَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ. (٤)

وَعَنْ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : إِنْ كَسَرَ عَظْمَ الْمُؤْمِنِ مِثْلًا كَسَرَهُ حَيًّا. (٥)

وَعَنْ أَبِي رَافِعٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : مَنْ غَسَلَ مِيتًا فَكَتَمَ عَلَيْهِ، غَفَرَ اللَّهُ لَهُ أَرْبَعِينَ مَرَّةً، وَمَنْ كَفَّنَ مِيتًا، كَسَاهُ اللَّهُ مِنْ سُنْدُسٍ

(١) البخاري (٩٣٣)، مسلم (١٢٢٨) ..

(٢) مسلم (٩٢٧) ..

(٣) البخاري (١٢٣٤)، مسلم (١٠٤) ..

(٤) البخاري (١٢٣٢)، مسلم (١٠٣) ..

(٥) صحيح الجامع: (٢١٤٣)، صحيح الترغيب والترهيب (٣٥٦٧) ..

الإحسان

وَإِسْتَبْرَقَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ حَفَرَ لِمَيِّتٍ قَبْرًا فَأَجَنَّهُ فِيهِ، أُجْرِي لَهُ مِنَ الْأَجْرِ كَأَجْرِ مَسْكِنٍ أَسْكَنَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ .^(١)

وعن أبي هريرة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قال: سمعتُ رسولَ الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يقول: حقُّ المسلم على المسلم خمسٌ: ردُّ السلام، وعبادةُ المريض، واتباعُ الجنائز، وإجابةُ الدعوة، وتشميتُ العاطس .^(٢)

وعن أبي هريرة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قال: قال رسولُ الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : أَسْرِعُوا بِالْجَنَازَةِ، فَإِنْ تَكُنْ صَالِحَةً، فَخَيْرٌ تُقَدِّمُونَهَا إِلَيْهِ، وَإِنْ تَكُنْ غَيْرَ ذَلِكَ، فَشَرٌّ تَضَعُونَهُ عَنْ رِقَابِكُمْ .^(٣)

عن عثمان بن عفان - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قال: كان رسولُ الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - إذا فَرِغَ مِنْ دَفْنِ الْمَيِّتِ وَقَفَ عَلَيْهِ فَقَالَ: اسْتَغْفِرُوا لِأَخِيكُمْ وَسَلُّوا لَهُ التَّسْبِيحَ فَإِنَّهُ الْآنَ يُسْأَلُ .^(٤)

وعن عبد الرحمن ابن شماس المهرري قال: حضرنا عمرو بن العاص - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - وهو في سياقة الموت قال: فإذا أنا متُّ فلا تصحبني نائحة ولا نارٌ وشدوا علي إزارِي فإنِّي مُخَاصِمٌ فإذا دَفَنْتُمُونِي فَشُوا عَلَيَّ التُّرَابَ شَأً فَإِنْ جَنَّبِي الْأَيْمَنَ لَيْسَ بِأَحَقَّ بِالتُّرَابِ مِنْ جَنَّبِي الْأَيْسَرَ، وَلَا تَجْعَلَنَّ فِي قَبْرِي خَشَبَةً وَلَا حَجَرًا، فَإِذَا وَارَيْتُمُونِي فَأَقِيمُوا حَوْلَ قَبْرِي قَدْرَ مَا تُنَحَرُ جَزُورٌ وَيُقَسَّمُ لَحْمُهَا حَتَّى اسْتَأْنَسَ بِكُمْ وَأَنْظُرَ مَاذَا أَرَا جُعِ بِهِ رُسُلُ رَبِّي .^(٥)

(١) صحيح الترغيب والترهيب (٣٤٩٢) .

(٢) البخاري (٦٠٤) .

(٣) ابن ماجه (١٤٧٧) صحيح .

(٤) صحيح الجامع: (٩٤٥) صحيح الترغيب والترهيب: (٣٥١١) .

(٥) مسلم (١٢١) ..

وَعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ: نَهَى رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَنْ تُجْصَصَ الْقُبُورُ، وَأَنْ يُكْتَبَ عَلَيْهَا، وَأَنْ يُنَى عَلَيْهَا أَوْ يُزَادَ عَلَيْهِ أَوْ يُجْلَسَ عَلَيْهَا أَحَدٌ. (١)

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: لَأَنْ يُجْلَسَ أَحَدُكُمْ عَلَى جَمْرَةٍ فَتُحْرِقَ ثِيَابَهُ حَتَّى تَخْلَصَ إِلَى جِلْدِهِ، خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يُجْلَسَ عَلَى قَبْرِ. (٢)

وَعَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرِ الْجُهَنِيِّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: لَأَنْ أَمْشِيَ عَلَى جَمْرَةٍ أَوْ سَيْفٍ، أَوْ أَخْصَفَ نَعْلِي بَرَجْلِي، أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَمْشِيَ عَلَى قَبْرِ مُسْلِمٍ، وَمَا أَبَالِي أَوْ سَطَّ الْقُبُورِ قَضِيْتُ حَاجَتِي أَوْ وَسَطَ السُّوقِ. (٣)

وعن سعد بن الأطول، أَنَّ أَخَاهُ مَاتَ وَتَرَكَ ثَلَاثَةَ دَرَاهِمٍ، وَتَرَكَ عِيَالًا. فَأَرَدَتْ أَنْ أَنْفَقَهَا عَلَى عِيَالِهِ. فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ أَخَاكَ مُحْتَبَسٌ بِدِينِهِ، فَاقْضِ عَنْهُ. فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَدْ أَدَيْتَ عَنْهُ إِلَّا دِينَارَيْنِ، ادَّعَتْهُمَا امْرَأَةٌ وَلَيْسَ لَهَا بَيِّنَةٌ. قَالَ: فَأَعْطُهَا، فَإِنَّهَا مُحَقَّةٌ. (٤)

وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ: إِذَا مَرَضَ الرَّجُلُ فِي رَمَضَانَ ثُمَّ مَاتَ وَلَمْ يَصُمْ، أَطْعَمَ عَنْهُ وَلَمْ يَكُنْ عَلَيْهِ قِضَاءٌ، وَإِنْ كَانَ عَلَيْهِ نَذْرٌ قَضَى عَنْهُ وَلِيَّهُ.. (٥)

وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ: جَاءَتْ امْرَأَةٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ أُمِّي مَاتَتْ وَعَلَيْهَا صَوْمٌ نَذْرٌ، أَفَأَصُومُ عَنْهَا؟، قَالَ: أَرَأَيْتَ لَوْ كَانَ عَلَى أُمِّكَ دَيْنٌ فَقَضَيْتِهِ أَكَانَ يُؤَدِّي ذَلِكَ عَنْهَا؟، قَالَتْ: نَعَمْ،

(١) مسلم (٩٧٠).

(٢) مسلم (٩٧١).

(٣) صحيح الجامع: (٥٠٣٨) صحيح الترغيب والترهيب: (٣٥٦٥).

(٤) ابن ماجه (٢٤٣٣) صحيحه الألباني.

(٥) أبو داود (٢٤٠١) صحيحه الألباني في الإرواء تحت حديث: (٢٥٩٣).

قَالَ: فَصُومِي عَنْ أُمِّكَ . (١)

وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ: اسْتَفْتَى سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَقَالَ: إِنَّ أُمِّي عَلَيْهَا نَذْرٌ فَتُوفِّيتُ قَبْلَ أَنْ تَقْضِيَهُ فَقَالَ: اقْضِهِ عَنْهَا فَكَانَتْ سُنَّةً بَعْدُ. (٢)

وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ: تُوفِّيتُ أُمَّ سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - وَهُوَ غَائِبٌ عَنْهَا، فَاتَى النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ أُمِّي تُوفِّيتُ وَأَنَا غَائِبٌ عَنْهَا، فَهَلْ يَنْفَعُهَا شَيْءٌ إِنْ تَصَدَّقْتُ بِهِ عَنْهَا؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: فَإِنِّي أَشْهَدُكَ أَنَّ حَائِطِي الْمَخْرَافَ صَدَقَةٌ عَنْهَا. (٣)

وَعَنْ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - قَالَتْ: قَالَ رَجُلٌ لِلنَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : - إِنَّ أُمِّي افْتَلَتَتْ نَفْسَهَا وَلَمْ تَوْصَ، وَأَظُنُّهَا لَوْ تَكَلَّمَتْ تَصَدَّقَتْ فَهَلْ لَهَا أَجْرٌ إِنْ تَصَدَّقْتُ عَنْهَا وَلِي أَجْرٌ؟، قَالَ: نَعَمْ. (٤)

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ: جَاءَتْ امْرَأَةٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَقَالَتْ: إِنَّ أُمِّي نَذَرَتْ أَنْ تَحُجَّ، فَلَمَّتْ قَبْلَ أَنْ تَحُجَّ، أَفَأَحُجُّ عَنْهَا؟، قَالَ: نَعَمْ، حُجِّي عَنْهَا، أَرَأَيْتَ لَوْ كَانَ عَلَى أُمِّكَ دَيْنٌ أَكُنْتُ قَاضِيَتُهُ؟ قَالَتْ: نَعَمْ، قَالَ: فَاقْضُوا اللَّهَ الَّذِي لَهُ، فَإِنَّ اللَّهَ أَحَقُّ بِالْوَفَاءِ. (٥)

وعن أم سلمة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - قالت : دخل رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على أبي سلمة وقد شق بصره فأغمضه ثم قال : إن الروح إذا قبض تبعه البصر فضج ناس من أهله فقال : لا تدعوا على أنفسكم إلا بخير فإن الملائكة يؤمنون على

(١) مسلم (١١٤٨) .

(٢) البخاري (٢٦١٠، ٦٣٢٠)، مسلم (١٦٣٨) .

(٣) البخاري (٢٦١٨، ٢٦١١) .

(٤) البخاري (٥٥٢)، مسلم (١٠٠٤) .

(٥) البخاري (٦٨٨٥) .

ما تقولون . ثم قال: اللهم اغفر لأبي سلمة وارفع درجته في المهديين واخلفه في عقبه في الغابرين واغفر لنا وله يا رب العالمين وأفسح له في قبره ونور له فيه .^(١)

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ: إِلَّا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ .^(٢)

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ وَإِنْ مَّا يَلْحَقُ الْمُؤْمِنُ مِنْ عَمَلِهِ وَحَسَنَاتِهِ بَعْدَ مَوْتِهِ: صَدَقَةٌ جَارِيَةٌ أَوْ مُصْحَفًا وَرَثَتُهُ، أَوْ مَسْجِدًا بَنَاهُ، أَوْ بَيْتًا بَنَاهُ لِابْنِ السَّبِيلِ، أَوْ نَهْرًا أَجْرَاهُ، أَوْ صَدَقَةً أَخْرَجَهَا مِنْ مَالِهِ فِي صِحَّتِهِ وَحَيَاتِهِ، يَلْحَقُهُ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهِ أَوْ عِلْمٌ يُنْتَفَعُ بِهِ. عِلْمُهُ وَنَشْرُهُ . وفي رواية: أَوْ عِلْمٌ يُعْمَلُ بِهِ مِنْ بَعْدِهِ أَوْ وَلَدٌ صَالِحٌ تَرَكَهُ . وفي رواية: أَوْ وَلَدٌ صَالِحٌ يَدْعُو لَهُ .^(٣)

وَعَنْ أَنَسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : سَبْعَةٌ يُجْرَى لِلْعَبْدِ أَجْرُهُمْ وَهُوَ فِي قَبْرِهِ بَعْدَ مَوْتِهِ: مَنْ عَلَّمَ عِلْمًا، أَوْ أَجْرَى نَهْرًا، أَوْ حَفَرَ بَيْرًا، أَوْ غَرَسَ نَخْلًا، أَوْ بَنَى مَسْجِدًا، أَوْ وَرَثَ مُصْحَفًا، أَوْ تَرَكَ وَلَدًا يَسْتَغْفِرُ لَهُ بَعْدَ مَوْتِهِ .^(٤)

عَنْ بِلَالِ بْنِ يَحْيَى الْعَبْسِيِّ قَالَ: قَالَ حُذَيْفَةُ بْنُ الْيَمَانِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - : إِذَا مِتُّ فَلَا تُؤْذِنُوا بِي، إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَكُونَ نَعْيًا، فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَنْهَى عَنِ النَّعْيِ .^(٥)

(١) مسلم (٩٢٠).

(٢) مسلم (١٦٣١).

(٣) مسلم (١٦٣١).

(٤) صحيح الجامع (٣٦٠٢)، وصحيح الترغيب والترهيب (٧٣).

(٥) صحيح الترغيب والترهيب: (٣٥٣١).

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ: لَمَّا جَاءَ نَعِيُّ جَعْفَرٍ رَجَعَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - إِلَى أَهْلِهِ، فَقَالَ: إِنَّ آلَ جَعْفَرٍ قَدْ شُغِلُوا بِشَأْنٍ مَيْتِهِمْ، فَاصْنَعُوا لَهُمْ طَعَامًا. وَفِي رَوَايَةٍ: اصْنَعُوا لآلِ جَعْفَرٍ طَعَامًا، فَإِنَّهُ قَدْ جَاءَهُمْ مَا يَشْغَلُهُمْ ثُمَّ أَهْمَلَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - آلَ جَعْفَرٍ ثَلَاثًا أَنْ يَأْتِيَهُمْ، ثُمَّ أَتَاهُمْ، فَقَالَ: لَا تَبْكُوا عَلَيَّ أَخِي بَعْدَ الْيَوْمِ ثُمَّ قَالَ: ادْعُوا لِي ابْنِي أَخِي قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: فَجِئْتُ بَنَاءً كَانَا أَفْرَحُ، فَقَالَ: ادْعُوا لِي الْحَلَّاقَ فَجِئْتُ بِالْحَلَّاقِ، فَحَلَقَ رُءُوسَنَا، ثُمَّ قَالَ: أَمَّا مُحَمَّدٌ، فَشَبِيهُ عَمَّنَا أَبِي طَالِبٍ، وَأَمَّا عَبْدُ اللَّهِ، فَشَبِيهُ خَلْقِي وَخَلْقِي ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِي فَأَشَاهَا فَقَالَ: اللَّهُمَّ اخْلُفْ جَعْفَرًا فِي أَهْلِهِ، وَبَارِكْ لِعَبْدِ اللَّهِ فِي صَفْقَةِ يَمِينِهِ اللَّهُمَّ اخْلُفْ جَعْفَرًا فِي أَهْلِهِ، وَبَارِكْ لِعَبْدِ اللَّهِ فِي صَفْقَةِ يَمِينِهِ اللَّهُمَّ اخْلُفْ جَعْفَرًا فِي أَهْلِهِ، وَبَارِكْ لِعَبْدِ اللَّهِ فِي صَفْقَةِ يَمِينِهِ - قَالَهَا ثَلَاثَ مَرَارٍ - ، قَالَ: فَجَاءَتْ أُمُّنَا فَذَكَرَتْ لَهُ يَتْمَنَّا، وَجَعَلَتْ تُفْرِحُ لَهُ فَقَالَ لَهَا: الْعِيْلَةُ تَخَافِنَ عَلَيْهِمْ وَأَنَا وَلِيُّهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ؟. (٢)

وَعَنْ عَمْرٍو بْنِ حَزْمٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - :
مَا مِنْ مُؤْمِنٍ يُعْزِي أَخَاهُ بِمُصِيبَةٍ، إِلَّا كَسَاهُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ مِنْ حُلْلِ الْكَرَامَةِ يَوْمَ
الْقِيَامَةِ . (٣)

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ: فَلَمَّا جَاءَ نَعْيُ جَعْفَرٍ رَجَعَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - إِلَى أَهْلِهِ فَقَالَ: إِنَّ آلَ جَعْفَرٍ قَدْ شُغِلُوا بِشَأْنٍ مِثْلِهِمْ، فَاصْنَعُوا لَهُمْ طَعَامًا . وفي رواية: اصْنَعُوا لآلِ جَعْفَرٍ طَعَامًا، فَإِنَّهُ قَدْ

(١) أحمد (١٦١٢) صحيح.

(٢) صحيح الجامع (١٠١٥)، احكام الجنائز (ص ١٦٧).

(٣) الصحيحة (١٩٥)، وصحيح الترغيب (٣٥٠٨).

جَاءَهُمْ مَا يَشْغُلُهُمْ قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: فَمَا زَالَتْ سُنَّةٌ حَتَّى كَانَ حَدِيثًا فَتُرِكَ . (١)

ويتضمن الإحسان إلى الميت بأمور منها:

- أولاً: تلقينه قبل الموت لا إله إلا الله وتذكيره بذكر الله تعالى.
- ثانياً: تغميض عينيه بعد الموت والقبض للروح حفاظاً على هيئته التي تليق به وعمل بالسنة النبوية.
- ثالثاً: أن يغطوه بثوب يستر جميع بدنه بعد الموت سترأله وحفاظاً عليه حياً وميتاً.
- رابعاً: أن يجتنب النياحة عليه وتوابعها من ضرب الخدود وشق الجيوب والدعوى بدعوات أهل الجاهلية.
- خامساً: ألا تنتهك حرمة بالضرب والتشويه والأذى والتكشف لعورته وغير ذلك مما فيه حرمة الميت.
- سادساً: أن يحسن غسله.
- سابعاً: أن تتبع جنازته.
- ثامناً: أن يصلى عليه.
- تاسعاً: أن يدفن في بلد موته.
- عاشراً: الدعاء للميت بعد الدفن.
- الحادي عشر: عدم الإساءة لقبرة.
- الثاني عشر: إحسان تأدية الديون عليه والكفارات والندور وغيره من الحقوق الواجبة لله تعالى وللعباد.

(١) صحيح الجامع (١٠١٥)، احكام الجنائز (ص ١٦٧).

الثالث عشر: الدعاء والاستغفار والثناء والصدقة عليه.

الرابع عشر: عدم ارتكاب البدع والمحدثات على قبره.

الخامس عشر: تفقد أولاده وأهله والسؤال عنهم وعن حاجتهم.

السادس عشر: تعزية أهله وصنع الطعام لهم ومواساتهم.

السابع عشر: أن يثنى عليه بخير.

الرابع والعشرون: الإحسان إلى المسيء؛

قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِ الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ (٣٤) وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ (٣٥) وَمَا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٣٦) [فصلت: ٣٤-٣٦].

قال الهروي في منازل ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِيذُ﴾ (٥) في منزلة: (الفتوة): وهذه المنزلة أيضا ثلاث درجات لا يخاصم بلسانه ولا ينوي الخصومة بقلبه ولا يخطرها على باله هذا في حق نفسه.

الدرجة الثانية: أن تقرب من يقصيك وتكرم من يؤذيك وتعتذر إلى من يجني عليك ساحة لا كظا ومودة لا مصابرة هذه الدرجة أعلى مما قبلها وأصعب فإن الأولى: تتضمن ترك المقابلة والتغافل وهذه تتضمن الإحسان إلى من أساء إليك ومعاملته بضد ما عاملك به فيكون الإحسان والإساءة بينك وبينه خطتين فخطتك: الإحسان وخطته: الإساءة. (١)

قال الله تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِنْدِ أَنفُسِهِمْ مِّنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا﴾

(١) مدارج السالكين (٣/ ١٣٩).

وَأَصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٩﴾ [البقرة: ١٠٩] .

وقال الله تعالى: ﴿فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾﴾ [آل عمران: ١٥٩] .

وعن ابن مسعود - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قال: كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَحْكِي نَبِيًّا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ - صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ - ضَرْبَهُ قَوْمَهُ فَأَدْمُوهُ، وَهُوَ يَمْسَحُ الدَّمَ عَنْ وَجْهِهِ وَيَقُولُ: رَبِّ اغْفِرْ لِقَوْمِي فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ .^(١)

وَأَتَى عَبْدَ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ بِأَسَارَى ابْنِ الْأَشْعَثِ، فَقَالَ لِرَجَاءِ بْنِ حَيوةٍ: مَاذَا تَرَى؟ . قَالَ: إِنَّ اللَّهَ - تَعَالَى - قَدْ أَعْطَاكَ مَا تَحِبُّ مِنَ الظُّفْرِ فَأَعْطِ اللَّهَ مَا يَحِبُّ مِنَ الْعَفْوِ، فَعَفَا عَنْهُمْ.^(٢)

وقال الله تعالى: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا أَمَثَلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦٠﴾﴾ [الأنعام: ١٦٠] .

وقال الله تعالى: ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿٤٠﴾﴾ [الأنعام: ١٦٠] . قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ ﴿١٣٦﴾﴾ [النحل: ١٢٦] .

وقال الله تعالى: ﴿وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾﴾ [يوسف: ١٨] .

وعن معاذ بن أنس عن أبيه - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: مَنْ كَظَمَ غِيظًا وَهُوَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَنْفِذَهُ دَعَاهُ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - عَلَى رُؤُوسِ الْخَلَائِقِ

(١) البخاري (٦٩٢٩) واللفظ له، ومسلم (١٧٩٢) .

(٢) الإحياء (٣/ ١٩٦) .

حتى يخيّره من الحور ما شاء. (١)

عن ابن عباس - **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا** - قال: قدم عيينة بن حصن بن حذيفة على ابن أخيه الحرّ بن قيس، وكان من النّفر الذين يدينهم عمر، وكان القرّاء أصحاب مجالس عمر ومشاورته كهولا أو شبّانا فقال عيينة لابن أخيه: يا ابن أخي، لك وجه عند هذا الأمير فاستأذن لي عليه، قال: سأستأذن لك عليه، فاستأذن الحرّ لعيينة، فأذن له عمر، فلما دخل عليه قال: هي يا ابن الخطّاب، فوالله ما تعطينا الجزل، ولا تحكم بيننا بالعدل، فغضب عمر حتى همّ به، فقال له الحرّ: يا أمير المؤمنين، إنّ الله تعالى قال لنبيّه **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: **خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ** (١٣٣) [الأعراف: ١٩٩]، وإنّ هذا من الجاهلين، والله ما جاوزها عمر حين تلاها عليه، وكان وقّافا عند كتاب الله. (٢)

وعن أبي هريرة - **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** - عن النّبيّ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** فيما يحكي عن ربّه **عَزَّ وَجَلَّ** قال: أذنب عبد ذنبا. فقال: اللهم اغفر لي ذنبي. فقال تبارك وتعالى: أذنب عبدي ذنبا، فعلم أنّ له ربّا يغفر الذّنب، ويأخذ بالذّنب. ثمّ عاد فأذنب. فقال: أي رب اغفر لي ذنبي. فقال تبارك وتعالى: عبدي أذنب ذنبا فعلم أنّ له ربّا يغفر الذّنب، ويأخذ بالذّنب. ثمّ عاد فأذنب فقال: أي رب اغفر لي ذنبي. فقال تبارك وتعالى: أذنب عبدي ذنبا. فعلم أنّ له ربّا يغفر الذّنب، ويأخذ بالذّنب. اعمل ما شئت، فقد غفرت لك. (٣)

وعن عائشة - **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا** -، قالت: كان النّبيّ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** إذا بلغه عن الرّجل شيء لم يقل: ما بال فلان يقول؟ ولكن يقول: ما بال أقوام يقولون كذا

(١) الترمذي (٢٠٢١)، وأبو داود (٤٧٧٧).

(٢) البخاري (٤٦٤٢).

(٣) البخاري (٧٥٠٧) ومسلم (٢٧٥٨).

وَكَذَا؟ (١)

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: أَتَى رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِشَارِبٍ، فَقَالَ: اضْرِبُوهُ فَمِنَّا الضَّارِبُ بِيَدِهِ، وَمِنَّا الضَّارِبُ بِنَعْلِهِ، فَقَالَ بَعْضُ الْقَوْمِ: أَخْزَاكَ اللَّهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَا تَقُولُوا هَكَذَا لَا تُعِينُوا الشَّيْطَانَ عَلَيْهِ. (٢)

وقال عائذ بن عمرو: إِنَّ أَبَا سَفْيَانَ أَتَى عَلَى سَلْمَانَ وَصَهيبَ وَبِلَالٍ فِي نَفَرٍ. فَقَالُوا: وَاللَّهِ مَا أَخَذْتَ سِوْفَ اللَّهِ مِنْ عُنُقِ عَدُوِّ اللَّهِ مَا خَذَهَا. قَالَ: فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَتَقُولُونَ هَذَا لَشَيْخٍ قَرِيشٍ وَسَيِّدِهِمْ؟ فَأَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَخْبَرَهُ، فَقَالَ: يَا أَبَا بَكْرٍ لَعَلَّكَ أَغْضَبْتَهُمْ. لَئِنْ كُنْتَ أَغْضَبْتَهُمْ لَقَدْ أَغْضَبْتَ رَبَّكَ. فَأَتَاهُمْ أَبُو بَكْرٍ فَقَالَ: يَا إِخْوَتَاهُ؟ أَغْضَبْتَكُمْ؟ قَالُوا: لَا. يَغْفِرُ اللَّهُ لَكَ يَا أَخِي. (٣)

قال الله تعالى: ﴿ أَذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُ، قَوْلًا لِنَا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى ﴿٤٤﴾ قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَنْ يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَى ﴿٤٥﴾ ﴾ [الأعراف: ٤٣-٤٥].

وعن عائشة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - أَنَّ يَهُودَ أَتَوْا النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالُوا: السَّامَ عَلَيْكُمْ. فَقَالَتْ عَائِشَةُ: عَلَيْكُمْ وَلَعَنَكُمْ اللَّهُ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ. قَالَ: مَهْلًا يَا عَائِشَةُ عَلَيْكَ بِالرَّفْقِ وَإِيَّاكَ وَالْعَنْفَ وَالْفَحْشَ. قَالَتْ: أَوْ لَمْ تَسْمَعْ مَا قَالُوا؟. قَالَ: أَوْ لَمْ تَسْمَعِي مَا قُلْتَ رَدَدْتَ عَلَيْهِمْ فَيَسْتَجَابُ لِي فِيهِمْ وَلَا يَسْتَجَابُ لَهُمْ فِي. (٤)

عن أبي هريرة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّ رَجُلًا أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَقَضَّاهُ فَأَغْلَظَ، فَهَمَّ بِهِ أَصْحَابُهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: دَعُوهُ، فَإِنَّ لَصَاحِبَ

(١) أبو داود (٤٧٨٨) [قال الألباني]: صحيح.

(٢) البخاري (٦٣٩٥).

(٣) مسلم (٢٥٠٤).

(٤) البخاري (٦٠٣٠).

الحقّ مقالاً، ثمّ قال: أعطوه سنّاً مثل سنّه. قالوا: يا رسول الله إلّا أمثل من سنّه. فقال: اعطوه فإنّ من خيركم أحسنكم قضاء. (١)

وعن أبي هريرة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قال: قدم الطّفل بن عمرو الدّوسي وأصحابه على النّبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقالوا يا رسول الله إنّ دوساً عصت وأبت فادع الله عليها، فقل هلكت دوس. قال: اللهم اهد دوساً وأت بهم. (٢)

وعن عائشة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - زوج النّبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنّها قالت للنّبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: هل أتى عليك يوم كان أشدّ من يوم أحد؟. قال: لقد لقيت من قومك ما لقيت، وكان أشدّ ما لقيت منهم يوم العقبة، إذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل بن عبد كلال، فلم يجبني إلى ما أردت فانطلقت وأنا مهموم على وجهي، فلم أستفق إلّا وأنا بقرن الثّعالب فرفعت رأسي فإذا أنا بسحابة قد أظلتني فنظرت فإذا فيها جبريل، فناداني، فقال: إنّ الله قد سمع قول قومك لك وما ردّوا عليك وقد بعث الله إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم. فناداني ملك الجبال فسلم عليّ ثمّ قال: يا محمّد. فقال: ذلك فيما شئت، إنّ شئت أن أطبق عليهم الأخشبين فقال النّبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئاً. (٣)

قال الثوري: الإحسان أن تحسن إلى المسيء فإن الإحسان إلى المحسن تجارة. (٤)

وَرَوَى عَنْ مَيْمُونِ بْنِ مِهْرَانَ أَنَّ جَارِيَتَهُ جَاءَتْ ذَاتَ يَوْمٍ بِصَحْفَةٍ فِيهَا مَرَقَةٌ حَارَّةٌ، وَعِنْدَهُ أَضْيَافٌ فَعَثَرَتْ فَصَبَّتِ الْمَرَقَةَ عَلَيْهِ، فَأَرَادَ مَيْمُونٌ أَنْ يَضْرِبَهَا، فَقَالَتِ الْجَارِيَةُ: يَا مَوْلَايَ، اسْتَغْمِلْ قَوْلَ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ﴾

(١) البخاري (٢٣٠٦) واللفظ له. ومسلم (١٦٠١).

(٢) مسلم (٢٣٢٩).

(٣) البخاري (٣٢٣١) واللفظ له. مسلم (١٧٩٥).

(٤) تفسير البغوي (١/ ٢٧٥).

. قَالَ لَهَا: قَدْ فَعَلْتُ. فَقَالَتْ: اْعْمَلْ بِمَا بَعْدَهُ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ . فَقَالَ: قَدْ عَفَوْتُ عَنْكَ. فَقَالَتْ الْجَارِيَةُ: وَاللَّهِ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ . قَالَ مَيِّمُونٌ: قَدْ أَحْسَنْتُ إِلَيْكَ، فَأَنْتِ حُرَّةٌ لَوْ جَهَّ اللَّهُ تَعَالَى. ^(١)
قَالَ الْعَرَجِيُّ ^(٢):

وَإِذَا غَضِبْتَ فَكُنْ وَقُورًا كَاطِمًا لِلْغَيْظِ تُبْصِرُ مَا تَقُولُ وَتَسْمَعُ
فَكَفَى بِهِ شَرَفًا تَبْصُرُ سَاعَةً يَرْضَى بِهَا عَنْكَ إِلَٰهَهُ وَتُرْفَعُ

ويتضمن الإحسان إلى المسيء:

- أولاً: العفو عنه والصفح والسماحة ومعاملته بذلك مما يترك أثراً في نفسه.
- ثانياً: أن لا يجازى إلا على قد ذنبه فلا يعتدى عليه ولا يظلم بحجة أنه مسيء.
- ثالثاً: التغافل وكظم الغيظ عن تصرفاته ومعاملته بالحلم ما لم يكن هناك ضرراً على دين الله تعالى وعلى العباد.
- رابعاً: ترك فرصة لإصلاح خطأه وعدم إنزال الحكم عليه إلا بعد العذر وإقامة الحجة عليه.
- خامساً: عدم سبه أو شتمه وإعانة الشيطان عليه بل يكون بحسن التوجيه والنصح وإظهار المحبة له وإرادة الخير.
- سادساً: قبول عذره واعتذاره وعدم التنقيب عن ذلك.
- سابعاً: نصحه وتوجيهه برفق ولين ومحبة.

(١) الجامع لأحكام القرآن (٤/ ٢٠٧).

(٢) الجامع لأحكام القرآن (٤/ ٢٠٨).

ثامناً: ألا يُتعدى عليه في خصومته ولا هجره ولا الرد عليه بل يلزم العدل والإحسان.

تاسعاً: مقابلة الإساءة بالإحسان من البشاشة وحسن القول وبذل المعروف.

عاشرًا: الدعاء له بظهر الغيب بالتوفيق والسداد ودوام الخير.

الحادي عشر: الصبر عليه عند رجاء هدايته وصلاحه.

الخامس والعشرون: إحسان العبد في بيعه وشرائه:

عَنْ أَبِي بُرْدَةَ الْأَنْصَارِيِّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَيُّ الْكَسْبِ أَطْيَبُ؟، فَقَالَ: عَمَلُ الرَّجُلِ بِيَدِهِ، وَكُلُّ بَيْعٍ مَبْرُورٌ. (١)

فالإحسان في المعاملة: فقد أمر الله بالعدل والإحسان، ومن الإحسان المساخمة في البيع، وألا يغبنه في الربح بما لا يتغابن به عادة.

وإذا أراد البائع استيفاء الثمن أو الدين فيحسن تارة بالمساخمة، وتارة بحط البعض، وتارة بالإنظار، وتارة بالتساهل، ومن الإحسان إقالة المستقيل.

وَعَنْ جَابِرٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: رَحِمَ اللَّهُ عَبْدًا سَمَحًا إِذَا بَاعَ، سَمَحًا إِذَا اشْتَرَى سَمَحًا إِذَا اقْتَضَى. (٢)

عَنْ حَكِيمِ بْنِ حَزَامٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: الْبَيْعَانِ بِالْخِيَارِ مَا لَمْ يَتَفَرَّقَا، أَوْ قَالَ: حَتَّى يَتَفَرَّقَا فَإِنْ صَدَقَا وَبَيَّنَّا بُورِكَ لُهُمَا فِي بَيْعِهِمَا، وَإِنْ كَتَمَا وَكَذَبَا، مُحِقَّتْ بَرَكَةُ بَيْعِهِمَا. (٣)

(١) صحيح الجامع: (١٠٣٣).

(٢) البخاري (١٩٧٠).

(٣) البخاري (١٩٧٣)، مسلم (١٥٣٢).

وَقَدْ اختلفَ الْقَائِلُونَ بِأَنَّ الْمُرَادَ أَنَّ يَتَفَرَّقًا بِالْأَبْدَانِ، هَلْ لِلتَّفَرُّقِ الْمَذْكُورِ حَدٌّ يُنْتَهَى إِلَيْهِ؟

وَالْمَشْهُورُ الرَّاجِحُ مِنْ مَذْهَبِ الْعُلَمَاءِ فِي ذَلِكَ أَنَّهُ مُوَكَّلٌ إِلَى الْعُرْفِ، فَكُلُّ مَا عُدَّ فِي الْعُرْفِ تَفَرُّقًا حُكِمَ بِهِ، وَمَا لَا فَلَا وَاللَّهُ أَعْلَمُ. ^(١)

وَعَنْ وَائِلَةَ بْنِ الْأَسْقَعِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَخْرُجُ إِلَيْنَا - وَكُنَّا تَجَارًا - فَكَانَ يَقُولُ: يَا مَعْشَرَ التَّجَارِ، إِيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ. ^(٢)

وَعَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرِ الْجُهَنِيِّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ، وَلَا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ بَاعَ مِنْ أَخِيهِ بَيْعًا فِيهِ عَيْبٌ إِلَّا بَيَّنَّهُ لَهُ. ^(٣)

وَعَنْ يَحْيَى ابْنِ سَعِيدٍ قَالَ: كَانَ سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ يُحَدِّثُ أَنَّ مَعْمَرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ نَضْلَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ اخْتَكَرَ حُكْرَةً يُرِيدُ أَنْ يُغْلِيَ بِهَا عَلَى الْمُسْلِمِينَ، فَهُوَ خَاطِئٌ.

وَفِي رَوَايَةٍ: لَا يَحْتَكِرُ إِلَّا خَاطِئٌ فَقِيلَ لِسَعِيدٍ: يَا أَبَا مُحَمَّدٍ، إِنَّكَ تَحْتَكِرُ فَقَالَ سَعِيدٌ: إِنَّ مَعْمَرًا الَّذِي كَانَ يُحَدِّثُ هَذَا الْحَدِيثَ، كَانَ يَحْتَكِرُ. ^(٤)

قَالَ النَّوَوِيُّ: الْاِحْتِكَارُ الْمَحْرَمُ هُوَ فِي الْأَقْوَاتِ خَاصَّةً، بِأَنْ يَشْتَرِيَ الطَّعَامَ فِي وَقْتِ الْغَلَاءِ، وَلَا يَبِيعُهُ فِي الْحَالِ، بَلْ أَدَّخَرَهُ لِيُغْلُو، فَأَمَّا إِذَا جَاءَ مِنْ قَرْيَةٍ، أَوْ اشْتَرَاهُ فِي وَقْتِ الرُّخْصِ، وَأَدَّخَرَهُ وَبَاعَهُ فِي وَقْتِ الْغَلَاءِ، فَلَيْسَ بِاِحْتِكَارٍ، وَلَا تَحْرِيمٍ فِيهِ، وَأَمَّا غَيْرُ الْأَقْوَاتِ، فَلَا يَحْرُمُ الْاِحْتِكَارُ فِيهِ بِكُلِّ حَالٍ. اِنْتَهَى.

(١) فتح الباري (٦/ ٤٣١).

(٢) صحيح الترغيب والترهيب (١٧٩٣).

(٣) صحيح الجامع (٦٧٠٥) صحيح الترغيب والترهيب (١٧٧٥).

(٤) مسلم (١٦٠٥).

الإحسان

وَاسْتَدَلَ مَالِكٌ بِعُمُومِ الْحَدِيثِ عَلَى أَنَّ الْإِحْتِكَارَ حَرَامٌ مِنَ الْمَطْعُومِ وَغَيْرِهِ. ^(١)
وعن حذيفة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قال: قال: رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : تَلَقَّتِ
الملائكة روح رجل ممن كان قبلكم، فقالوا: أعملت من الخير شيئاً؟ قال: لا.
قالوا: تذكر. قال: كنت أداين الناس فأمر فتياي أن ينظروا المعسر ويتجوزوا
عن الموسر. قال: قال الله عَزَّوَجَلَّ - : تجوزوا عنه. ^(٢)

وَعَنْ بُرَيْدَةَ الْأَسْلَمِيِّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ: رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : مَنْ
أَنْظَرَ مُعْسِراً فَلَهُ بِكُلِّ يَوْمٍ مِثْلُهُ صَدَقَةٌ قَبْلَ أَنْ يَحِلَّ الدَّيْنُ، فَإِذَا حُلَّ الدَّيْنُ فَأَنْظَرَهُ،
فَلَهُ بِكُلِّ يَوْمٍ مِثْلِيهِ صَدَقَةٌ. ^(٣)

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : مَنْ أَنْظَرَ
مُعْسِراً أَوْ وَضَعَ لَهُ، أَظْلَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تَحْتَ ظِلِّ عَرْشِهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ. ^(٤)
وَعَنْ ابْنِ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: مَنْ طَلَبَ حَقًّا
فَلْيَطْلُبْهُ فِي عَفَافٍ، وَافٍ أَوْ غَيْرِ وَافٍ. ^(٥)

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: لَمَّا تُوُفِّيَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَاسْتُخْلِفَ أَبُو
بَكْرٍ بَعْدَهُ، وَكَفَرَ مَنْ كَفَرَ مِنَ الْعَرَبِ، قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ لِأَبِي بَكْرٍ: كَيْفَ
تُقَاتِلُ النَّاسَ، وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَمَرْتُ أَنْ أَقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى
يَقُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَمَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَقَدْ عَصَمَ مِنِّي مَالَهُ، وَنَفْسَهُ،
إِلَّا بِحَقِّهِ وَحِسَابِهِ عَلَى اللَّهِ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: وَاللَّهِ لَا أَقَاتِلَنَّ مَنْ فَرَّقَ بَيْنَ الصَّلَاةِ،

(١) تحفة الأحوذى (٣ / ٣٧٤).

(٢) البخاري (٢٠٧٧)، ومسلم (١٥٦٠) واللفظ له.

(٣) صحيح الجامع (٦١٠٨) صحيح الترغيب والترهيب (٩٠٧).

(٤) صحيح الجامع (٦١٠٦) صحيح الترغيب والترهيب (٩٠٩).

(٥) صحيح الجامع (٦٣٨٤) صحيح الترغيب والترهيب (١٧٥٦).

وَالزَّكَاةَ، فَإِنَّ الزَّكَاةَ حَقُّ الْمَالِ، وَاللَّهُ لَوْ مَنَعُونِي عَقْلًا كَانُوا يُؤَدُّونَهُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَقَاتَلْتَهُمْ عَلَى مَنَعِهِ، فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ: فَوَاللَّهِ، مَا هُوَ إِلَّا أَنْ رَأَيْتُ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ شَرَحَ صَدْرَ أَبِي بَكْرٍ لِلْقِتَالِ، فَعَرَفْتُ أَنَّهُ الْحَقُّ. ^(١)

قال الله تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ^(١) الَّذِينَ إِذَا أَكَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ^(٢) وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ^(٣)﴾ [المطففين: ١-٣].

وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ: لَمَّا قَدَّمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَدِينَةَ كَانُوا مِنْ أَخْبَثِ النَّاسِ كَيْلًا، فَأَنْزَلَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ^(١)﴾ فَأَحْسَنُوا الْكَيْلَ بَعْدَ ذَلِكَ. ^(٢)

وَعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِذَا وَزَنْتُمْ فَأَرْجَحُوا ^(٣)

وَعَنْ سَلْمَانَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ثَلَاثَةٌ لَا يُنْظَرُ اللَّهُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: أَشْمِطُ زَانٍ، وَعَائِلٌ مُسْتَكْبِرٌ وَرَجُلٌ جَعَلَ اللَّهُ بِضَاعَتَهُ، لَا يَشْتَرِي إِلَّا بِيَمِينِهِ، وَلَا يَبِيعُ إِلَّا بِيَمِينِهِ. ^(٤)

وَعَنْ رِفَاعَةَ بْنِ رَافِعِ الزُّرْقِيِّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الْمَصَلَّى فَرَأَى النَّاسَ يَتَبَايَعُونَ، فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ التُّجَّارِ، فَاسْتَجَابُوا لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَرَفَعُوا أَعْنَاقَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ إِلَيْهِ، فَقَالَ: إِنَّ التُّجَّارَ يُبْعَثُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فُجَّارًا، إِلَّا مَنْ اتَّقَى اللَّهَ، وَبَرَّ وَصَدَّقَ. وَفِي رَوَايَةٍ: قَالَ: إِنَّ التُّجَّارَ هُمْ الْفُجَّارُ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَوْلَيْسَ قَدْ أَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ؟، قَالَ: بَلَى، وَلَكِنَّهُمْ

(١) البخاري (٦٥٢٦)، مسلم (٢٠).

(٢) صحيح الترغيب والترهيب (١٧٦٠).

(٣) صحيح الجامع (٨٢٥).

(٤) صحيح الجامع (٣٠٧٢) صحيح الترغيب والترهيب (١٧٨٨).

يُحَدِّثُونَ فَيَكْذِبُونَ وَيُخْلِفُونَ فَيَأْتُمُونَ . (١)

وقال قتادة: كَانَ الْقَوْمُ يَتَّبِعُونَ وَيَتَجَرَّوْنَ، وَلَكِنَّهُمْ إِذَا نَابَهُمْ حَقٌّ مِنْ حَقِّ اللَّهِ؛ لَمْ تُلْهِهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ، حَتَّى يُؤَدُّوهُ إِلَى اللَّهِ. (٢)

عن المقدم - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عن رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قال: مَا أَكَلَ أَحَدٌ طَعَامًا قَطُّ خَيْرًا مِنْ أَنْ يَأْكُلَ مِنْ عَمَلٍ يَدِهِ، وَإِنَّ نَبِيَّ اللَّهِ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ يَأْكُلُ مِنْ عَمَلٍ يَدِهِ .. (٣)

وَعَنْ كَعْبِ بْنِ عُجْرَةَ قَالَ: مَرَّ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجُلٌ، فَرَأَى أَصْحَابُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ جِلْدِهِ وَنَشَاطِهِ مَا أَعْجَبَهُمْ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَوْ كَانَ هَذَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنْ كَانَ خَرَجَ يَسْعَى عَلَى وَلَدِهِ صَغَارًا فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَإِنْ خَرَجَ يَسْعَى عَلَى أَبَوَيْنِ شَيْخَيْنِ كَبِيرَيْنِ فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَإِنْ كَانَ يَسْعَى عَلَى نَفْسِهِ يَعْفُهَا فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَإِنْ كَانَ خَرَجَ رِبَاءً وَتَفَاخُرًا فَهُوَ فِي سَبِيلِ الشَّيْطَانِ. (٤)

وَعَنْ أَبِي مَسْعُودٍ الْأَنْصَارِيِّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ: رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : إِنْ الْمُسْلِمُ إِذَا أَنْفَقَ عَلَى أَهْلِهِ نَفَقَةً وَهُوَ يَحْتَسِبُهَا كَانَتْ لَهُ صَدَقَةٌ. (٥)

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ: رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : تَصَدَّقُوا، فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، عِنْدِي دِينَارٌ، قَالَ: تَصَدَّقْ بِهِ عَلَى نَفْسِكَ قَالَ: عِنْدِي دِينَارٌ آخَرُ، قَالَ: تَصَدَّقْ بِهِ عَلَى زَوْجَتِكَ، قَالَ: عِنْدِي دِينَارٌ آخَرُ، قَالَ: تَصَدَّقْ

(١) صَحِيحُ الْجَامِعِ (١٥٩٤) وَالصَّحِيحَةُ (٣٦٦) .

(٢) الْبَخَارِيُّ (٤١٠) .

(٣) الْبَخَارِيُّ (٩٧٩) .

(٤) صَحِيحُ التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهيبِ: (١٦٩٢) .

(٥) الْبَخَارِيُّ (٥٠٣٦)، مُسْلِمٌ (١٠٠٢) .

بِهِ عَلَى وَلَدِكَ قَالَ: عِنْدِي دِينَارٌ آخَرُ، قَالَ: تَصَدَّقْ بِهِ عَلَى خَادِمِكَ ، قَالَ: عِنْدِي دِينَارٌ آخَرُ، قَالَ: أَنْتَ أَبْصَرُ . (١) .

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ فِي بُيُوتٍ أُذِنَ اللَّهُ أَنْ تَرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا أَسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴾ (٣٦) رِجَالٌ لَا فُلْهِيهِمْ بَحْرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ﴾ (٣٧) لِيَجْزِيََهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ ۗ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ (٣٨) [النور: ٣٦-٣٨] .

وعن أبي أمامة الباهلي - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: - وَرَأَى سَكَّةً وَشَيْئًا مِّنْ آلَةِ الْحَرْثِ - فَقَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَقُولُ: لَا يَدْخُلُ هَذَا بَيْتَ قَوْمٍ إِلَّا أَدْخَلَهُ الذَّلُّ . (٢) .

وعن ابن عمر - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَقُولُ: إِذَا تَبَايَعْتُمْ بِالْعَيْنَةِ، وَأَخَذْتُمْ أَذْنَابَ الْبَقَرِ، وَرَضَيْتُمْ بِالزَّرْعِ، وَتَرَكْتُمُ الْجِهَادَ، سَلَّطَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ ذَلًّا لَا يَنْزِعُهُ حَتَّى تَرْجِعُوا إِلَى دِينِكُمْ . (٣) .

قال الألباني - رَحِمَهُ اللَّهُ - (٤) :

فتأمل كيف بَيَّنَّ هَذَا الْحَدِيثُ مَا أَجْمَلَ فِي حَدِيثِ أَبِي أَمَامَةَ حِينَ رَأَى سَكَّةً وَشَيْئًا مِّنْ آلَةِ الْحَرْثِ فَقَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَقُولُ: لَا يَدْخُلُ هَذَا بَيْتَ قَوْمٍ إِلَّا أَدْخَلَهُ اللَّهُ الذَّلُّ فَذَكَرَ أَنَّ تَسْلِيْطَ الذَّلِّ لَيْسَ هُوَ لِمَجْرَدِ الزَّرْعِ وَالْحَرْثِ، بَلْ لَمَّا اقْتَرَنَ بِهِ مِنَ الْإِخْلَادِ إِلَيْهِ، وَالْإِنْشَغَالِ بِهِ عَنِ الْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، فَهَذَا هُوَ الْمُرَادُ بِالْحَدِيثِ، وَأَمَّا الزَّرْعُ الَّذِي لَمْ يَقْتَرَنَ بِهِ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ، فَهُوَ الْمُرَادُ بِالْأَحَادِيثِ الْمُرَغَّبَةِ فِي الْحَرْثِ، فَلَا تَعَارُضَ بَيْنَهَا وَلَا إِشْكَالَ . أ. هـ .

(١) أحمد (٧٤١٣) حسنه الألباني في الإرواء: (٨٩٥) .

(٢) البخاري (١٠٨٣) .

(٣) سنن أبي داود (٣٤٦٢) صحيح .

(٤) الصَّحِيْحَةُ عِنْدَ الْحَدِيثِ (١١) .

الإحسان

وقال الله تعالى: ﴿وَأَنْفِقُوا مِنْ مَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ ١٠﴾ [العنكبوت: ١٠] الآية، وقوله: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفِيعَةٌ﴾ [البقرة: ٤٥٢] الآية .

وعن أبي هريرة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عن النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قال: ورَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا، حَتَّى لَا تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا صَنَعَتْ يَمِينُهُ، وقوله: ﴿إِنْ تَبَدُّوا أَلَصَّدَقَتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾ [البقرة: ١٧٢] الآية (١)

عن أنس - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قال: مرَّ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بِتَمْرَةٍ مُسْقَطَةٍ فِي الطَّرِيقِ فَقَالَ: لَوْلَا أَنِّي أَخَافُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الصَّدَقَةِ لَأَكَلْتُهَا . (٢)

وَعَنْ أَبِي رَافِعٍ مَوْلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: كَانَ لِرَجُلٍ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سِنَّ مِنَ الْإِبِلِ، فَجَاءَهُ يَتَقَاضَاهُ فَأَغْلَظَ لَهُ فَهَمَّ بِهِ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ لَهُمُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: دَعُوهُ، فَإِنَّ لَصَاحِبِ الْحَقِّ مَقَالًا وَاشْتَرَوْا لَهُ بَعِيرًا مِثْلَ سِنِّ بَعِيرِهِ فَأَعْطَوْهُ إِيَّاهُ فَطَلَبُوا سِنَّهُ، فَلَمْ يَجِدُوا لَهُ إِلَّا سِنًّا فَوْقَهَا فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ لَمْ نَجِدْ إِلَّا سِنًّا فَوْقَ سِنِّ بَعِيرِهِ قَالَ: اشْتَرَوْهُ فَأَعْطَوْهُ إِيَّاهُ فَإِنَّ خَيْرَكُمْ أَحْسَنُكُمْ قَضَاءً (٣)

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: اسْتَقْرَضَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سِنًّا، فَأَعْطَى سِنًّا فَوْقَهُ، وَقَالَ: خِيَارُكُمْ مُحَاسِنُكُمْ قَضَاءً . (٤)

(١) البخاري (٢٢٣).

(٢) البخاري (٩٦٩).

(٣) البخاري (٢١٨٢)، مسلم (١٦٠٠).

(٤) مسلم (١٦٠١).

وعن جابر بن عبد الله - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: رحم الله رجلاً سمحاً إذا باع، وإذا اشترى، وإذا اقتضى. (١).

ويتضمن الإحسان في البيع والشراء أمور منها:

- أولاً: الصدق بين البائع والمشتري في بيعهما وشرائهما.
- ثالثاً: النصح للمشتري عند البيع.
- رابعاً: عدم التعامل بالبيع المحرم وبالربا وبيع الغرر.
- خامساً: عدم الاحتكار لسلع عند الحاجة إليها.
- سادساً: عدم الزيادة في الربح على المقدار المعتاد عرفاً.
- سابعاً: إنضار المعسر وإمهاله حتى ييسر الله له بدون من ولا أذى.
- ثامناً: إخراج زكاة المال.
- تاسعاً: إقالة النادم وصاحب الضرر في البيع والشراء.
- عاشراً: البعد عن الغش.
- الحادي عشر: تجنب التطفيف وإذا وزن أن يرجع.
- الثاني عشر: تجنب الكذب والحلف في البيع والشراء.
- الثالث عشر: فلا ينبغي للتاجر أن يشغله معاشه عن معاده بل يراعي دينه.
- الرابع عشر: حُسن النية في التجارة، فينوي بها الاستعفاف عن السؤال، وكف الطمع عن الناس، وكفاية العيال، والإفاضة على الإخوان، والإحسان إلى الفقراء بالصدقات، وامتنال أوامر الله في التجارة ليحصل له الأجر، ويكون

(١) البخاري (٢٠٧٦).

من جملة المجاهدين.

الخامس عشر: ألا يمنعه سوق الدنيا عن سوق الآخرة، وسوق الآخرة المساجد، وطلب العلم، والدعوة، والعبادة، وأعمال البر المختلفة، فيقسم الأوقات حسب حاله، ويرجع سوق الآخرة.

السادس عشر: أن يلازم ذكر الله تعالى في السوق، ويشغل بالتسبيح والتهليل، وغض البصر، وحفظ اللسان، والذكر والفكر والتذكير، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

السابع عشر: ألا يقتصر على اجتناب الحرام، بل يتوقى مواقع الشبهات، ومواضع الريب.

الثامن عشر: أن يقصد بتجارته وصناعته مع إعفاف نفسه القيام بفرض من فروض الكفايات التي يحتاجها المسلمون ليؤجر على ذلك.

التاسع عشر: حسن القضاء.

السادس والعشرون: الإحسان في الضيافة:

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قَالَ: لَمَّا قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَدِينَةَ، انْجَفَلَ النَّاسُ إِلَيْهِ وَقِيلَ: قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ، قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ، فَجَنَّتْ فِي النَّاسِ لَأَنْظُرَ إِلَيْهِ، فَلَمَّا اسْتَبْتُ وَجْهَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَرَفْتُ أَنَّ وَجْهَهُ لَيْسَ بِوَجْهِ كَذَّابٍ، وَكَانَ أَوَّلُ شَيْءٍ تَكَلَّمَ بِهِ أَنْ قَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ، أَفْشُوا السَّلَامَ، وَأَطْعِمُوا الطَّعَامَ وَصَلُّوا الْأَرْحَامَ، وَصَلُّوا بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ، تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ بِسَلَامٍ. ^(١)

(١) صحيح الجامع (٧٨٦٥)، الصحيح (٥٦٩).

وَعَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَا خَيْرَ فِيمَنْ لَا يُضِيفُ^(١).

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ خَمْسٌ: فِي رَوَايَةٍ: حَقُّ الْمُؤْمِنِ عَلَى الْمُؤْمِنِ سِتُّ خِصَالٍ قِيلَ: مَا هُنَّ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: إِذَا لَقِيتَهُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ وَإِذَا دَعَاكَ فَأَجِبْهُ وَإِذَا اسْتَنْصَحَكَ فَانْصَحْ لَهُ وَإِذَا عَطَسَ فَحَمِدَ اللَّهَ فَشَمِّتْهُ وَإِذَا مَرَضَ فَعُدَّهُ وَإِذَا مَاتَ فَاتَّبِعْهُ^(٢).

الْحَقُّ هُنَا الْوُجُوبُ، وَالظَّاهِرُ أَنَّ الْمُرَادَ بِهِ هُنَا وَجُوبُ الْكِفَايَةِ^(٣).

وَعَنْ نَافِعٍ عَنْ ابْنِ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: إِذَا دَعَا أَحَدُكُمْ أَخَاهُ فَلْيُجِبْ، عُرْسًا كَانَ أَوْ نَحْوَهُ فَإِنْ كَانَ مُفْطِرًا فَلْيُطْعَمْ، وَإِنْ كَانَ صَائِمًا فَلْيَدْعُ بِالْبَرَكَةِ وَمَنْ لَمْ يُجِبِ الدَّعْوَةَ، فَقَدْ عَصَى اللَّهَ وَرَسُولَهُ قَالَ: وَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ يَأْتِي الدَّعْوَةَ فِي الْعُرْسِ وَغَيْرِ الْعُرْسِ صَائِمًا وَمُفْطِرًا فَإِنْ كَانَ صَائِمًا، دَعَا بِالْبَرَكَةِ ثُمَّ انْصَرَفَ، وَإِنْ كَانَ مُفْطِرًا جَلَسَ فَأَكَلَ^(٤).

عَنْ أَسْلَمَ مَوْلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَدِمَ عُمَرُ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - الشَّامَ، فَصَنَعَ لَهُ رَجُلٌ مِنَ النَّصَارَى طَعَامًا، فَقَالَ لِعُمَرَ: إِنِّي أَحَبُّ أَنْ تَجِئَنِي وَتُكْرِمَنِي أَنْتَ وَأَصْحَابُكَ - وَهُوَ رَجُلٌ مِنْ عُظَمَاءِ الشَّامِ - فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: إِنَّا لَا نَدْخُلُ كَنَائِسُكُمْ مِنْ أَجْلِ الصُّورِ الَّتِي فِيهَا - يَعْنِي التَّمَاثِيلَ -^(٥) وقال: واعلم أن في قول عمر دليلًا واضحًا على خطأ ما يفعله بعض المشايخ من الحضور في الكنائس

(١) صَحِيحُ الْجَامِعِ (٧٤٩٢)، وَالصَّحِيحَةُ (٢٤٣٤).

(٢) الْبُخَارِيُّ (١١٨٣)، مُسْلِمٌ (٢١٦٢).

(٣) فَتْحُ الْبَارِيِّ (ج ٤ / ص ٢٦٥).

(٤) الْبُخَارِيُّ (٤٨٨٤)، مُسْلِمٌ (١٤٢٩).

(٥) الْبَيْهَقِيُّ فِي السُّنَنِ (١٤٣٤١) وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي آدَابِ الزَّفَافِ ص ٩٢.

الممتلئة بالصور والتماثيل، استجابةً منهم لرغبة بعض المسؤولين أو غيرهم.

واستدل الألباني - رَحِمَهُ اللهُ - كذلك بفعل النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مع عائشة عندما اتخذت قِراماً فيه تصاوير فرفض أن يدخل البيت، حتى أخرج من البيت. وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قَالَ: زَارَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَهْلَ بَيْتِ مَنْ الْأَنْصَارِ، فَطَعِمَ عَنْدهُمْ طَعَامًا، فَلَمَّا أَرَادَ أَنْ يَخْرُجَ، أَمَرَ بِمَكَانٍ مِنَ الْبَيْتِ فَنُضِحَ لَهُ عَلَى بَسَاطٍ، فَصَلَّى عَلَيْهِ، وَدَعَا لَهُمْ. ^(١)

وقال الله تعالى: ﴿فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ﴾ [الذاريات: ٢٦] قال السعدي: ولهذا راغ إلى أهله أي: ذهب سريعاً في خفية، ليحضر لهم قراهم. ^(٢)

قال الله سُبحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ﴾ [الذاريات: ٢٧]، ففيه أيضاً: التلطف في خطاب الأضياف، ففي قوله: ﴿أَلَا تَأْكُلُونَ﴾ لم يطلب منهم الجلوس للطعام ولم يسألهم هل أكلوا أم لم يأكلوا إلى غير ذلك من الأسئلة السمجة المحرجة التي تجعل الضيف ينفر منك ومن طعامك قبل أن تأتي به، فالأولى أن تقرب ما عندك وتتلطف كما تلطف الخليل إبراهيم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذ قال: ﴿أَلَا تَأْكُلُونَ﴾.

وعَنْ أَبِي عَسِيبٍ مَوْلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما جاء أبو التيهان وكان النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَزَلَ بِهِ ضَيْفًا وَأَبُو وَبَكْرٌ وَعُمَرُ قَالَ: فَنَظَرَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَصَاحِبَيْهِ ثُمَّ قَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ، مَا أَحَدُ الْيَوْمِ أَكْرَمَ أَضْيَافًا مِنِّي. ^(٣) قَالَ الْأَوْزَاعِيُّ: كَرَامَةُ الضَّيْفِ طَلَاقَةُ الْوَجْهِ. ^(٤)

(١) البخاري (٥٧٣٠).

(٢) تيسير الكريم الرحمن (٨٠٩).

(٣) مسلم (٢٠٣٨).

(٤) شعب الإيمان (٩١٩٦).

وقال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِذٍ﴾ (٦٩)

وقال الله تعالى: ﴿فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ﴾ (٢٦) ﴿فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ﴾ (٢٧) [الذاريات: ٢٦-٢٧].

وقال الله تعالى: ﴿فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ﴾ (٢٦) ﴿فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ﴾ [الذاريات: ٢٦-٢٧]. من قوله تعالى: ﴿فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ﴾ أخذ العلماء فقهاً آخر من فقه الضيافة ألا وهو: أن صاحب البيت نفسه يستحب له أن يباشر خدمة الأضياف بنفسه، ولا يجعل الخدم فقط هم الذين يتولون تقديم الطعام، فإن مباشرة صاحب البيت تقديم الطعام بنفسه للأضياف تفهمهم مدى حفاوته واهتمامه بهم.

عَنْ مُجَاهِدٍ، حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ، قَالَ: خِدْمَتُهُ إِيَّاهُمْ بِنَفْسِهِ. (١)
عَنْ رَجَاءِ بْنِ حَيَوَةَ قَالَ: سَمَرْتُ لَيْلَةً عِنْدَ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ - رَحِمَهُ اللَّهُ - فَاعْتَلَّ السَّرَّاجُ، فَذَهَبْتُ أَقُومُ أَصْلَحُهُ، فَأَمَرَنِي عُمَرُ بِالْجُلُوسِ، ثُمَّ قَامَ فَأَصْلَحَهُ، ثُمَّ عَادَ فَجَلَسَ فَقَالَ: قُمْتُ وَأَنَا عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ وَجَلَسْتُ وَأَنَا عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ، وَلَوْمْ بِالرَّجُلِ إِنْ اسْتَخْدَمَ ضَيْفَهُ. (٢)

وَإِنِّي لَعَبْدُ الضَّيْفِ مَا دَامَ نَازِلًا ... وَمَا مِنْ خِلَالِي غَيْرَهَا شِيْمَةُ الْعَبْدِ. (٣)

قال الله تعالى: ﴿لِيُنْفِقَ ذُو سَعَةٍ مِّنْ سَعَتِهِ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَاءً أَتَنَهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾ [الطلاق: ٧].

(١) شعب الإيمان (٩١٨٩).

(٢) حلية الأولياء (٥/ ٣٣٢).

(٣) المجالسة وجواهر العلم (٥/ ٣٧٤).

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِذَا دَخَلَ أَحَدُكُمْ عَلَى أَخِيهِ الْمُسْلِمِ فَأَطْعَمَهُ طَعَامًا، فَلْيَأْكُلْ مِنْ طَعَامِهِ، وَلَا يَسْأَلْهُ عَنْهُ، فَإِنْ سَقَاهُ شَرَابًا مِنْ شَرَابِهِ، فَلْيَشْرَبْ مِنْ شَرَابِهِ، وَلَا يَسْأَلْهُ عَنْهُ. ^(١)
عَنْ أَنَسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: كُنَّا عِنْدَ عُمَرَ فَقَالَ: نُهِنَا عَنِ التَّكْلِيفِ. ^(٢)

عن شقيق قال: دخلت أنا وصاحب لي على سلمان - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - فقرب إلينا خبزًا وملحًا، فقال: لولا أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نهانا عن التكليف، لتكلفنا لكم. فقال صاحبي: لو كان في ملحنا سعتر، فبعث بمطهرته إلى البقال، فرهنها، فجاء بسعتر، فألقاه فيه، فلما أكلنا قال صاحبي: الحمد لله الذي قنعنا بما رزقنا. فقال سلمان: لو قنعت بما رزقت لم تكن مطهرتي مرهونة عند البقال. ^(٣)

وَسُئِلَ ابْنُ الْمُبَارَكِ - رَحِمَهُ اللَّهُ - ، فَقِيلَ لَهُ: مَنْ النَّاسُ؟ قَالَ: الْعُلَمَاءُ. قِيلَ لَهُ: فَمَنْ الْمُلُوكُ؟ قَالَ: الزُّهَادُ. قِيلَ لَهُ: فَمَنْ السُّفَلَاءُ؟ قَالَ: الَّذِي يَأْكُلُ بَدِينَهُ. قِيلَ لَهُ: فَمَنْ الْغَوَّاءُ؟ قَالَ: خُزَيْمَةُ بْنُ خَازِمٍ وَأَصْحَابُهُ. قِيلَ لَهُ: فَمَنْ الدُّنْيَى؟ قَالَ: الَّذِي يَذْكُرُ غَلَاءَ السَّعْرِ عِنْدَ الضَّيْفِ.. ^(٤)

دَخَلَ إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْحَنْظَلِيُّ عَلَى رَجَاءِ بْنِ السَّنْدِيِّ، فَقَالَ: يَا أَبَا مُحَمَّدٍ، مَا حَالُ الْبَرْدُونِ، فَقَالَ رَجَاءٌ:

إِنِّي لِأَكْرِمُ قَبْلَ الضَّيْفِ حَامِلَهُ لَا أَكْرِمُ الضَّيْفَ إِنْ لَمْ أَكْرِمِ الْفَرَسَا

(١) الصَّحِيحَةُ: (٦٢٧).

(٢) البخاري (٧٢٩٣).

(٣) الصحيح (٢٣٩٢).

(٤) المجالسة وجواهر العلم (٣٠٠).

قَالَ إِسْحَاقُ:

مَطِيَّةُ الضَّيْفِ عِنْدِي عِدْلُ صَاحِبِهَا لَا أُكْرِمُ الضَّيْفَ إِنَّمَا أُكْرِمُ الْفَرَسَا^(١)

عَنْ أَبِي شَرِيحٍ الْخَزَاعِيِّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ جَائِزَتَهُ، فَقَالُوا: وَمَا جَائِزَتُهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: يَوْمٌ وَلَيْلَةٌ، وَالضِّيَافَةُ ثَلَاثَةُ أَيَّامٍ فَمَا كَانَ وَرَاءَ ذَلِكَ، فَهُوَ صَدَقَةٌ عَلَيْهِ وَلَا يَحِلُّ لِرَجُلٍ مُسْلِمٍ أَنْ يُقِيمَ عِنْدَ أَخِيهِ حَتَّى يُؤْثِمَهُ.

وفي رواية: حَتَّى يُخْرِجَهُ فَقَالُوا: وَكَيْفَ يُؤْثِمُهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: يُقِيمُ عِنْدَهُ وَلَا يَجِدُ شَيْئًا يَقُوتُهُ^(٢).

يُضَافُ ثَلَاثَةُ أَيَّامٍ، فَيَتَكَلَّفُ لَهُ فِي الْيَوْمِ الْأَوَّلِ مَا اتَّسَعَ لَهُ مِنْ بَرٍّ وَإِطَافٍ وَيُقَدِّمُ لَهُ فِي الْيَوْمِ الثَّانِي وَالثَّلَاثِ مَا حَضَرَ، وَلَا يَزِيدُ عَلَى عَادَتِهِ، ثُمَّ يُعْطِيهِ مَا يَجُوزُ بِهِ مَسَافَةَ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، وَتُسَمَّى: الْجِيزَةُ، وَهُوَ قَدْرُ مَا يَجُوزُ بِهِ الْمَسَافِرُ مِنْ مَنْهَلٍ إِلَى مَنْهَلٍ، وَمِنْهُ الْحَدِيثُ: أَجِيزُوا الْوَفْدَ بِنَحْوِ مَا كُنْتُمْ أَجِيزُهُمْ^(٣).

لَا يَحِلُّ لِلضَّيْفِ أَنْ يُقِيمَ عِنْدَهُ بَعْدَ الثَّلَاثِ حَتَّى يُوقِعَهُ فِي الْإِثْمِ؛ لِأَنَّهُ قَدْ يَغْتَابُهُ لَطُولُ مَقَامِهِ، أَوْ يَعْزُضُ بِمَا يُؤْذِيهِ، أَوْ يَظُنُّ بِهِ مَا لَا يَجُوزُ، وَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾ [الحجرات: ١٢].

وَهَذَا كُلُّهُ مُحْمُولٌ عَلَى مَا إِذَا أَقَامَ بَعْدَ الثَّلَاثِ مِنْ غَيْرِ اسْتِدْعَاءٍ مِنَ الْمُضَيِّفِ، أَمَّا إِذَا اسْتَدْعَاهُ وَطَلَبَ زِيَادَةَ إِقَامَتِهِ، أَوْ عَلِمَ أَوْ ظَنَّ أَنَّهُ لَا يَكْرَهُ إِقَامَتَهُ، فَلَا بَأْسَ بِالزِّيَادَةِ، لِأَنَّ النَّهْيَ إِنَّمَا كَانَ لِكَوْنِهِ يُؤْثِمُهُ، وَقَدْ زَالَ هَذَا

(١) شعب الإيمان (١٢/ ١٥٠).

(٢) البخاري (٥٧٨٤)، مسلم (٤٨).

(٣) عون المعبود (٨/ ٢٥٢).

المعنى والحالة هذه. (١)

وَقَالَ حَاتِمٌ: كَانَ يُقَالُ الْعَجَلَةُ مِنَ الشَّيْطَانِ إِلَّا فِي خَمْسٍ، إِطْعَامُ الطَّعَامِ إِذَا حَضَرَ الضَّيْفُ وَتَجْهِيْزُ الْمَيْتِ إِذَا مَاتَ، وَتَزْوِيْجُ الْبِكْرِ إِذَا أَدْرَكَتْ، وَقَضَاءُ الدِّينِ إِذَا وَجَبَ، وَالتَّوْبَةُ مِنَ الذَّنْبِ إِذَا أَذْنَبَ. (٢)

وعن رجلٍ من مُزَيْنَةَ قال: صَنَعَتْ امْرَأَةٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قُرَيْشٍ لِرَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - طَعَامًا فَدَعَتْهُ وَأَصْحَابَهُ. قال: فَذَهَبَ بِي أَبِي مَعَهُ. قال: فَجَلَسْنَا بَيْنَ يَدَيِ آبَائِنَا مَجَالِسِ الْأَبْنَاءِ مِنْ آبَائِهِمْ، قال: فَلَمْ يَأْكُلُوا حَتَّى رَأَوْا رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَكَلَ، فَلَمَّا أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لُقْمَتَهُ رَمَى بِهَا، ثُمَّ قَالَ: إِنِّي لَا أَجِدُ طَعْمَ لَحْمِ شَاةٍ ذُبِحَتْ بِغَيْرِ إِذْنِ صَاحِبِهَا. فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَخِي وَأَنَا مِنْ أَعَزِّ النَّاسِ عَلَيْهِ، وَلَوْ كَانَ خَيْرًا مِنْهَا لَمْ يُغَيِّرْ عَلَيَّ، وَعَلَى أَنْ أَرْضِيَهُ بِأَفْضَلٍ مِنْهَا. فَأَبَى أَنْ يَأْكُلَ مِنْهَا، وَأَمَرَ بِالطَّعَامِ لِلْأَسَارَى. (٣)

وعن عائشة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - قَالَتْ: كَانَ لِأَبِي بَكْرٍ غُلَامٌ يُخْرِجُ لَهُ الْخَرَاجَ، وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ يَأْكُلُ مِنْ خَرَاجِهِ، فَجَاءَ يَوْمًا بِشَيْءٍ فَأَكَلَ مِنْهُ أَبُو بَكْرٍ، فَقَالَ لَهُ الْغُلَامُ: أَتَدْرِي مَا هَذَا؟ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: وَمَا هُوَ؟ قَالَ: كُنْتُ تَكْهَنُ لِلْإِنْسَانِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَمَا أَحْسَنَ الْكِهَانَةَ إِلَّا أَنِّي خَدَعْتُهُ، فَلَقَيْتَنِي فَأَعْطَانِي بِذَلِكَ، فَهَذَا الَّذِي أَكَلْتُ مِنْهُ، فَأَدْخَلَ أَبُو بَكْرٍ يَدَهُ فَقَاءَ كُلَّ شَيْءٍ فِي بَطْنِهِ. (٤)

وَعَنْ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - إِذَا أَكَلَ مَعَ قَوْمٍ، كَانَ آخِرَهُمْ أَكْلًا. (٥)

(١) شرح النووي على مسلم (٦ / ١٦٣).

(٢) حلية الأولياء (٨ / ٧١).

(٣) سنن البيهقي (١١٦٣٨).

(٤) البخاري (٣٨٤٢).

(٥) صححه الألباني في هداية الرواة (٤١٨٤).

وَعَنْ جَبَلَةَ بْنِ سُحَيْمٍ قَالَ: كُنَّا بِالْمَدِينَةِ فِي بَعْضِ أَهْلِ الْعِرَاقِ، فَأَصَابَنَا سَنَةٌ فَكَانَ ابْنُ الزُّبَيْرِ يَرْزُقُنَا التَّمْرَ فَكَانَ ابْنُ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - يَمُرُّ بَنَا وَنَحْنُ نَأْكُلُ، فَيَقُولُ: لَا تَقَارِنُوا، فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَهَى أَنْ يَقْرَنَ الرَّجُلُ بَيْنَ التَّمْرَتَيْنِ جَمِيعًا، حَتَّى يَسْتَأْذِنَ أَصْحَابَهُ. (١)

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: زَارَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَهْلَ بَيْتٍ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَطَعِمَ عَنْدهُمْ طَعَامًا، فَلَمَّا أَرَادَ أَنْ يَخْرُجَ، أَمَرَ بِمَكَانٍ مِنَ الْبَيْتِ فَنُصِحَ لَهُ عَلَى بَسَاطٍ، فَصَلَّى عَلَيْهِ، وَدَعَا لَهُمْ. (٢)

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بُسْرِ السُّلَمِيِّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: زَارَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْزِلَنَا مَعَ أَبِي بَكْرٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: وَكُنْتُ اخْتَلَفُ بَيْنَ أَبِي وَأُمِّي، فَهَيَّأْنَا لَهُ طَعَامًا، فَأَكَلَ وَدَعَا لَنَا بِدُعَاءٍ لَا أَحْفَظُهُ، ثُمَّ مَسَحَ يَدَهُ عَلَى رَأْسِي فَقَالَ: يَعِيشُ هَذَا الْغُلَامُ قَرْنًا قَالَ: فَعَاشَ مِائَةَ سَنَةٍ.. (٣)

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ: أَفْطَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِنْدَ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - فَقَالَ: أَفْطَرَ عِنْدَكُمْ الصَّائِمُونَ، وَأَكَلَ طَعَامَكُمْ الْأَبْرَارُ، وَصَلَّتْ عَلَيْكُمْ الْمَلَائِكَةُ. (٤) فالدعاء لأهل البيت من شكر المعروف ومن لم يشكر الناس لا يشكر الله.

وقال الله تعالى: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَظِيرٍ إِنَّهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَعْسِفِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكَ كَانَ يُؤْذَى النَّبِيُّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ

(١) البخاري (٢٣٥٧)، مسلم (٢٠٤٥).

(٢) البخاري (٥٧٣٠).

(٣) الصَّحِيحَةُ: (٢٦٦٠).

(٤) صحيح الجامع: (١١٣٧).

وَقُلُوبُهُنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكَ كَانَتْ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا ﴿٥٣﴾ [الأحزاب: ٥٣].

وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ ﴿٢٧﴾ [النور: ٢٧].

وَعَنْ ابْنِ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِذَا زَارَ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ فَجَلَسَ عِنْدَهُ، فَلَا يَقُومَنَّ حَتَّى يَسْتَأْذِنَهُ ^(١).

ويتضمن الإحسان في الضيافة أمور منها:

- أولاً: تعجيل الطعام والشراب له.
- ثانياً: عدم مراقبة عند أكله أو شربه.
- ثالثاً: حسن استقباله والترحيب به والبشاشة في وجه وإظهار الفرح بذلك.
- رابعاً: تقديم من أجود ما يجد الرجل في بيته لإكرام ضيفه وعدم البخل عليه.
- خامساً: القيام على شؤون ضيفه بنفسه.
- سادساً: عدم التكلف له من طعام وشراب وغير ذلك.
- سابعاً: ألا يضيق صدر الضيف بالشكاية وقلة الحاجة.
- ثامناً: أن يتفقد مركوبه.
- تاسعاً: ومن الإحسان في الضيافة ألا يؤثم المضيف أو يقيم عنده بما يشق عليه.
- عاشراً: إثارة الضيف بالطعام إذا كان قليلاً.
- الحادي عشر: أن يطعمهم من الحلال.

(١) صحيح الجامع: (٥٨٣)، الصحيح (١٨٢).

الثاني عشر: العفة ومراعاة حق من يشاركه في الإناء.

الثالث عشر: ومن الإحسان في الضيافة الدعاء لصاحب الطعام.

الرابع عشر: أن يعجل في الانصراف ولا يشق على المضيف بالجلوس إلا إذا أحب.

الخامس عشر: أن يستأذن عند دخوله وخروجه.

السابع والعشرون: إحسان العبد إلى الأرض وما فيها؛

قال الله تعالى: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [٥٦] ﴿[الأعراف: ٥٣].

وقال الله تعالى: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ [٧٧] ﴿[القصص: ٧٧].

اعتبر الله تعالى أن الفساد في الأرض أياً كان نوع مستجلب لبغض الله تعالى وكرهه وأن الإحسان في الأرض بأي نوع من أنواع الإحسان جالب لمحبة الله تعالى لعبده وأن المعاصي والذنوب على وجه الأرض بأي نوع من أنواع المخالفة هو في حد ذاته يعتبر من أمور الإفساد في الأرض والإساءة إليها والله تعالى لا يرضى بهذا.

وقال الله تعالى: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [٤١] ﴿[الروم: ٤١].

وقال الله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَنَحْنَاهُمْ عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [٩٦] ﴿[الأعراف: ٩٦].

وقال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾ [هود: ١١٧]. وقال تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَتِلْكَ الْقُرَىٰ أَهْلَكْتَهُم لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا﴾ [الكهف: ٥٩]. وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُمْ مِّنَ الْقُرَىٰ وَصَرَّفْنَا الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الأحقاف: ٢٧]. وغير ذلك من الآيات.

وَعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - :
مَنْ أَحْيَا أَرْضًا مَيِّتَةً، فَلَهُ فِيهَا أَجْرٌ، وَمَا أَكَلَتِ الْعَافِيَةُ مِنْهَا فَهُوَ لَهُ صَدَقَةٌ ^(١).
وَعَنْ أُمِّ مُبَشَّرِ امْرَأَةِ زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - قَالَتْ: دَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ
اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَأَنَا فِي حَائِطٍ فَقَالَ: يَا أُمَّ مُبَشَّرِ أَلَيْكَ هَذَا؟ فَقُلْتُ: نَعَمْ،
فَقَالَ: مَنْ غَرَسَهُ؟ مُسْلِمٌ أَوْ كَافِرٌ؟ قُلْتُ: مُسْلِمٌ قَالَ: مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَغْرِسُ
غَرْسًا، أَوْ يَزْرَعُ زَرْعًا إِلَّا كَانَ مَا أَكَلَ مِنْهُ لَهُ صَدَقَةٌ، وَمَا سُْرِقَ مِنْهُ لَهُ صَدَقَةٌ،
وَمَا أَكَلَ السَّبْعُ مِنْهُ فَهُوَ لَهُ صَدَقَةٌ، وَمَا أَكَلَتِ الطَّيْرُ فَهُوَ لَهُ صَدَقَةٌ، وَلَا يَزْرُوهُ
أَحَدٌ إِلَّا كَانَ لَهُ صَدَقَةٌ ^(٢).

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - :
إِنْ قَامَتِ السَّاعَةُ وَفِي يَدٍ أَحَدِكُمْ فَسِيلَةٌ فَإِنْ اسْتَطَاعَ أَنْ لَا تَقُومَ حَتَّى يَغْرِسَهَا،
فَلْيَغْرِسَهَا ^(٣). والفسيلة هي: النخلة.

وَعَنْ الْحَارِثِ بْنِ لَقِيطٍ قَالَ: كَانَ الرَّجُلُ مِمَّنَّا تَتَّجُ فَرَسُهُ فَيَنْحَرُهَا، فَيَقُولُ:
أَنَا أَعِيشُ حَتَّى أَرْكَبَ هَذَا؟، فَجَاءَنَا كِتَابُ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنْ أَصْلِحُوا مَا
رَزَقَكُمُ اللَّهُ، فَإِنَّ فِي الْأَمْرِ تَنْفُسًا.. ^(٤).

(١) صحيح الجامع: (٥٩٧٤).

(٢) مسلم (١٥٥٢).

(٣) صحيح الجامع: (١٤٢٤).

(٤) صحيح الأدب المفرد: (٣٧٠)، الصحيح تحت حديث: (٩).

وقال الله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصْنَكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ (١٥١) [الأنعام: ١٥١].

وقال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ (٩٣) [النساء: ٩٣].

وعن ابن مسعود - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : لَا تُقْتَلُ نَفْسٌ ظُلْمًا إِلَّا كَانَ عَلَى ابْنِ آدَمَ الْأَوَّلِ كِفْلٌ مِنْ دَمِهَا؛ لِأَنَّهُ أَوَّلُ مَنْ سَنَّ الْقَتْلَ. (١)
عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ: إِنَّ مِنْ وَرَطَاتِ الْأُمُورِ الَّتِي لَا تَخْرُجُ لِمَنْ أَوْقَعَ نَفْسَهُ فِيهَا سَفَكِ الدَّمِ الْحَرَامِ بغيرِ حِلِّهِ. (٢)

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي بِطَرِيقٍ، اشْتَدَّ عَلَيْهِ الْعَطَشُ، فَوَجَدَ بئْرًا فَنَزَلَ فِيهَا، فَشَرِبَ ثُمَّ خَرَجَ، فَإِذَا كَلْبٌ يَلْهَثُ، يَأْكُلُ الثَّرَى مِنَ الْعَطَشِ، فَقَالَ الرَّجُلُ: لَقَدْ بَلَغَ هَذَا الْكَلْبُ مِنَ الْعَطَشِ مِثْلَ الَّذِي كَانَ بَلَغَ بِي، فَنَزَلَ الْبئْرَ فَمَلَأَ خُفَّهُ ثُمَّ أَمْسَكَهُ بِيْهِ، فَسَقَى الْكَلْبَ فَشَكَرَ اللَّهُ لَهُ فَغَفَرَ لَهُ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَإِنَّ لَنَا فِي الْبَهَائِمِ أَجْرًا؟ فَقَالَ: نَعَمْ، فِي كُلِّ ذَاتِ كَبِدٍ رَطْبَةٍ أَجْرٌ. (٣)

وقال الله تعالى: ﴿وَقَالَ لِفَتْنَيْنِهِ اجْعَلُوا بَصْنَعَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا إِذَا انْقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ (٦٢) فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَى أَبِيهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مُنِعَ مِنَّا الْكَيْلُ فَأَرْسِلْ مَعَنَا آخَانًا نَكْتَلُ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ (٦٣) [يوسف: ٦٢-٦٣].

فلم يمنعهم يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ من الكيل بل أكرمهم على ذلك أن رد لهم الثمن وهذا من عظيم كرمه وإحسانه.

(١) البخاري (١٤٢٣).

(٢) البخاري (٢٥٩٣).

(٣) البخاري (٦٠٠٩).

قال البغوي - رَحِمَهُ اللهُ -:

وَاخْتَلَفُوا فِي السَّبَبِ الَّذِي فَعَلَهُ يُوسُفُ مِنْ أَجَلِهِ، قِيلَ: أَرَادَ أَنْ يُرِيَهُمْ كَرَمَهُ فِي رَدِّ الْبُضَاعَةِ وَتَقْدِيمِ الضَّيَّانِ فِي الْبَرِّ وَالْإِحْسَانِ، لِيَكُونَ أَدْعَى لَهُمْ إِلَى الْعُودِ، لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا، أَيْ: كَرَامَتَهُمْ عَلَيْنَا.

وَقِيلَ: رَأَى لَوْ مَا أَخَذَ ثَمَنَ الطَّعَامِ مِنْ أَبِيهِ وَإِخْوَتِهِ مَعَ حَاجَتِهِمْ إِلَيْهِ، فَرَدَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ تَكْرُمًا.

وَقَالَ الْكَلْبِيُّ: تَخَوَّفَ أَنْ لَا يَكُونَ عِنْدَ أَبِيهِ مِنَ الْوَرَقِ مَا يَرْجِعُونَ بِهِ مَرَّةً أُخْرَى.

وَقِيلَ: فَعَلَ ذَلِكَ لِأَنَّهُ عَلِمَ أَنَّ دِيَانَتَهُمْ تَحْمِلُهُمْ عَلَى رَدِّ الْبُضَاعَةِ نَفْيًا لِلْغَلَطِ وَلَا يَسْتَحِلُّونَ إِمْسَاكَهَا. ^(١)

وعن أبي هريرة - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قال: لَا تَمْنَعُوا فَضْلَ الْمَاءِ؛ لِتَمْنَعُوا بِهِ فَضْلَ الْكَلْبِ. ^(٢) معناه أَنْ تَكُونَ لِلنَّاسِ بئر مملوكة له بالفلاة وفيها ماء فاضل عن حاجته ويكون هناك كلاً ليس عنده ماء إلا هذا فلا يمكن أصحاب المواشي رعية إلا إذا حصل لهم السقي من هذه البئر فيحرم عليه منع فضل هذا الماء للماشية ويجب بذله بلا عوض لأنه إذا منع بذله إمتنع الناس من رعي ذلك الكلب.

وقال الله تعالى: ﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا﴾ ^(٣٧) كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ^(٣٨) [الإسراء: ٣٧-٣٨].

وقال الله تعالى: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ

(١) تفسير البغوي (٤/٢٥٦).

(٢) البخاري (١٠٩٦)، مسلم (١٥٦٦).

كُلِّ مُخَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَأَغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ ﴿١٩﴾ [لقمان: ١٨-١٩].

وعن ابن عمر - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - أَنَّ النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ: بينما رجل يجرُّ إزارَهُ مِنَ الْخِيَلَاءِ خَسِفَ بِهِ، فَهُوَ يَتَجَلَّجَلُ فِي الْأَرْضِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ .. (١)

وعن علي بن أبي طالب - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ: النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : لَعَنَ اللَّهُ مَنْ لَعَنَ وَالِدَهُ، لَعَنَ اللَّهُ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللَّهِ، لَعَنَ اللَّهُ مَنْ آوَى مُحَدَّثًا، لَعَنَ اللَّهُ مَنْ غَيَّرَ مَنَارَ الْأَرْضِ. (٢)

وقال الله تعالى: ﴿ مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لَيْنَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْرِجَ الْفَلْسِقِينَ ﴾ [الحشر: ٥].

قال البغوي - رَحِمَهُ اللَّهُ - :

وَذَلِكَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا نَزَلَ بِبَنِي النَّضِيرِ وَتَحَصَّنُوا بِحُصُونِهِمْ أَمَرَ بِقَطْعِ نَخِيلِهِمْ وَإِحْرَاقِهَا فَجَزَعَ أَعْدَاءُ اللَّهِ عِنْدَ ذَلِكَ وَقَالُوا: يَا مُحَمَّدُ زَعَمْتَ أَنَّكَ تُرِيدُ الصَّلَاحَ! أَفَمِنَ الصَّلَاحِ عَقْرُ الشَّجَرِ وَقَطْعُ النَّخِيلِ؟ فَهَلْ وَجَدْتَ فِيهَا زَعَمْتَ أَنَّهُ أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ؟ فَوَجَدَ الْمُسْلِمُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ مِنْ قَوْلِهِمْ وَخَشَوْا أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ فَسَادًا وَاخْتَلَفُوا فِي ذَلِكَ فَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَا تَقْطَعُوا فَإِنَّهُ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْنَا. وَقَالَ بَعْضُهُمْ: بَلْ نَغِيظُهُمْ بِقَطْعِهَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ هَذِهِ الْآيَةَ بِتَصْدِيقِ مَنْ نَهَى عَنْ قَطْعِهِ وَتَحْلِيلِ مَنْ قَطَعَهُ مِنَ الْإِثْمِ .. (٣)

وَعَنْ عَاصِمِ الْأَحْوَلِ قَالَ: سَأَلْتُ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ: أَحَرَّمَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - الْمَدِينَةَ؟ قَالَ: نَعَمْ، هِيَ حَرَامٌ، حَرَّمَهَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ، لَا يُخْتَلَى

(١) البخاري (١٤٨٠)، مسلم (٢٠٨٨).

(٢) مسلم (١٩٧٨).

(٣) تفسير البغوي (٧١ / ٨).

خَلَاهَا فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ، فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ. ^(١)
 وَخَلَاهَا: النَّبَاتِ الرَّقِيقُ مَا دَامَ رَطْبًا، فَاخْتِلَاؤُهُ: قَطْعُهُ، وَإِذَا يَبَسَ فَهُوَ حَشِيشٌ.
 وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حُشَيْبٍ الْخَثْعَمِيِّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ
 - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : مَنْ قَطَعَ سِدْرَةً، صَوَّبَ اللَّهُ رَأْسَهُ فِي النَّارِ. ^(٢)

وقد أشكل الحديث على العلماء ولهم فيه أقوال منها:

أن المقصود بها سدر الحرم. وقيل الذي يستضل به ويتنفع كسدر الفلاة.
 وقيل: هذا إذا كان عبثاً لغير حاجة. وقيل: أنه منسوخ. ^(٣) والصواب عندي
 أن سدر الحرم شيء مسلم به وسواء كان سدر أو غيره والحديث خاص في
 السدر عام في كل مكان وعليه فالأقرب أن يكون قطعها عبثاً أو لمنع النفع
 كالظل أو المرعى أو غير ذلك والله اعلم.

وَعَنْ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : إِنَّ
 الَّذِينَ يَقْطَعُونَ السِّدْرَ، يُصْبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ صَبًّا. ^(٤)

عن أبي هريرة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّ النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ: مَنْ أَخَذَ شِبْرًا
 مِنَ الْأَرْضِ بِغَيْرِ حَقِّهِ، طَوَّقَهُ مِنْ سَبْعِ أَرْضِينَ. ^(٥)

ويتضمن الإحسان إلى الأرض أمور منها:

أولاً: عدم ارتكاب الذنوب والخطايا عليها.

ثانياً: حرثها واستغلال خيراتها وإخراج ثمراتها ومخزوناتها لينتفع العباد منها.

(١) مسلم (١٣٦٦).

(٢) صحيح أبي داود (٥٢٣٩).

(٣) راجع الصَّحِيحَة عند (ح ٦١٥).

(٤) صَحِيحُ الْجَامِع: (١٦٩٦)، الصَّحِيحَة تحت حديث: (٦١٤).

(٥) مسلم (١٦١١).

ثالثاً: عدم سفك الدماء المحرمة عليها.

رابعاً: الإحسان إلى من عليها من المخلوقات.

خامساً: عدم منع الناس من خيراتها ومائها وكلائها ونفعها.

سادساً: السكينة عليها وعدم التكبر فيها.

سابعاً: عدم تغيير منارها وحدودها وطرقها بما يفسد على العباد شؤونهم وحاجاتهم.

ثامناً: النهي عن القطع عن شجرها أو ثمرها عبثاً دون حاجة.

تاسعاً: أن لا يعتدي عليها بالنهب والبسط وهي ليست بملكه.



سابعاً: حال المسلم مع الإساءة إليه

قال الله تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَلَا الْمُسِيءُ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ (٥٨) [غافر: ٥٨]. فالله تعالى بين أن الناس لا يستوون فالصالح غير المسيء لا يستويان أبداً وقد جعل الله تعالى تلك ذكرى للعبء أن يكون مستيقناً بوجود الإساءة وأن الناس مختلفون.

وقال الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ (٣٣) وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ (٣٤) وَمَا يُلْقُهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقُهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ (٣٥) [فصلت: ٣٣-٣٥].

فهذا منهج رباني عظيم بين حال العبد مع من يسيء له وبماذا يتعامل معه وكيف تتغير الأحوال وأن من وفقه الله تعالى للصواب في معاملة المسيء والمخطئ فإنه من النعمة العظيمة والتوفيق السديد.

ومن أعلى مراتب الإحسان، الإحسان إلى المسيء، وقد أمر به نبينا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قال بعضهم: إنما الإحسان أن تحسن إلى من أساء إليك ليس الإحسان أن تحسن إلى من أحسن إليك.

قال ابن حزم - رَحِمَهُ اللَّهُ -:

من أساء إلى أهله وجيرانه فهو أسقطهم، ومن كافأ من أساء إليه منهم فهو

مثلهم، ومن لم يكافئهم بإساءتهم فهو سيدهم وخيرهم وأفضلهم. ^(١)

وقال الله تعالى: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةِ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ﴾ (١٦) [المؤمنون: ٩٦].

وبذلك ينقلب الهياج إلى وداعة، والغضب إلى سكينه، والتبجح إلى حياء، والاستكبار إلى تواضع، والشدة إلى سماحة.

غير أن تلك السماحة تحتاج إلى قلب كبير يعطف ويسمح وهو قادر على الإساءة والرد، حتى لا يصدر الإحسان في نفس المسيء ضعفاً.

أرى الإحسان عند الحر ديناً وعند النذل منقصة وذماً
كقطر الماء في الأصداف در وفي جوف الأفاعي صار سماً
وقال بعضهم:

بيننا حرمةٌ وعهدٌ وثيقُ وعلى بعضنا لبعض حقوقُ
فاغتنم لذة الحفاظ فما يد ري مُطيق لها متى لا يطيقُ

عن أنس بن مالك - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: اقبلوا من محسن الأنصار وتجاوزوا عن مسيئهم. ^(٢)

يا لائمين على الإحسان غيرهم نزهتم النفس عن أسداه بالذمم

(١) رسائل ابن حزم (١/ ٣٤٢) ..

(٢) البخاري (٣٧٩٩) ..

يزيد في بغيه خصمي مشاكلة خصم الحسين يزيد البغي في القدم
فأصبحوا لا ترى الا مساكنهم من اقتباس دعا المظلوم في الظلم

وعن عبيد الله بن عدي بن خيار: أنه دخل على عثمان بن عفان - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - وهو محصور فقال: إِنَّكَ إِمَامٌ عَامَّةٌ، ونزل بك ما نرى، ويصليّ لنا إِمَامٌ فِتْنَةٌ ونتحرّج. فقال: الصَّلَاةُ أَحْسَنُ مَا يَعْمَلُ النَّاسُ، فإذا أَحْسَنَ النَّاسُ فَأَحْسَنَ معهم، وإذا أَسَاءُوا فَاجْتَنِبْ إِسَاءَتَهُمْ. ^(١)

وقال الله تعالى: **أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ** ﴿[النور: ٢٢]﴾.

وهذه فيها ملاطفة من الله لأبي بكر، ففيها دعوة وفيها حجة، أي: أنت تريد العفو والمغفرة من الله، وكذلك الناس يريدون منك أن تعفو عنهم، وأن ترزقهم، فعامل الناس بما تحب أن تعامل به.
فإذا أردت أن تتعامل مع أحد فعامله بما تحب أن يعاملك الله جل وعلا به، ولا تُسْتَدِرُّ رَحْمَةَ اللَّهِ بِشَيْءٍ أَكْبَرَ مِنْ هَذَا.

ولا بد للمحسن إلى عدوه وحاسده من إحدى حالتين:

الأولى: إما أن يملكه بإحسانه فيستعبده وينقاد له ويذل له ويبقى من أحب الناس إليه.

الثانية: وإما أن يفتت كبده ويقطع دابره إن أقام على إساءته له، فإنه يذيقه بإحسانه أضعاف ما ينال منه بانتقامه.

(١) البخاري (٦٩٥).

والإحسان إلى الخلق نوعان:

الأول: إحسان عام يستطيعه كل إنسان ببذل المال، وطيب الكلام.

الثاني: إحسان خاص لا يستطيعه إلا خواص الخلق، وهو الإحسان إلى من أساء إليك، خاصة من له حق كبير عليك كالأقارب والأصحاب، فمن أساء إليك منهم فقابل إساءته بالإحسان إليه.

فإن قطعك فصله وإن ظلمك فاعفُ عنه وإن حرمك فأعطه وإن هجرك فطيب له الكلام وابدل له السلام فإذا قابلت الإساءة بالإحسان حصلت فوائد عظيمة للطرفين. ^(١)

فالجزاء من جنس العمل، فكما تعمل مع الناس في إساءتهم في حقك، يفعل الله معك في ذنوبك وإساءتك جزاءً وفاقاً. فانتقم بعد ذلك أو أعف، وأحسن أو اترك، فكما تدين تدان.

(١) موسوعة فقه القلوب (١/ ٧٧٦).

ثامناً: صفات المحسنين

إخلاص العمل لله تعالى :

قال الله تعالى: ﴿كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ الشُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾ [يوسف: ٢٤].

وقال الله تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِي اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ١٤٦].

فالإخلاص سبب لنصر الأمة، والنجاة من عذاب الله، ورفع المنزلة والدرجة في الدنيا والآخرة، والسلامة من الضلال في الدنيا، والفوز بحب الله للعبد، وحب أهل السماء والأرض، والصَّيت الطَّيِّب، وتفريج كرب الدنيا والآخرة، والطمأنينة والشعور بالسعادة والتوفيق، وتحمل المتاعب والمصاعب، وتزيين الإيمان في القلوب، واستجابة الدعاء، والنعيم في القبر والتبشير بالسرور، والله الموفق **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**

قال شيخ الإسلام - رَحِمَهُ اللَّهُ - :

فإن المخلص لله ذاق من حلاوة عبوديته لله ما يمنعه عن عبوديته لغيره ومن حلاوة محبته لله ما يمنعه عن محبة غيره إذ ليس عند القلب السليم أحلى ولا ألد ولا أطيب ولا أسر ولا أنعم من حلاوة الإيمان المتضمن عبوديته لله ومحبته له وإخلاص الدين له وذلك يقتضي انجذاب القلب إلى الله فيصير القلب منيباً

إلى الله خائفاً منه راغباً راهباً ، كما قال تعالى: ﴿مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ الْغَنِيِّ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ﴾ [ق: ٣٣] ، إذ المحب يخاف من زوال مطلوبه أو حصول مرغوبه فلا يكون عبد الله ومحبه إلا بين خوف ورجاء كما قال تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا﴾ [الإسراء: ٥٧] .

وإذا كان العبد مخلصاً لله اجتباه ربه فأحيا قلبه واجتذبه إليه فينصرف عنه ما يضاد ذلك من السوء والفحشاء ويخاف من حصول ضد ذلك بخلاف القلب الذي لم يخلص لله فإن فيه طلباً وإرادةً وحباً مطلقاً فيهوى ما يسنح له ويتشبث بما يهواه كالغصن أي نسيم مر به عطفه وأماله فتارة تجتذبه الصور المحرمة وغير المحرمة فيبقى أسيراً عبداً لمن لو اتخذته هو عبداً له لكان ذلك عيباً ونقصاً وذمماً. (١)

وقال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يُسَلِّمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ [لقمان: ٢٢] .

وقال الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾ [النساء: ١٢٥] .

وقال الله تعالى: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ١١٢] .

وقال الله تعالى: ﴿يَتَأْتِيَ النَّبِيَّ قُلُوبٌ لَّا رُؤْيَا لَهَا بَيْنَ يُسُفٍّ إِنْ كُنْتُمْ تُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْكُمْ أُمْتِعْكُمْ وَأُسْرِحْكُمْ سَرَاحًا جَمِيلًا﴾ [٢٨] وَلِنْ كُنْتُمْ تُرِيدُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالْدارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنِينَ مِنْكُمْ أَجْرًا عَظِيمًا [٢٩] [الأحزاب: ٢٨-٢٩] .

قال القرطبي - رَحِمَهُ اللهُ -: وفي هذا دليل على وجوب النية في العبادات فإن الإخلاص من عمل القلب وهو الذي يراد به وجه الله تعالى لا غيره. (١)

أن لا يبطل إحسانه بالمن والأذى

فالمن والأذى يحيل الإنفاق سماً وناراً، يمحق الإنفاق، ويمزق الشمل، ويشير السخائم والأحقاد، والمن عنصر كربه لئيم، فالنفس البشرية لا تمن بما أعطت إلا رغبة في الاستعلاء، أو رغبة في إذلال الآخذ، أو رغبة في لفت أنظار الناس، فالمن يحيل الصدقة أذى للواهب وللآخذ على حد سواء، أذى للواهب بما يثير في نفسه من كبر وخيلاء، ورغبة في رؤية أخيه ذليلاً له، كسيراً لديه، ربما يملأ قلبه بالنفاق والرياء والبعد من الله، وأذى للآخذ بما يثير في نفسه من انكسار وانهمزام، ومن رد فعل بالحقد والانتقام، ومن هنا يبطل الثواب والأجر بالمن والأذى.

كما قال الله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا بُطْلُوا صَدَقَتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِثَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿٦٤﴾﴾ [البقرة: ٢٦٤].

وقال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتَّبَعُونَ مِمَّا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذَى لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [البقرة: ٢٦٢].

يَمْدَحُ اللهُ تَعَالَى الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ ، وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِهِ ثُمَّ لَا يُتَّبَعُونَ إِنْفَاقَهُمْ مَنًّا عَلَى النَّاسِ بِفَعْلٍ أَوْ قَوْلٍ ، وَلَا يَفْعَلُونَ مَعَ مَنْ أَحْسَنُوا إِلَيْهِمْ مَكْرُوهًا أَوْ أَذَى يُحْبِطُونَ بِهِ مَّا أَسْلَفُوهُ مِنَ الْإِحْسَانِ ، فَهَؤُلَاءِ ثَوَابُهُمْ عَلَى

(١) الجامع لأحكام القرآن (٢٠ / ١٤٤).

الله لا على أحد سواه، ولا خوف عليهم فيما يستقبلونه من أهوال يوم القيامة، ولا يحزنون على ما خلفوه في الدنيا من الأولاد والأموال، ولا على ما فاتهم من الحياة وزينتها، لأنهم صاروا إلى خير مما كانوا فيه. ^(١)

إذا الجود لم يرزق خلاصاً من الأذى فلا الحمد مكسوباً ولا المال باقياً

وقال آخر:

لا تحقرن من المعروف أصغره أحسن فعاقبة الإحسان حسنه

البذل مما غلى وعظم ثمنه:

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ يُقَرِّبُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْفُرْقَانِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِيَعْيِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ، وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١١١].

قال العلامة السعدي - رحمه الله -:

يخبر تعالى خبراً صدقاً، ويعد وعداً حقاً بمبايعة عظيمة، ومعاوضة جسيمة، وهو أنه ﴿اشْتَرَى﴾ بنفسه الكريمة ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ﴾ فهي المثلن والسلعة المباعة.

﴿يَأْتِ لَهُمُ الْجَنَّةُ﴾ التي فيها ما تشتهي النفس، وتلذ الأعين من أنواع اللذات والأفراح، والمسرات، والخور الحسان، والمنازل الأنيقات.

وصفة العقد والمبايعة، بأن يبذلوا لله نفوسهم وأموالهم في جهاد أعدائه،

(١) أيسر التفاسير (٢٦٩).

لإِعلاء كلمته وإظهار دينه ﴿يَقْنُلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْنُلُونَ وَيُقْنُلُونَ﴾^(١)
فهذا العقد والمبايعة، قد صدرت من الله مؤكدة بأنواع التأكيدات.

﴿وَعَدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ﴾ التي هي أشرف الكتب التي طرقت العالم، وأعلاها، وأكملها، وجاء بها أكمل الرسل أولو العزم، وكلها اتفقت على هذا الوعد الصادق.

﴿وَمَنْ أَوْفَ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا﴾ أيها المؤمنون القائمون بما وعدكم الله، ﴿بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ﴾ أي: لتفرحوا بذلك، وليبشر بعضكم بعضا، ويحث بعضكم بعضا.

﴿وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾^(١١١) الذي لا فوز أكبر منه، ولا أجل، لأنه يتضمن السعادة الأبدية، والنعيم المقيم، والرضا من الله الذي هو أكبر من نعيم الجنات، وإذا أردت أن تعرف مقدار الصفقة، فانظر إلى المشتري من هو؟ وهو الله جل جلاله، وإلى العوض، وهو أكبر الأعواض وأجلها، جنات النعيم، وإلى الثمن المبذول فيها، وهو النفس، والمال، الذي هو أحب الأشياء للإنسان.^(١)

أثامن بالنفس النفيسة ربها فليس لها في الخلق كلهم ثمن
بها تشتري الجنات إن أنا بعتها بشيء سواها إن ذلكم غبن
إذا أذهبت نفسي بدنيا أصبتها فقد ذهب الدنيا وقد ذهب الثمن

وقال الله تعالى: ﴿لَنْ نَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾^(٩٢) [آل عمران: ٩٢]. والبر هو الإحسان والخير.

(١) تيسير الكريم الرحمن (٣٥٢).

طاعة الله ورسوله واتباع طريقة السلف:

قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾ (٦٩) ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ عَلِيمًا ﴿٧٠﴾ [النساء: ٦٩-٧٠].

قال السعدي - رَحِمَهُ اللَّهُ -:

كل مَنْ أطاع الله ورسوله على حسب حاله وقدر الواجب عليه من ذكر وأنثى وصغير وكبير، ﴿فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ أي: النعمة العظيمة التي تقتضي الكمال والفلاح والسعادة ﴿مِنَ النَّبِيِّينَ﴾ الذين فضلهم الله بوحيه، واختصهم بتفضيلهم بإرسالهم إلى الخلق، ودعوتهم إلى الله تعالى... فكل من أطاع الله تعالى كان مع هؤلاء في صحبتهم ﴿وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾ بالاجتماع بهم في جنات النعيم والأنس بقربهم في جوار رب العالمين.

﴿ذَلِكَ الْفَضْلُ﴾ الذي نالوه ﴿مِنَ اللَّهِ﴾ فهو الذي وفقهم لذلك، وأعانهم عليه، وأعطاهم من الثواب ما لا تبلغه أعمالهم.

﴿وَكَفَى بِاللَّهِ عَلِيمًا﴾ (٧٠) يعلم أحوال عباده ومن يستحق منهم الثواب الجزيل، بما قام به من الأعمال الصالحة التي تواطأ عليها القلب والجوارح. (١)

فخذ الآن عهدي وارض من عبدك ما يستطيعه إمكاني
لأكون أمراً تقصيت جهدي في جزاء الإحسان بالإحسان

(١) تيسير الكريم الرحمن (١٨٥).

وقال آخر:

يَا بَاغِيَ الْإِحْسَانِ يَطْلُبُ رَبُّهُ
 أَنْظِرْ إِلَى هَدْيِ الصَّحَابَةِ وَالَّذِي
 وَاسَلُّكَ طَرِيقَ الْقَوْمِ أَيْنَ تَيَمَّمُوا
 تَاللَّهِ مَا اخْتَارُوا لِأَنْفُسِهِمْ سِوَى
 دَرَجُوا عَلَى نَهْجِ الرَّسُولِ وَهَدْيِهِ
 نَعَمْ الرَّفِيقُ لِطَالِبِ يَبْغِي الْهُدَى
 الْقَانِتِينَ الْمُخْبِتِينَ لِرَبِّهِمْ
 التَّارِكِينَ لِكُلِّ فِعْلٍ سَيِّئٍ
 أَهْوَاءُهُمْ تَبَعٌ لِدِينِ نَبِيِّهِمْ
 مَا شَاءَهُمْ فِي دِينِهِمْ نَقَصٌ وَلَا
 لِيَفُوزَ مِنْهُ بِغَايَةِ الْأَمَالِ
 كَانُوا عَلَيْهِ فِي الزَّمَانِ الْخَالِ
 خُذْ يَمْنَةً فَالْدَّرْبُ ذَاتُ شِمَالِ
 سُبُلَ الْهُدَى فِي الْقَوْلِ وَالْأَفْعَالِ
 وَبِهِ اقْتَدُوا فِي سَائِرِ الْأَحْوَالِ
 فَمَالُهُ فِي الْخِشْرِ خَيْرُ مَالِ
 النَّاطِقِينَ بِأَصْدَقِ الْأَقْوَالِ
 وَالْعَامِلِينَ بِأَحْسَنِ الْأَعْمَالِ
 وَسِوَاهُمْ بِالضُّدِّ مِنْ ذِي الْحَالِ
 فِي قَوْلِهِمْ شَطْحُ الْجَهُولِ الْغَالِ

التحلي بالصبر:

قال الله تعالى: ﴿وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ﴾ (١٢٧) إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾

[النحل: ١٢٧-١٢٨].

وقال الله تعالى: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ﴾

[الأحقاف: ٥٣].

وقال الله تعالى: ﴿وَأَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (١١٥) [هود: ١١٥].

فالصبر نعمة عظيمة على العبد لا يعدلها نعمة من مكارم الأخلاق فهو رباطها وأعلاها شأنًا ومنزلةً ودرجةً إذ بها تنال الخيرات الدينية والدنيوية والله تعالى بين في كتابه الكريم في أكثر من تسعين موضع الصبر وثماره وأحواله.

وهذا دليل واضح جلي على منزلة الصبر ومن تحلى بالصبر فقد نال من الإحسان إلى نفسه بكفها وحبسها عن كل منكر وسوء وألزمها الخير والثبات ونال غيره منه كف الأذى والانتقام والبغي والعدوان ونال المجتمع من الخيرات الكثيرة العائدة على الفرد والأمة مالا يعد ولا يحمد من الخيرات والبركات فإذا لم يكن الصبر من أعلى مراتب الإحسان والصابر من المحسنين فما هو الإحسان إذاً ومن هو المحسن إذا لم ينال الخير ويكف الشر من العبد فنسأل الله تعالى من فضله كرمه وإحسان وأن يرزقنا ويوسع علينا من الصبر إنه جواد كريم.

البعد عن المعاصي والذنوب:

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ -:

فَإِنَّ الإِحْسَانَ إِذَا بَاشَرَ الْقَلْبَ مَنَعَهُ عَنِ الْمَعَاصِي ، فَإِنَّ مَنْ عَبَدَ اللَّهَ كَأَنَّهُ يَرَاهُ ، لَمْ يَكُنْ كَذَلِكَ إِلَّا لَاسْتِيْلَاءَ ذِكْرِهِ وَمَحَبَّتِهِ وَخَوْفِهِ وَرَجَائِهِ عَلَى قَلْبِهِ ، بِحَيْثُ يَصِيرُ كَأَنَّهُ يُشَاهِدُهُ ، وَذَلِكَ سَيَحُولُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ إِرَادَةِ الْمَعْصِيَةِ ، فَضَلًا عَنْ مُوَاقَعَتِهَا ، فَإِذَا خَرَجَ مِنْ دَائِرَةِ الإِحْسَانِ ، فَاتَهُ صُحْبَةُ رُفَقَتِهِ الْخَاصَّةِ ، وَعَيْشُهُمُ الْهَنِيءُ ، وَنَعِيمُهُمُ التَّامُّ ، فَإِنَّ أَرَادَ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا أَقْرَهُ فِي دَائِرَةِ عُمُومِ الْمُؤْمِنِينَ .^(١)

فإن الإحسان إلى المطيعين دليل على المحبة والرضى ، وعقوبة العصاة دليل على الغضب.

(١) الجواب الكافي (٩/٢).

فَأَبْقِ جَمِيلًا مِنْ حَدِيثٍ تَفَرُّ بِهِ وَلَا تَدْعِ الْإِحْسَانَ وَالْأَخْذَ بِالْفَضْلِ
فَإِنَّكَ قَدْ أَصْبَحْتَ لِلْمَلِكِ قَيِّمًا وَصَرْتَ مَكَانَ الْفَضْلِ وَالْفَضْلِ وَالِ

التقوى:

قال الله تعالى: ﴿قُلْ يَاعِبَادَ الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللَّهِ وَسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [١٠]. [العنكبوت: ١٠].

قال العلامة الأمير صديق حسن خان القنوجي:

أمر الله رسوله ﷺ بأن يأمر المؤمنين من عباده بالثبات على تقواه والإيمان به، والمعنى يأمر الذين صدقوا بتوحيد الله اتقوا ربكم بطاعته واجتناب معاصيه، وامتنال أوامره وإخلاص الإيمان له، ونفي الشركاء عنه، والمراد: قل لهم قولي هذا بعينه، ثم لما أمر الله ﷻ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى الْمُؤْمِنِينَ بِالتَّقْوَى، بين لهم ما في هذه التقوى من الفوائد فقال: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا﴾ أي عملوا الأعمال الحسنة ﴿فِي هَذِهِ الدُّنْيَا﴾ على وجه الإخلاص ﴿حَسَنَةٌ﴾ عظيمة وهي الجنة، وقوله: ﴿فِي هَذِهِ الدُّنْيَا﴾ متعلق بأحسنوا وقيل بحسنة على أنه بيان لمكانها، فيكون المعنى للذين أحسنوا في العمل حسنة في الدنيا بالصحة والعافية، والظفر والغنيمة. (١)

فمن اتقى الله تعالى فقد أحسن إلى نفسه بأن زحزحها عن النار وكان بهذا العمل قد جعلها ممن تعرضت لرحمة الله تعالى واستحققتها فمن لازم التقوى لله تعالى فقد بلغ مرتبة المحسنين ولو إلى نفسه فأدبها وهذبها بما يرضي ربه تعالى وجنبها ما يسخطه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

(١) فتح البيان (١٢/ ٩٠).

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وبذل النصح للآخرين ومحبة الخير لهم.

قال الله تعالى: قاصاً ما قاله لقمان لابنه: ﴿يَبْنِىْ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَأَنَّهُ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ [لقمان: ١٧].

وقال تعالى: ﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُوا بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلاً مِّمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ﴾ [هو: ١١٦].

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والنصح للخلق من شعائر الإيمان التي تميز بها أهل الحق من الأنبياء والرسل وأتباعهم، فقد كانت مهمتهم الأمر بالمعروف من إقامة التوحيد وعبادة الله، وإقامة العدل والتزام الأخلاق الفاضلة، والنهي عن المنكر من الشرك والعصيان والظلم والإفساد في الأرض وهذا من أعظم علامات إحسانهم دلالتهم غيرهم إلى ما فيه نجاتهم في الدنيا والآخرة وهم بهذه الرسالة التي أوكلها الله تعالى إليهم يحسنون إلى العباد ويدلونهم على المحاب التي يحبها الله تعالى ويحذرونهم من المساخط والمعائب التي يبغضها الله تعالى فأَيُّ إحسان بعد هذا أن بذلوا أوقاتهم وأعمارهم وجميع ما يملكون من أجل إسعاد غيرهم وبيان ما فيه نجاتهم وفلاحهم وتحذيرهم مما فيه هلاكهم وفسادهم في الدنيا والآخرة.

عَبَدُوا الْإِلَهَ عَلَى اعْتِقَادِ حُضُورِهِ فَتَبَوُّوا فِي مَنْزِلِ الْإِحْسَانِ
نَصَحُوا الْخَلِيقَةَ فِي رِضَى مَحَبَّتِهِمْ بِالْعِلْمِ وَالْإِرْشَادِ وَالْإِحْسَانِ

العفو والصفح والحلم عن الناس:

قال الله تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [١٣٣] الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكُظُمِينَ الْغَيْظِ

وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ [آل عمران: ١٣٣-١٣٤].

وقال تعالى: ﴿ وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ

الظَّالِمِينَ ﴾ [الشورى: ٤٠].

العفو والصفح والحلم وغيرها من مكارم الخلاق صفة النفوس العالية والشريفة والبغض والحقد والمكر وغيره صفة النفوس الحقيرة الذليلة والدنيئة والعبد يحب الله تعالى منه أن يتصف بالصفات العالية والشريفة ومن أعظمها عندما يقابل العبد بالظلم والعدوان عليه فيكون حاله رحيماً بالعباد لا يريد لهم إلا الخير والسلامة مهما أساءوا فهو الذي يقابل الخطأ بالعفو والصفح وليس هذا فقط بل الإحسان والبر بالعباد.

كظم الغيظ:

قال الله تعالى: ﴿ وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [١٣٣] الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكُظُمِينَ الْغَيْظِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ [آل عمران: ١٣٣-١٣٤].

قال أبو خارجه الغفاري: ثلاثة من أعلام الإحسان: كظم الغيظ وحفظ الغيب وستر العيب. (١)

وكظم الغيظ لا يقل شرفاً عما مضى بيانه فمن كظم الغيظ وتجرع غصبه وعالج ألمه وشاهد شدته وكان بذلك راجياً ما عند الله تعالى فهو ينظر إلى ما هو أعلى من أن يشفي غيظه وهو العفو والصفح والإحسان وأن من شفى غيظه ممن أساء إليه فما بلغ رتبة الإحسان ولا المحسنين والله المستعان.

(١) الديباج المذهب (١٠٠).

التوبة والاستغفار:

قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ﴾ (٥٨) [البقرة: ٥٨].

وقال الله تعالى: ﴿وَأَنْ أَسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمْنِعْكُمْ مِّنْعًا حَسَنًا إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ﴾ (٣) [هود: ٣].

كَمْ فِي الظَّالِمِ لَهُ إِذَا نَامَ الْوَرَى	مِنْ زَفَرَةٍ فِي إِثْرِهَا يَتَوَجَّعُ
وَيَقُولُ فِي دَعَوَاتِهِ يَا سَيِّدِي	الْعَيْنُ يُسْعِدُهَا دَمُوعٌ رُجَّعُ
إِنِّي فَرَعْتُ إِلَيْكَ فَارْحَمْ عِبْرَتِي	وَإِلَيْكَ مِنْ ذُلِّ الْخَطِيئَةِ أَفْرَعُ
مَنْ ذَا سِوَاكَ يُجِيرُنِي مِنْ زَلَّتِي	يَا مَنْ لِعِزَّتِهِ أَذِلُّ وَأَخْضَعُ
فَأَمُنُّ عَلَىٰ بَتَوْبَةٍ أَحْيَا بِهَا	إِنِّي بِمَا اجْتَرَأْتُ يَدَايَ مُرَدِّعُ

العبد كتب الله تعالى عليه الخطأ والزلل وهو بهذه الحالة مسيء فيما بينه وبين ربه أو لنفسه أو بينه وبين العباد وكلها إساءة وظلم لم يأذن الله تعالى له بها وهو لا يسلم من هذا الظلم مهما كان والله تعالى من رحمته بعبده أن يفتح له باب التوبة والاستغفار فما على العبد إلا أن يسلك هذا الطريق المريح للقلوب والذي به تنال الدرجات وتكفر السيئات والخطيئات فمن واجب العبد أن يحسن إلى نفسه وأن يلزمها التوبة والاستغفار لله تعالى.

وعن عبد الله بن عمرو بن العاصي - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - : أن مُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أراد سفراً فقال: يا نبي الله! أوصني، قال: اعبد الله لا تشرك به شيئاً. قال: يا

نبي الله! زدني، قال: إذا أسأت فأحسن. ^(١)

تعليم العلم:

قال الله تعالى: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَىٰ ءَاتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ [القصص: ١٤].

وقال تعالى: ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ

حَيًّا﴾ [مريم: ٣١].

قال مجاهد وسفيان: أي معلماً للخير. ^(٢)

قال السعدي - رَحِمَهُ اللَّهُ -: ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ﴾ أي: في أي مكان، وأي: زمان، فالبركة جعلها الله في من تعليم الخير والدعوة إليه، والنهي عن الشر، والدعوة إلى الله في أقواله وأفعاله، فكل من جالسه، أو اجتمع به، نالته بركته، وسعد به مصاحبه. ^(٣)

وقال الله تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [آل عمران: ١٦٤].

قال السعدي - رَحِمَهُ اللَّهُ -: هذه المنة التي امتن الله بها على عباده، أكبر النعم، بل أصلها، وهي الامتنان عليهم بهذا الرسول الكريم الذي أنقذهم الله به من الضلالة، وعصمهم به من الهلكة، فقال: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾ يعرفون نسبه، وحاله، ولسانه، من قومهم وقبيلتهم، ناصحاً لهم، مشفقاً عليهم، يتلو عليهم آيات الله، يعلمهم ألفاظها ومعانيها.

(١) صحيح الترغيب والترهيب (٢٦٥٤).

(٢) تفسير الطبري (١٨/١٩١).

(٣) تيسير الكريم الرحمن (٤٩٢).

﴿وَيُزَكِّيهِمْ﴾ من الشرك، والمعاصي، والرذائل، وسائر مساوئ الأخلاق.
 ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ﴾ إما جنس الكتاب الذي هو القرآن، فيكون قوله:
 ﴿يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَاتِهِ﴾ المراد به الآيات الكونية، أو المراد بالكتاب -هنا-
 الكتابة، فيكون قد امتن عليهم، بتعليم الكتاب والكتابة، التي بها تدرك العلوم
 وتحفظ، ﴿وَالْحِكْمَةَ﴾ هي: السُّنَّةُ، التي هي شقيقة القرآن، أو وضع
 الأشياء مواضعها، ومعرفة أسرار الشريعة.

فجمع لهم بين تعليم الأحكام، وما به تنفذ الأحكام، وما به تدرك فوائدها
 وثمراتها، ففاقوا بهذه الأمور العظيمة جميع المخلوقين، وكانوا من العلماء
 الربانيين، ﴿وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ﴾ بعثة هذا الرسول ﴿لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ لا
 يعرفون الطريق الموصل إلى ربهم، ولا ما يزكي النفوس ويطهرها، بل ما زين
 لهم جهلهم فعلوه، ولو ناقض ذلك عقول العالمين. ^(١)

وقال الله تعالى: ﴿وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَءَاتَتْهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ
 وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ
 وَلَٰكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [البقرة: ٢٥١].

قال السعدي - رَحِمَهُ اللَّهُ -:

﴿وَأَتَتْهُ اللَّهُ﴾ أي: أتى الله داود ﴿الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ﴾ أي: منَّ عليه
 بتملكه على بني إسرائيل مع الحكمة، وهي النبوة المشتملة على الشرع العظيم
 والصراط المستقيم، ولهذا قال ﴿وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ﴾ من العلوم الشرعية
 والعلوم السياسية، فجمع الله له الملك والنبوة. ^(٢)

(١) تيسير الكريم الرحمن (١٥٥).

(٢) تيسير الكريم الرحمن (١٠٨).

التودد والتحبب للناس:

فقد جبلت القلوب على حب من أحسن إليها، وإحسان الله إلى عباده متواتر، وإنعامه عليهم باطن وظاهر، ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا﴾ [إبراهيم: ٣٤- النحل: ١٨]، ويكفيك أنه يحسن إلى المطيع والعاصي، والمؤمن والكافر، وكل إحسان ينسب إلى غيره، فهو في الحقيقة منه، وهو المستحق للمحبة وحده قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾ [٩٦] ﴿مريم: ٩٦﴾. وعد الله تعالى عباده الصالحين بأنه سيجعل لهم المحبة في قلوب العباد وهذا يبين لك أخي المؤمن أن هذه نعمة عظيمة أن يرزق العبد المحبة في قلوب العباد.

وعن ميمون بن مهران قال: التودد إلى الناس نصف العقل، وحسن المسألة نصف العلم. ^(١)

والتودد هو: الإتيان بالأحوال التي يودك الناس ويحبونك من أجلها دون مداينة أو تفريط في طاعة الله تعالى أو ارتكاب لما نهى الله عنه. وينشد لابن أبي النجم ^(٢):

إِصْنَعِ الْخَيْرَ مَا اسْتَطَعْتَ وَإِنْ كُنْتَ لَا تُحِيطُ بِكُلِّهِ
فَمَتَى تَصْنَعُ الْكَثِيرَ إِذَا كُنْتَ تَارِكًا لِأَقْلِهِ

وقال عمر بن الخطاب - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -: إِنَّ مَا يَصْنَعُ لَكَ وَدَّ أَخِيكَ أَنْ تَبْدَأَهُ

(١) الفقيه والمتفقه (٦٩٢).

(٢) آداب العشرة (٧).

بالسلام إذا لقيته، وأن تدعوه بأحبّ الأسماء إليه، وأن توسّع له في المجلس^(١).
فالتحبيب للناس علامة عظيمة على إحسان العبد ودلالة واضحة على حسن معاملته للعباد يرجو ما عند الله تعالى.

فلو قطع الإحسان من هذه القلوب لتغيرت، وذهبت محبتها أو ضعفت،
فإن باعثها هو الإحسان، وبتلك المحبة يتلذذ المحب بخدمة محبوبه.

عدم الإصرار على الخطأ:

قال الله تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ
وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ۝١٣٣ الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَبِيرِ وَالصَّغِيرِ
وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ ۗ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ۝١٣٤ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً أَوْ
ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرِ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ
يَصِرُوا عَلَىٰ مَافَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ۝١٣٥﴾ [آل عمران: ١٣٣-١٣٥].

العبد كتب الله عليه الخطأ ولكن المحسن عند الخطأ وفي معاملة ربه هو
الذي يقابل هذا الخطأ بالتوبة إلى الله تعالى وليس بالإصرار عليه وعلى الذنب
فإن هذا منافي للإحسان والبر والخيرية في العبد والله المستعان ولذلك شرع الله
التوبة للعباد رحمة بهم.

قال حبر الأمة عبد الله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: لا كبيرة مع الاستغفار، ولا
صغيرة مع الإصرار.^(٢)

وقال الصحابي الفقيه عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إن المؤمن يرى ذنوبه كأنه
قاعد تحت جبل يخاف أن يقع عليه، وإن الفاجر يرى ذنوبه كذباب مر على أنفه.^(٣)

(١) بهجة المجالس (١٤٣).

(٢) جامع البيان الإمام الطبري (٨/ ٢٤٥).

(٣) البخاري (٦٣٠٨)، مسلم (٢٧٤٤).

الأعمال الصالحة:

قال الله تعالى: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفًا مِّنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرٌ لِلذَّكْرِينَ﴾ (١١٤) وَأَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿١١٥﴾ [هود: ١١٤-١١٥].

وقال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ وَحُسْنُ مَّآبٍ﴾ (٢٩) [الرعد: ٢٩].

ليس في كل ساعة وأوان تتهياً صنائع الإحسان
فإذا أمكنت فبادر إليها حذراً من تعذر الإمكان

قيام الليل وكثرة الاستغفار:

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾ (١٥) ءَاخِذِينَ مَا ءَانَهُمْ رَبُّهُمْ إِيَّاهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ ﴿١٦﴾ كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَيَا لَأَسْمَارِهِمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾ [الذاريات: ١٥-١٨].

قال العلامة السعدي - رَحِمَهُ اللَّهُ -: يقول تعالى في ذكر ثواب المتقين وأعمالهم، التي أوصلتهم إلى ذلك الجزاء: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ﴾ أي: الذين كانت التقوى شعارهم، وطاعة الله دثارهم، ﴿فِي جَنَّاتٍ﴾ مشتملات على جميع أصناف الأشجار، والفواكه، التي يوجد لها نظير في الدنيا، والتي لا يوجد لها نظير، مما لم تنظر العيون إلى مثله، ولم تسمع الآذان، ولم يخطر على قلوب العباد ﴿وَعُيُونٍ﴾ سارحة، تشرب منها تلك البساتين، ويشرب بها عباد الله، يفجرونها تفجيراً. وهذا شامل لإحسانهم بعبادة ربهم، بأن يعبدوه كأنهم يرونه،

فإن لم يكونوا يرونه، فإنه يراهم، وللإحسان إلى عباد الله ببذل النفع والإحسان، من مال، أو علم، أو جاه أو نصيحة، أو أمر بمعروف، أو نهي عن منكر، أو غير ذلك من وجوه الإحسان وطرق الخيرات.

حتى إنه يدخل في ذلك، الإحسان بالقول، والكلام اللين، والإحسان إلى الممالك، والبهائم المملوكة، وغير المملوكة ومن أفضل أنواع الإحسان في عبادة الخالق، صلاة الليل، الدالة على الإخلاص، وتواطؤ القلب واللسان، ولهذا قال: ﴿كَانُوا﴾ أي: المحسنون ﴿قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ﴾ (١٧) أي: كان هجوعهم أي: نومهم بالليل، قليلاً وأما أكثر الليل، فإنهم قانتون لربهم، ما بين صلاة، وقراءة، وذكر، ودعاء، وتضرع.

﴿وَبِالْأَسْحَارِ﴾ التي هي قبيل الفجر ﴿هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ (١٨) الله تعالى، فمدوا صلاتهم إلى السحر، ثم جلسوا في خاتمة قيامهم بالليل، يستغفرون الله تعالى، استغفار المذنب لذنبه، وللاستغفار بالأسحار، فضيلة وخصيصة، ليست غيره، كما قال تعالى في وصف أهل الإيمان والطاعة: ﴿وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ﴾ (١٧) [آل عمران: ١٧]. (١)

وقال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ (١٥) ﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ (١٦) [السجدة: ١٧].

وقال الله تعالى: ﴿لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ ءَانَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ﴾ (١١٣) [آل عمران: ١١٣].

وعن أبي هريرة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قال: قال: رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: رحم الله رجلاً قام من الليل فصلّى، ثم أيقظ امرأته فصلّت، فإن أبت نضح في وجهها

(١) تيسير الكريم الرحمن (٨٠٨) .

الماء، ورحم الله امرأة قامت من الليل فصلت، ثم أيقظت زوجها فصلى، فإن أبى نضحت في وجهه الماء. ^(١)

أَعْرِضْ عَنِ النِّسْوَانِ جُهِدَكَ وَانْتَدِبْ
فِي جَنَّةٍ طَابَتْ وَطَابَ نَعِيمُهَا
إِنْ كُنْتَ مُشْتَقًا لَهَا كَلْفًا بِهَا
كُنْ مُحْسِنًا فِيمَا اسْتَطَعْتَ فَرُبَّمَا
وَاعْمَلْ لِحَنَاتِ النَّعِيمِ وَطِيبِهَا
قُمْ فِي الدُّجَى وَاتْلُ الْكِتَابَ وَلَا تَنْمُ
فَلِرُبَّمَا تَأْتِي الْمَنِيَّةُ بَغْتَةً
يَا حَبَّذَا عَيْنَانِ فِي غَسَقِ الدُّجَى
لِعِنَاقِ خَيْرَاتٍ هُنَاكَ حِسَانٍ
مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ بِهَا زَوْجَانِ
شَوْقُ الْغَرِيبِ لِرُؤْيَا الْأَوْطَانِ
تُجْزَى عَنِ الْإِحْسَانِ بِالْإِحْسَانِ
فَنَعِيمُهَا يَبْقَى وَلَيْسَ بِفَانٍ
إِلَّا كَنُومَةٍ حَائِرٍ وَلَهَانٍ
فَتُسَاقُ مِنْ فُرْشٍ إِلَى الْأَكْفَانِ
مِنْ خَشْيَةِ الرَّحْمَنِ بَاكِتَانِ

مقابلة الإحسان بالإحسان:

وقال الله تعالى: ﴿وَرَوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ (٢٣) [يوسف: ٢٣].

وقال الله تعالى: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ (٧٧) [القصص: ٧٧].

(١) صحيح سنن النسائي (١٥١٩).

كن حليماً ما تستطيع وأحسن لجميع الإخوان والخلان
إن من كان محسناً قابلته بجميل عوائد الإحسان

وأدلة ذلك كثيرة جداً فالله تعالى أحسن إلى العباد وأوجب عليه الإحسان في عبادته وحسن الاعتقاد فيه جل وعلا وأمر بمقابلة الإحسان الواصل من العباد الراعي والرعية والآباء والأبناء والجيران والصغار والكبار وجميع المحسنين بالإحسان إليهم جزاء بسواء كما قال تعالى: ﴿ هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَنُ ﴾ [الرحمن: ٦٠]، فالإحسان منهج حياة ينهجه المسلم في جميع حياته وتصرفاته ومع جميع خلقة وهذا لحاجته لهم وحاجتهم له فلا يقصر في الحقوق ولا الواجبات بل ولا الفضل الزائد عن هذا كله والله المستعان.
قال بعضهم:

بث الصنائع لا تحفل بموقعها من أمل شكر الإحسان أو كفرا
فالغيث ليس يبالى أين ما انسكبت منه الغمام ترباً كان أو حجرا
وقال آخر:

كل نفس تجزى بما قدمته وجزاء الإحسان بالإحسان
كيف نرجو من الزمان بقاء والمنايا تحول دون الأمان
وقال آخر:

أحسن إذا كان إمكان ومقدرة فلن يدوم على الإحسان إمكان

مقابلة الإساءة بالإحسان:

قال الله تعالى: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةِ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ﴾ (١٦) [المؤمنون: ٩٦].

وقال الله تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِ الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ (٣٤) ﴿إِلَّا دُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ (٣٥) [فصلت: ٣٤-٣٥].

قال ابن القيم - رَحِمَهُ اللهُ -: مشهد الإحسان وهو أرفع مما قبله وهو أن يقابل إساءة المسيء إليه بالإحسان فيحسن إليه كلما أساء هو إليه ويهون هذا عليه علمه بأنه قد ربح عليه وأنه قد أهدى إليه حسناته ومحاسنها من صحيفته وأثبتها في صحيفته من أساء إليه فينبغي لك أن تشكره وتحسن إليه بما لا نسبة له إلى ما أحسن به إليك. (١)

فهذا منهج عملي عظيم يؤدب به الرب تعالى العبد أن يكون من المحسنين في جميع الجوانب ولو كان ذلك فيه هضم لحق واعتداء عليه في أي جانب مالم يكن في ذلك في دينه فإنه الخط الذي لا ينبغي تجاوزه أن يعامل العباد بإساءتهم براً وصبراً إحساناً فهذا تصلح الحياة ويزول الشر ويزاد الخير مالم يكن من المسيء تمادياً في إساءته وزيادة في شره وظلمه فينبغي بعد ذلك كفه وحجزه ومنعه فإنه من باب الإحسان العظيم إلى المسيء.

قال العلامة الترمذي - رَحِمَهُ اللهُ -: صلاح الفتى بالعلم وصلاح الكهل بالمسجد وصلاح المرأة بالبيت وصلاح المؤذي بالسجن. (٢)

(١) المدارج (٢/ ٣٢٠).

(٢) السير (١٣/ ٤٤١).

لا تصنعنَّ إلى اللئام صنيعه فيضيع ما تأتي من الإحسان
 وضع الصنائع في الكرام فشكرها باق عليك بقيّة الأزمان
 وقال بعضهم:

ومن وضع الإحسان في غير أهله فمن كفه في عنقه وضع المديا
 ومن يجعل السرحان للظبي راعياً فلا يلم السرحان إن قتل الظبياً
 وقال بعضهم:

وكيف أصبح في الإحسان مقتصداً وما وجدتكَ فيه قط مقتصداً
 وعن أنس بن مالك - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -
 انْصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا . (١)

وعن عبيد الله بن عديّ بن خيار: أَنَّهُ دَخَلَ عَلَى عِثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ -
 وَهُوَ مُحْصُورٌ فَقَالَ: إِنَّكَ إِمَامٌ عَامَّةٌ، وَنَزَلَ بِكَ مَا نَرَى، وَيَصِلِي لَنَا إِمَامٌ فَتَنَةٌ
 وَنَتَحَرَّجُ. فَقَالَ: الصَّلَاةُ أَحْسَنُ مَا يَعْمَلُ النَّاسُ، فَإِذَا أَحْسَنَ النَّاسُ فَأَحْسَنَ
 مَعَهُمْ، وَإِذَا أَسَاءُوا فَاجْتَنِبْ إِسَاءَتَهُمْ. (٢)

الزهد في الدنيا:

قال الله تعالى: ﴿ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴾ [طه: ١٣١].

(١) البخاري (٢٤٤٣).

(٢) البخاري (٦٩٥).

وقال ابن القيم - رَحْمَةُ اللَّهِ -: إِنَّ الزَّهْدَ سَفَرُ الْقَلْبِ مِنْ وَطَنِ الدُّنْيَا، وَأَخْذُهُ فِي مَنَازِلِ الْآخِرَةِ. (١).

وعن سهل بن سعد الساعدي - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قال: أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، دَلَّنِي عَلَى عَمَلٍ، إِذَا أَنَا عَمَلْتَهُ، أَحَبَّنِي اللَّهُ، وَأَحَبَّنِي النَّاسُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَزْهَدْ فِي الدُّنْيَا، يُحِبُّكَ اللَّهُ، وَأَزْهَدْ فِيهَا فِي أَيْدِي النَّاسِ، يُحِبُّوكَ (٢).

فالدنيا ملأى بالمصائب والآلام، والأحزان والأسقام غناها فقر وعزها ذل. والآجال فيها معدودة والأعمار محدودة، قال تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ (٣٤) [الأعراف: ٣٤].

نعيمها إلى فناء وعيشها إلى انقضاء متاعها قليل، وحسابها طويل - الخلود فيها لا يكون لإنسان والبقاء الدائم لا يكون إلا للديان الذي يقول: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ (٣٦) وَبَقِيَ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ (٣٧) [الرحمن: ٢٦-٢٧].

فالسعيد من استعد ليوم الرحيل، وجهز نفسه بالعمل الصالح لسفر طويل، وتفكر فيمن سبقوه إلى دار القرار، وعلم أنه لا حق بهم مهما حاول الفرار، والأمر بعد ذلك إما نعيم مقيم أو شقاوة وعذاب أليم.

الرحمة بالناس:

قال الله تعالى: ﴿فَلَا أَقْنَمَ الْعَقَبَةَ﴾ (١١) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ (١٢) فَكُ رَقَبَةً (١٣) أَوْ إِطْعَمَهُ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ (١٤) بَيْنَمَا ذَا مَقَرَبَةٍ (١٥) أَوْ مَسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ (١٦) ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ (١٧) [البلد: ١١-١٧].

(١) مدارج السالكين (٢/ ١٣).

(٢) صحيح ابن ماجه (٣٣١٠).

وعن جرير بن عبد الله - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قال: قال: رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لا يرحم الله من لا يرحم الناس . (١)

وعن النعمان بن بشير - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قال: قال: رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ترى المؤمنين في تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى عضو تداعى له سائر جسده بالسهر والحمى . (٢)

وعن جابر بن عبد الله - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قال: قال: رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: رحم الله رجلا سمحا إذا باع، وإذا اشترى، وإذا اقتضى . (٣)

وعن أبي هريرة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إذا صلب أحدكم للناس فليخفف، فإن في الناس الضعيف والسقيم وذا الحاجة . (٤)

الرَّاحُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ يَرْحَمُهُمْ
فَارْحَمْ بِقَلْبِكَ خَلْقَ اللَّهِ وَارْعَهُمْ
وَقَالَ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ - رَحِمَهُ اللَّهُ - :

لَا تَمْشِ فِي النَّاسِ إِلَّا رَحْمَةً لَهُمْ
وَاقْطَعْ قَوَى كُلِّ حَقْدٍ أَنْتَ مُضْمَرُهُ
وَارْغَبْ بِنَفْسِكَ عَمَّا لَا صَلَاحَ لَهُ
وَلَا تَعَامَلَهُمْ إِلَّا بِإِنصَافٍ
إِنْ زَلَّ ذُو زَلَةٍ أَوْ إِنْ هَفَا هَافٍ
وَأَوْسِعِ النَّاسَ مِنْ بَرٍّ وَإِلْطَافٍ

(١) البخاري (٧٣٧٦) واللفظ له، ومسلم (٢٣١٩).

(٢) البخاري (٦٠١١) واللفظ له، ومسلم (٢٥٨٦).

(٣) البخاري (٢٠٧٦).

(٤) البخاري (٧٠٢)، مسلم (٤٦٧) واللفظ له .

أن يحب للناس ما يحبه لنفسه:

عن أنس - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عن النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قال: لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه. ^(١)

قال الفضيل بن عياض لسفيان بن عيينة: إن كنت تود أن يكون الناس مثلك. . فما أديت لله الكريم النصيحة، فكيف وأنت تود أنهم دونك؟! ^(٢).

الجهاد في سبيل الله تعالى:

قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ ^(٦٩) [العنكبوت: ٦٩].

وقوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ ^(١٩٥) [البقرة: ١٩٥].

وقال الله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطْغُونَ مَوْطَأًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نِيلاً إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ ^(١٣٠) وَلَا يُنْفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِحَرْزِهِمْ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ^(١٣١) [التوبة: ١٢٠-١٢١].

وقال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ يُقَرِّبُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْفُرْقَانِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمْ

(١) البخاري (١٣)، مسلم (٤٥).

(٢) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٧٩٠٩)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٤٨ / ٤١٨).

اللَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ، وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١١١﴾ [التوبة: ١١١].

عاشراً: علامات الإحسان:

أولاً: أن يرزق ثمار الإحسان السابقة الذكر:

ثمار الإحسان التي يجنيها العبد ويتحصل عليها من الله تعالى إحساناً من الله تعالى إليه وجزاء عمله دليل واضح أن هذا العبد من المحسنين الذين أحسنوا فأحسن الله تعالى إليهم والمسيء هو الذي لا ينال من الإحسان إلا ما أحسن الله تعالى به إلى جميع العباد جملة إحساناً عاماً لجميع خلقه **تَبَارَكَ وَتَعَالَى**.

ثانياً: أن يصدق قوله عمله وظاهره باطنه:

فالمحسن هو الذي لا يلحظ العباد في عمله ولا قوله ولا معاملته للخالق ولا للمخلوق بل القصد من ذلك ما عند الله تعالى فهو لا يبالي باللوم ولا بالرياء ولا طلب السمعة بل همه محاسبة نفسه على عمله وتقصيره في عبادة ربه قد جعل همه ومقصوده ما عند ربه فهو قد نظر إلى ربه فأحسن عبادته فإن لم ير ربه فقد جعل في يقينه أن ربه تعالى ينظر إليه ويراه فهو صادق في جميع معاملاته فمن كان هذا حاله فقد بلغ الرتبة الرضية والمنزلة العاليه من مراتب العبادة فهنيئاً لمن كان هذا حاله وشأنه ولا حول ولا قوة إلا بالله العظيم.

ثالثاً: ألا يطلب على إحسانه جزاءً ولا شكوراً:

قال شيخ الإسلام - **رَحِمَهُ اللَّهُ** -: ومن الجزاء - أي: لمن يحسن - أن يطلب الدعاء، قال تعالى عمن أثنى عليهم: ﴿إِنَّمَا نَطْعِمُكُمْ لَوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكْرًا﴾ [الإنسان: ٩]. والدعاء جزاء كما في الحديث: من أسدى إليكم معروفاً فكافئوه، فإن لم تجدوا ما تكافئونه به فادعوا له حتى تعلموا أن قد كافأتموه ^(١).

(١) سُنَنِ النَّسَائِيِّ (٢٥٦٧).

وكانت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا إذا أرسلت إلى قوم بصدقة تقول للرسول: اسمع ما يدعون به لنا حتى ندعو لهم بمثل ما دعوا لنا ويبقى أجرنا على الله .

هذه مسألة مهمة وخفية على كثير من الناس، وهي أيضاً خلافية كما ذكر الشيخ في موضع آخر، وهي أن الإنسان إذا عمل معروفًا وأحسن إلى آخرين فهل يشرع له أن يطلب منهم الدعاء أو لا؟ قال بعض أهل العلم: لا حرج عليه، ويشرع له أن يطلب الدعاء ممن يحسن إليه، فإذا عمل خيراً مع أحد أو نفعه بشيء من أمور دينه أو دنياه فيقول: ادع الله لي، هذا قول.

والقول الآخر وهو الأرجح وعليه غالب أئمة السلف الكبار فيما أعلم: أنهم يرون هذا جائزاً لكن ليس هو الأولى، أي أنك تفرح وتتمنى أن يدعو لك الآخرون لكن لا ينبغي أن تطلب منهم؛ لأن جزاءك ثابت عند الله عَزَّوَجَلَّ سواء أدعوا لك أم لم يدعوا، ولأن في طلب الدعاء إضعافاً للاحتساب وطلب الأجر من الله، ونوعاً من القدح في الإخلاص.

فلذلك كان الأولى لمن بذل معروفًا لأحد أن يحتسب أجره عند الله عَزَّوَجَلَّ ولا يطلب الدعاء له جزاء إحسانه، ولذلك فقهاء عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا هذا الأمر، فكانت إذا أرسلت بالصدقة تقول لمن ترسله: اسمع ما يدعون لنا، تريد أن تدعو له بمثل ذلك، ويتمخض الأجر خالصاً من الله عَزَّوَجَلَّ.

قد يقول قائل: أليس في طلب الدعاء ممن تحسن إليه إذا دعا لك زيادة أجر من الله عَزَّوَجَلَّ؟ نقول: هذا قد يكون؛ لكن قد يكون العكس أيضاً، حيث يدخل في النفس شيء من العجب والرياء، ثم إنه من جانب آخر قد يضعف إيمان الإنسان في اتكاله على دعاء الآخرين فإن نفع طلب الدعاء من الغير عند الإحسان إليهم من وجه قد يضر من وجوه أخرى ترجع إلى أصل اليقين وإلى

أصل التوكل في النفس، وهذا أثره يبقى على النفس أكثر من أثر العارض. ^(١)

خامساً: أن يشكر المحسن إليه:

عن جابر - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قال: قال: رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: من أعطي عطاء فوجد فليجز به فإن لم يجد فليثن به، فمن أثنى به فقد شكره، ومن كتمه فقد كفره. ^(٢)
وقال بعضهم:

جزى الرحمن أحسن ما يجازي	على الإحسان خيراً من صديق
وقد جربت إخواني جميعاً	فما ألفيت كابن أبي عتيق
سعى في جمع شملي بعد صدع	ورأي حدث فيه عن الطريق
وأطفأ لوعة كانت بقلبي	أغصنتني حرارتها بريقي

وقال أحمد النحلاوي ^(٣):

كن حليماً ما تستطيع وأحسن	لجميع الأخوان والخلان
إن من كان محسناً قابله	بجميل عوائد الإحسان

موانع الإحسان

الإحسان عزيز ولا يكون إلا من عزيز ولشرفه لا تحمله ولا تبذله إلا النفوس الكريمة فإذا تدنس النفوس وتغيرت فلا يرجى منها إلا ما تطبعت

(١) كما في شرح كتاب قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة للعقل (الشريط العاشر).

(٢) أبو داود (٤٨١٣) وحسنه الألباني.

(٣) سلك الدرر (١/١٢٦).

عليه وتعودته.

فالنفس الشريفة هي التي ينال ويرجى منها الخير والإحسان والنفس الدنيئة الجاهلة صاحبة الأخلاق الرذيلة هي التي لا يرجى منها الخير والإحسان ولذلك قال النبي - **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** - لما وَقَفَ عَلَى أَنَاسٍ جُلُوسٍ، فَقَالَ: **أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِخَيْرِكُمْ مِنْ شَرِّكُمْ؟**، فَسَكَتُوا، فَقَالَ ذَلِكَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ فَقَالَ رَجُلٌ: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَخْبِرْنَا بِخَيْرِنَا مِنْ شَرِّنَا، قَالَ: **خَيْرُكُمْ مَنْ يُرْجَى خَيْرُهُ، وَيُؤْمَنُ شَرُّهُ، وَشَرُّكُمْ مَنْ لَا يُرْجَى خَيْرُهُ، وَلَا يُؤْمَنُ شَرُّهُ.** ^(١)

وعن أبي الدرداء - **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** - أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ لِلنَّاسِ نَحْنُ أَعْرَفُ بِكُمْ مِنْ الْبَيَاطِرَةِ بِالذَّوَابِ قَدْ عَرَفْنَا خَيْرَكُمْ مِنْ شَرِّكُمْ، أَمَّا خَيْرُكُمْ فَالَّذِي يُرْجَى خَيْرُهُ وَيُؤْمَنُ شَرُّهُ، وَأَمَّا شَرُّكُمْ فَالَّذِي لَا يُرْجَى خَيْرُهُ وَلَا يُؤْمَنُ شَرُّهُ وَلَا يُعْتَقُ مُحَرَّرُهُ. ^(٢)

ولذلك فللإحسان موانع كثيرة تمنع العبد من الإحسان وتمنع عنه الإحسان والخير وقد تتبعت أكثرها فوجدت أنها راجعة لسببين هما:

السبب الأول: أمراض القلوب؛

فالقلب منبع الخير والشر وأصل صلاح الكون وفساده قال الله تعالى: **﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾** [الرعد: ١١] فإذا صلحت القلوب فإن العبد بعد ذلك يكون محبب له الإحسان وإذا مرضت القلوب صدر من العبد كل منكر وسوء ووصف أهل الجنة بسلامة القلب فقال: **﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ﴾** [٤٧] [الحجر: ٧٤] وليس أروح للمرء، ولا أطرده لهمومه، ولا أقر لعينه من أن يعيش سليم القلب، مبرأ من

(١) سنن الترمذي (٢٢٦٣)، صحيح الجامع: (٢٦٠٣).

(٢) الأدب المفرد (١٥٩) صحيح.

وساوس الضغينة، وثوران الأحقاد، إذا رأى نعمة تنساق لأحد رضي بها، وأحس فضل الله فيها، وفقر عباده إليها. وإذا رأى أذى يلحق أحداً من خلق الله رثى له، ورجا الله أن يفرج كربه ويغفر ذنبه ... وبذلك يحيا المسلم ناصع الصفحة، راضياً عن الله وعن الحياة، مستريح النفس من نزعات الحقد الأعمى، فإن فساد القلب بالضغائن داء عياء، وما أسرع أن يتسرب الإيمان من القلب المغشوش، كما يتسرب السائل من الإناء المثلوم! ...

والإسلام يحارب الأحقاد ويقتل جرثومتها في المهد، ويرتقي بالمجتمع المؤمن إلى مستوى رفيع من الصداقات المتبادلة أو المعاملات العادلة، وقد اعتبر الإسلام من دلائل الصغار وخسة الطبيعة، أن يرسب الغل في أعماق النفس فلا يخرج منه، بل يظل يموج في جوانبها كما يموج البركان المكتوم، وكثير من أولئك الذين يحتبس الغل في أفئدتهم، يتلمسون متنفساً له في وجوه من يقع معهم، فلا يستريحون إلا إذا أرغوا وأزبدوا، وآذوا وأفسدوا.^(١)

فكل مرض يصيب القلب يحول بينه وبين الخير والمعروف والإحسان سواء كان هذا المرض صغيراً أو كبيراً متعدد أثره أو لازم للعبد فكلها مانعة من الخير والمعروف مفسدة فساداً مستطيراً نسأل الله تعالى العافية.

ثانياً: الجهل بالثواب الذي أعده الله للمحسنين؛

بعث الله نبيه ﷺ فدعا العباد إلى الله تعالى ووعدهم بالجنة وكان يدعوهم ويدلهم إلى الخير ويبين لهم عظم ما سينالونه من الأجر والثوبة عند الله تعالى في الدنيا والآخرة وذلك لأن النفوس مجبولة على محبة الجزاء والإثابة ولذلك كان من أسس دعوته من أول يوم عندما بايع الأنصار في العقبة فقالوا فمالنا قال الجنة.

(١) كما في موسوعة الأخلاق الإسلامية (٢/ ٢٤٥).

الإِحْسَانُ

قال الله تعالى: ﴿أَدْفَعْ بِأَلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ [فصلت: ٣٤] فالنفوس مجبولة على مقابلة المسيء بإساءته، وعدم العفو عنه، فكيف بالإحسان إليه؟.

ولا يصل إلى هذه الرتبة العالية إلا من صبر، وعرف جزيل الثواب، وامتلأ أمر ربه: ﴿وَمَا يُلْقِيهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقِيهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ [فصلت: ٣٥].^(١)

إن العين المفتوحة والقلب البصير يرى الحسن والإحسان في هذا الوجود بتجمعه، ويراه في كل أجزائه وأفراده.

والنظر والتأمل في مخلوقات الله حيثما اتجه النظر أو القلب أو الذهن يمنح الإنسان رصيلاً ضخماً من ذخائر الحسن والجمال المبثوث في هذا الكون، فتكسب الإيمان والإجلال للرب في القلب، وهو يتجول في هذا المعرض الإلهي الكبير، ويتملى ما فيه من آيات الإحسان والإيتقان، في كل ما يراه، وما يسمعه، وما يدركه.^(٢)

وخلصته:

أن من لم يعرف قدر الأجر والمثوبة عند الله تعالى في الإحسان يجعل العبد يطلب أجره في الدنيا مقابلة سواء بسواء. ومن لم يحب المتاجرة مع ربه تعالى ويرجو الدار الآخرة فهو من أبعد الناس عن الخير والبر والإحسان.

(١) موسوعة فقه القلوب (١/ ٧٧٤).

(٢) موسوعة فقه القلوب (١/ ٧٨٤).

فَهْرِسْتَن

المقدمة	٥
أولاً تعريف: الإحسان	٩
الإحسان لغةً:	٩
الإحسان شرعاً:	٩
فالإحسان في لغة القرآن الكريم يطلق بإطلاقين:	١٣
والإحسان نوعان من حيث تعديه ونفعه:	١٤
ثانياً: ورود الإحسان في القرآن الكريم	١٦
وقد ورد الإحسان في التّنزيل على ثلاثة عشر وجهاً:	١٦
وقد جاء ذكره في القرآن في مواضع مقروناً:	١٧
الفرق بين الإحسان وبعض الكلمات المشابهة:	١٩
رابعاً: الإحسان من صفات الله تعالى	٢١
خامساً: مراتب الإحسان وحقيقته	٢٥
سادساً: الكاذبون في إحسانهم:	٣٠
سابعاً: أنواع المحسنين	٥٠
أولاً: إحسان الله تعالى إلى خلقه:	٥٠

- ٥٣ إحسان خلق فطرهم :
- ٥٥ إحسان رزقهم :
- ٥٨ إحسان خلقهم وصورهم :
- ٦١ إحسان إنزال الكتب :
- ٦١ إحسان إرسال الرسل وتأيدهم بالمعجزات والحجج المقنعة :
- ٦٥ إحسان إعداد الجزاء والثواب للمؤمنين في الدنيا والآخرة :
- ٦٦ إحسان تعذيب المخالف لشرعة تبارك وتعالى :
- ٦٨ إحسان الله تعالى ولطفه على عبده عند البلاء وبعد البلاء :
- ٧٣ إحسان دفاعه عن أوليائه :
- ٧٧ ومن مظاهر إحسان الله تعالى لعباده دلالتهم على الإيمان :
- ٧٨ ومن مظاهر إحسان الله تعالى لعباده إحسان التشريع لهم :
- ٨٠ ثانياً: إحسان الملائكة إلى الناس :
- ٨٠ ومن إحسانهم إلى العباد حفظ أعمالهم :
- ٨١ من إحسانهم إلى العبد أنهم له حفاة :
- ٨٢ من إحسانهم إلى العبد الصالح الدعاء له :
- ٨٣ ومن إحسانهم أنهم يغسلون بعض الصالحين :
- ٨٤ ومن إحسانهم أنهم يبشرون المؤمنين بالخير :
- ٨٥ ومن إحسانهم أنهم يحبون الصالحين ويبغضون المجرمين :
- ٨٥ ومن إحسانهم إلى العبد الصالح إعانته وتسديده :
- ٨٦ من إحسانهم إلى المؤمنين الدفاع عنهم والتشيت لهم :
- ٨٨ يتعاقبون في بني آدام :

- حضور مجالس العلم وحف طلاب العلم بالأجنحة: ٨٩
- ثالثاً: إحسان الأنبياء إلى أممهم وأخصهم نبينا عليه الصلاة والسلام: ٨٩
- دعوتهم إلى الله تعالى وبيان التوحيد: ٨٩
- الرحمة بهم في بيان الشريعة: ٩١
- ومن مظاهر إحسان الأنبياء إلى قومهم الحرص على دعوتهم وتعليمهم أمر دينهم: .. ٩٢
- ومن مظاهر إحسان الأنبياء إلى قومهم العفو عن مسيئتهم: ٩٤
- ومن مظاهر إحسان الأنبياء إلى قومهم الخوف على قومهم من عذاب الله تعالى: ... ٩٥
- ومن مظاهر إحسان الأنبياء إلى قومهم حسن الخلق والمعاملة لهم: ٩٦
- فقابل إساءتهم العظيمة إليه بأربع مقامات من الإحسان: ٩٧
- رابعاً: إحسان العلماء إلى الأمة: ٩٧
- خامساً: إحسان العبد إلى نفسه: ٩٩
- سادساً: إحسان العبد إلى غيره: ١٠١
- خامساً: أهمية الإحسان ١٠٣
- الإحسان عبادة أمر الله بها: ١٠٣
- معية الله تعالى للمحسنين: ١٠٥
- محبة الله تعالى للمحسنين: ١٠٧
- فصل في الأسباب الجالبة للمحبة والموجبة لها وهي عشرة: ١٠٩
- المحسنون هم أهل الثبات في الدين: ١١١
- استجابة دعاء المحسنين: ١١٣
- الأمن من الفزع الأكبر: ١١٤
- ما على المحسنين من سبيل ولا يؤاخذهم الله بالتقصير: ١١٦

- ١١٩ عدم إضاعة الأجر في الدنيا ويوم القيامة:
- ١٢٢ يتبين لنا من هذا المبحث أمور منها:
- ١٢٢ المحسن ينال ولاية الله تعالى له:
- ١٢٣ المحسن ينال النظر إلى وجه الله تعالى:
- ١٢٣ تنال المحسن العزة والشرف في الدنيا والأخرى:
- ١٢٦ بالإحسان تنال الخيرية:
- ١٢٧ بالإحسان ينال القرب من رسول الله يوم القيامة:
- ١٢٨ المحسن إلى الناس دليل على حسن إسلامه:
- ١٢٨ بالإحسان ينال العبد المغفرة والرحمة والخير في الدنيا والأخرى:
- ١٣٠ بالإحسان ينال الذرية الصالحة والزوجة الصالحة:
- ١٣٢ بالإحسان ينال العبد الرزق الحسي والمعنوي:
- ١٣٣ الإحسان من أسباب انشراح الصدر:
- ١٣٥ الإحسان سبب لتمكين في الأرض:
- ١٣٧ الإحسان إلى الناس يطفى نار الغضب:
- ١٣٩ الإحسان من آثار الإيمان:
- ١٤٠ المحسن وعده الله بالزيادة في الدنيا والأخرى:
- ١٤٣ ويتلخص لنا في هذا المبحث أن المحسنين وعدهم الله تعالى بأمور منها:
- ١٤٣ جعل الله الإحسان من مراتب الإبتلاء:
- ١٤٤ الإحسان أعظم أمانى أهل النار:
- ١٤٥ الإحسان جزاءه الجنة:
- ١٤٧ المحسنون ينالون البشارة في الدنيا والأخرى:

- الإحسان من أعظم مراتب الدين: ١٤٩
- يعود نفع الإحسان على العبد في الدنيا والأخرى: ١٥٠
- المحسن ينال البركة: ١٥٢
- يبعد الشقاق والخلاف والعداوات: ١٥٣
- الإحسان يظهر أثره على الجوارح: ١٥٥
- يتنفع بالقرآن والسنة: ١٥٦
- الإحسان يدفع الله به عن العبد الفتن والعذاب في الدنيا والأخرى: ... ١٥٨
- المحسن يضاعف الله تعالى له حسناته: ١٦٠
- المحسن يصلح الله له شأنه في الدنيا والأخرى: ١٦٠
- الإحسان يستعبد القلوب لصاحبه: ١٦٢
- المحسن ينال الأجر العظيم: ١٦٥
- الإحسان من ثمرة العلم: ١٦٦
- جعل الله للمحسنين في الجنة ما يشاءون: ١٦٨
- الإحسان يثمر الحياة الطيبة: ١٦٩
- سادساً: مواطن الإحسان ١٧٠
- القلب: ١٧٠
- اللسان: ١٧١
- سابعاً: صور الإحسان ١٧٤
- أولاً: إحسان العبد توحيد الله تعالى: ١٧٤
- ثانياً: إحسان العبد عبادة الله تعالى: ١٧٥
- ثالثاً: إحسان العبد إلى أنبياء الله ورسله: ١٨٣

- رابعاً: إحسان العبد إلى ملائكة الله تعالى: ١٨٦
- خامساً: إحسان العبد إلى العلماء: ١٨٨
- سادساً: إحسان العبد إلى نفسه: ١٩٢
- سابعاً: إحسان العبد إلى والديه: ١٩٦
- ثامناً: الإحسان بين الزوجين ١٩٩
- تاسعاً: إحسان العبد إلى أولاده وذريته: ٢٠٣
- فالإحسان إلى الأبناء والذرية لها جوانب كثيرة منها: ٢١١
- عاشراً: إحسان العبد إلى قرابته: ٢١٢
- الحادي عشر: إحسان العبد إلى رعيته: ٢١٥
- الثاني عشر: إحسان العبد إلى جيرانه: ٢١٩
- الثالث عشر: إحسان العبد إلى المخالفين له: ٢٢٤
- الرابع عشر: إحسان العبد إلى الموافقين: ٢٢٩
- الخامس عشر: إحسان العبد إلى اليتامى والفقراء والمساكين والمحتاجين: ٢٣٣
- السادس عشر: إحسان العبد إلى الحيوان ٢٣٦
- السابع عشر: إحسان العبد عمله: ٢٤١
- الثامن عشر: إحسان العبد إلى المال: ٢٤٤
- التاسع عشر: الإحسان إلى الطلاب: ٢٤٩
- العشرون: الإحسان إلى العلم: ٢٥٥
- الحادي والعشرون عشر: إحسان العبد إلى عامله وخادمه. ٢٦٩
- الثاني والعشرون: إحسان العبد إلى الطريق: ٢٧٤
- الثالث والعشرون: إحسان العبد إلى الميت: ٢٨٢

- ٢٩٢ الرابع والعشرون: الإحسان إلى الميء:
- ٢٩٨ الخامس والعشرون: إحسان العبد في بيعه وشرائه:
- ٣٠٦ السادس والعشرون: الإحسان في الضيافة:
- ٣١٥ السابع والعشرون: إحسان العبد إلى الأرض وما فيها:
- ٣٢٢ سابعا: حال المسلم مع الإساءة إليه.....
- ٣٢٦ ثامنا: صفات المحسنين.....
- ٣٢٦ إخلاص العمل لله تعالى:
- ٣٢٨ أن لا يبطل إحسانه بالمن والأذى:
- ٣٣١ طاعة الله ورسوله واتباع طريقة السلف:
- ٣٣٢ التحلي بالصبر:
- ٣٣٣ البعد عن المعاصي والذنوب:
- ٣٣٥ العفو والصفح والحلم عن الناس:
- ٣٣٦ كظم الغيظ:
- ٣٣٧ التوبة والاستغفار:
- ٣٣٨ تعليم العلم:
- ٣٤٠ التودد والتحبب للناس:
- ٣٤١ عدم الإصرار على الخطأ:
- ٣٤٢ الأعمال الصالحة:
- ٣٤٢ قيام الليل وكثرة الاستغفار:
- ٣٤٤ مقابلة الإحسان بالإحسان:
- ٣٤٧ الزهد في الدنيا:

- الرحمة بالناس: ٣٤٨
- أن يحب للناس ما يحبه لنفسه: ٣٥٠
- الجهاد في سبيل الله تعالى: ٣٥٠
- عاشراً: علامات الإحسان: ٣٥١
- أولاً: أن يرزق ثمار الإحسان السابقة الذكر: ٣٥١
- ثانياً: أن يصدق قوله عمله وظاهره باطنه: ٣٥١
- ثالثاً: ألا يطلب على إحسانه جزاءً ولا شكوراً: ٣٥١
- خامساً: أن يشكر المحسن إليه: ٣٥٣
- موانع الإحسان ٣٥٣
- السبب الأول: أمراض القلوب: ٣٥٤
- ثانياً: الجهل بالثواب الذي أعده الله للمحسنين: ٣٥٥
- الفهرس ٣٥٧